
اجاثا كريستي
الحب والجريمة



أجاثا كريستي
{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.
- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

الحب والجريمة
Sleeping Murder

يوحي منزل «جويندا ريد» الجديد - وهو فيلا رائعة على الطراز الفيكتوري - إلى هذه العروس الفاتنة الحديثة الزواج، بإحساس غريب بأنها ذات سابق عهد به، وبجزع غير طبيعي يستبد بها. ربما تتمكن عمة زوجها الآنسة «جين ماربل» من التهدئة من روع هذه الفتاة المرهفة الحس لكن كيف يمكن لأي أحد أن يحل لغزًا كهذا ولا وجود لمفاتيح حله الوحيدة إلا بخيال «جويندا» النشط؟ عندما تتعمق العمة «جين» في التنقيب سرعان ما تكتشف صدق الخيال وأهواله...
تتميز جميع فعاليات أعمال «أجاثا كريستي» باتساق الحبكة وقوة الرواية، والحوار الهادف والأسلوب المتميّز.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	150 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	3 دينار	مصر	10 جنيهات
الجزائر	300 دينار	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	العراق	4000 دينار

ISBN 9953382980



الحب والجريمة

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الحب والجريمة

(13)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

Sleeping Murder (1976)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

أشخاص الرواية

– السيدة "**ميجان**" : والدة "**جويندا ريد**".

– "**جويندا ريد**" : زوجة "**جايلز**" – تريد هي وزوجها الإقامة في "**لندن**" بعد عودة زوجها من إحدى ضواحي "**إنجلترا**".

– "**جايلز**" :يعمل في مؤسسة للنشر في إحدى ضواحي "**إنجلترا**" وزوج "**جويندا ريد**".

– السيدة "**أليسون دانبي**" : خالة "**جويندا ريد**".

– العقيد "**كلفين هاليداي**" : والد "**جويندا**" خدم بـ "**الهند**" وتوفي بمرض عصبي.

– "**هيلين هاليداي**" : الزوجة الثانية للعقيد "**كلفين**" وجدت مقتولة.

– الدكتور "**كينيدي**" : أخو "**هيلين**" غير الشقيق.

– العمة "**جين**" أو الآنسة "**ماربل**" : سيدة مجتمع، وعمة "**ريموند وست**" الذي يحب الموسيقى.

– السيدة "**جوان وست**" : زوجة السيد "**ريموند**".

– السيد والسيدة "**هنجريف**" : مالكا المنزل.

– السيد "**سمز**" : مهندس البناء والديكور.

– السيد "**تيلور**" : المقاول والمحاسب.

– السيدة "**كوكر**" : الطاهية.

– السيد "**فوستر**" : البستاني.

– مفتش المباحث "**برايمر**".

- 1 -

وقفت "**جويندا ريد**" ترتعش قليلاً على جانب المرفإ.

كانت أرصفة تحميل السفن وأسقف الجمارك وكل شيء تراه في "**إنجلترا**" يتأرجح إلى أعلى وإلى أسفل.

وفي تلك اللحظة اتخذت قرارها - الذي أدى إلى مثل هذه الأحداث الخطيرة. لن تستقل قطار البحر إلى "**لندن**" كما كانت قد خططت.

ولماذا تستقله؟ على الأقل لا أحد ينتظرها ولا أحد يتوقع حضورها. لقد غادرت هذا القارب المتأرجح توًّا (بعد أن قضت على متنه ثلاثة أيام متعبة عبر الخليج إلى بلايموث) وآخر ما تتمناه هو أن تستقل قطارًا متأرجحًا متمايلاً، ستذهب إلى فندق ظريف ثابت راسٍ على أرض صلبة، حيث يمكنها أن تنام على فراش ثابت لا يتأرجح ولا ينقلب. وستنام، وفي صباح اليوم التالي.. نعم - يا لها من فكرة رائعة - سوف تستأجر سيارة تقودها ببطء وبلا استعجال في أنحاء جنوب "**إنجلترا**" بحثًا عن منزل - ظريف - طبقًا لما كانت هي و"**جايلز**" قد خططا له. نعم. هذه فكرة رائعة.

بهذه الطريقة سترى شيئًا من "**إنجلترا**" - التي حدثها عنها "**جايلز**" والتي لم ترها قط، على الرغم من أنها كانت - مثل سائر النيوزيلانديين - تعتبرها وطنًا لها. لم تكن "**إنجلترا**" على قدر كبير من الجاذبية في تلك اللحظة. كان الجو غائمًا والأمطار متوقعة وريح عاتية تداعب الأجواء. رأت "**جويندا**" وهي تنتظم في طابور فحص جوازات السفر والجمارك، أن "**بلايموث**" ربما لا تكون أفضل ما في "**إنجلترا**".

إلا أنها في صباح اليوم التالي اختلفت مشاعرها تمامًا. كانت الشمس مشرقة والمشهد من نافذتها شديد الجاذبية، ولم يكن الكون على وجه العموم متمايلاً متأرجحًا. فقد استقر كل شيء فيه. هذه هي "**إنجلترا**" أخيرًا، وها هي "**جويندا ريد**" الشابة المتزوجة ذات الواحد والعشرين عامًا في سفرها. لم تكن عودة "**جايلز**" إلى "**إنجلترا**" مؤكدة الموعد. فربما يلحق بها في غضون

أسابيع قليلة وربما يمتد غيابه إلى ستة أشهر. كان قد اقترح أن تسبقه "جويندا" إلى "إنجلترا" وتبحث عن منزل مناسب. رأى كلاهما من المستحسن أن يكون لهما مستقر في مكان ما. يقتضي عمل "جايلز" دائماً قدراً معيناً من السفر. من الممكن أن تسافر "جويندا" معه في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى قد لا تكون الظروف مناسبة، إلا أن كيلهما حبَّذ فكرة أن يكون لهما بيت... مكان خاص بهما. كان "جايلز" قد ورث مؤخراً بعض الأثاث وبذلك تكاتفت الظروف لتجعل هذه الفكرة معقولة وعملية.

وحيث إن كلا من "جويندا" و"جايلز" كان ميسور الحال فلم تمثل هذه الفكرة أية صعاب.

كانت "جويندا" قد اعترضت في بادئ الأمر على اختيار المنزل بمفردها. وقالت: "يجب أن نفعل ذلك معًا" ولكن "جايلز" أجابها ضاحكًا: "لست مفيداً جداً في اختيار المنازل. إذا أعجبك منزل فسوف يعجبني أيضاً، على أن يكون ملحقاً به حديقة صغيرة في مكان ما بالساحل الجنوبي. هذا ما أراه وعلى ألا يكون في العمق جداً".

سألته "جويندا" آنذاك عما إذا كان يفضل مكاناً معيناً وأجابها "جايلز" بالنفي قائلاً إنه كان يتيماً (وكلاهما يتيمان)، وكان يقضي الإجازات عند أقارب مختلفين، ولم يكن له ارتباط بأي مكان معين. وإن المنزل سيكون منزل "جويندا"، وأما عن الانتظار حتى يمكنهما أن يختاراه معاً فلنفترض أن عمله قد أعاقه عن المجيء إلى "إنجلترا" مدة ستة أشهر، كيف كانت "جويندا" ستتصرف طوال هذه المدة؟ هل تقيم بالفنادق؟ لا... ينبغي أن تهتدي إلى منزل وتستقر. فقالت له "جويندا":

– ما تعنيه هو أن أتولى هذه المهمة كاملة!

ولكنها أحبت فكرة البحث عن منزل وإعداده للسكنى حتى إذا حضر "جايلز" فسيجد بيتاً مريحاً. كانا قد تزوجا منذ ثلاثة أشهر وكانت تحبه جداً.

بعدما طلبت "جويندا" فطوراً في الفراش نهضت ورتبت خططها. قضت

يومًا استمتعت خلاله برؤية "**بلايموث**" وفي اليوم التالي استأجرت سيارة "**ديملر**" مريحة وسائقًا وبدأت رحلتها في "**إنجلترا**".

كان الطقس جميلاً جداً واستمتعت بجولتها بدرجة كبيرة. رأت عدداً من المساكن في "**ديفونشاير**" ولكنها لم تشعر بأن أيًّا منها يوافقها تمامًا. لم يكن هناك داع إلى التسرع. سوف تواصل البحث. تعلمت القراءة بين السطور في أوصاف سماسرة العقارات وبذلك وفرت على نفسها عدداً من المشاوير التي لا تسفر عن نتائج مرضية.

كان في مساء يوم الخميس، بعد ذلك بأسبوع، أن اتجهت السيارة نحو طريق منحنى التل إلى "**دلموث**"، وعلى أطراف ذلك المنتجع الساحر الواقع على الساحل مرت بلافتة مكتوب عليها "للبيع" ومن خلال الأشجار أمكن رؤية فيلا بيضاء صغيرة على الطراز الفيكتوري.

أحست "**جويندا**" في الحال بقلبها يخفق طربًا واستحسانًا - كاد أن يكون تصرفًا. هذا هو منزلها! كانت واثقة بذلك فعليًا. كان بإمكانها أن تتصور الحديقة والنوافذ الطويلة. كانت متأكدة أن المنزل كان كما تريده تمامًا.

كان الوقت متأخرًا من النهار لهذا نزلت في فندق "**رويال كلارينس**" وتوجهت في صباح اليوم التالي إلى وكلاء المنزل الذين كانت قد لحظت اسمهم بلوحة الإعلان عن البيع.

وقفت في حجرة الاستقبال القديمة الطراز ذات النافذتين الفرنسيتين المطلتين على الشرفة المرصوفة بصفائح الحجر اللوحي؛ والتي كان أمامها نوع من مقعد هزاز مكسو بفروع شجيرات مزهرة فوق بقعة أرض مكسوة بالعشب من أسفل. من خلال الأشجار عند نهاية الحديقة كان يمكن رؤية البحر.

قالت "**جويندا**" محدثة نفسها في صمت:

- إنه منزلي... بيتي. أشعر بالفعل وكأنني أعرف كل جزء منه.

فتح الباب ودخلت منه امرأة كئيبة مصابة بنوبة برد. بادرتها "**جويندا**" بقولها:

- السيدة "**هنجريف**" - لديّ تصريح من السيدين "**جالبريث**"

و "**بندرلي**" . أعلم أن الوقت مبكر جدًا لكن...

فقالت السيدة "**هنجريف**" وهي تتمخط إن لا بأس ألبته. وبدأت الجولة في المنزل. نعم. كان مناسبًا تمامًا. ليس فسيحًا جدًا، قديم الطراز بعض الشيء لكن من الممكن أن يضيفا إليه حمامًا آخر أو اثنين. والمطبخ من الممكن تحديثه - لحسن الحظ أنه يحتوي على موقد - بتغيير حوض غسل الأواني وتزويده ببعض الأجهزة الحديثة...

من خلال أفكار "**جويندا**" ومشاغلها جاء صوت السيدة "**هنجريف**" رفيعًا يروي تفاصيل مرض العقيد "**هنجريف**" الأخير، اهتم نصف "**جويندا**" بقول كلمات المواساة المطلوبة وعبارات المشاركة اللائقة. كان جميع أقارب السيدة "**هنجريف**" يعيشون في "**كنت**"... قالت إنها شغوفة بأن تذهب وتعيش قريبة منهم... وإن "**العقيد**" كان شغوفًا جدًا بالحياة في "**دلموث**" حيث كان سكرتيرًا لنادي الجولف لبضع سنوات، أما هي...

- نعم... بالتأكيد... صعب عليك... طبيعي جدًا... نعم هكذا هي دور رعاية المسنين... بالتأكيد... لابد من ذلك...

أما نصف "**جويندا**" الثاني فكان مشغولاً جدًا بالتفكير:

- خزانة المفروشات هنا على ما أتوقع... نعم. الحجرة المزدوجة - مشهد ظريف للبحر - سيعجب "**جايلز**" . حجرة مفيدة جدًا هنا - ربما يخصصها "**جايلز**" لاستبدال الملابس... الحمام - أتوقع أن يكون لحوض الاستحمام إفريز من الماهوجني[1] ... آه. نعم له! كم هذا جميل... ويتوسط أرضية الحمام! لن أغير هذا... إنه قطعة أثرية! حوض استحمام بهذا الحجم الكبير!

من الممكن أن تزين الجدران بالتفاح والزوارق والبط، وتشعر بأنك في البحر... أعلم أننا سنحول تلك الحجرة الإضافية الواقعة في الخلفية إلى حجرتي حمام عصريتين باللون الأخضر والكروميوم، والمواسير يجب أن تكون جميعها فوق المطبخ، ونترك هذا على ما هو عليه...

---

(1) الماهوجني: نوع من أنواع الخشب.

قالت السيدة "**هنجريف**" :

– تطورت الحالة إلى التهاب رئوي مضاعف في اليوم الثالث... فقالت "**جويندا**" :

– أمر بشع. هل لا توجد حجرة نوم ثالثة عند نهاية هذا الممر؟ كانت هناك– وكانت من نوعية الحجرة التي تصورتها تماما – شبه مستديرة ذات مشربية قوسية كبيرة. سوف تضطر إلى طلائها بالتأكيد. كانت بحالة جيدة إلا أن ذلك اللون الأصفر الداكن لم يرقها.

عادا سيراً في الممر. تمتمت "**جويندا**" قائلة:

– ست، لا. سبع حجرات نوم بإضافة الحجرة الصغيرة والعلية.

صدر صوت صرير طفيف للألواح تحت أقدامهما. شعرت فعلاً بأنها هي وليست السيدة "**هنجريف**" هي التي تعيش في هذا المكان! وأما السيدة "**هنجريف**" فدخيلة.. لا تجيد اختيار ألوان طلاء الجدران. نظرت "**جويندا**" إلى الورقة المنسوخ عليها بالآلة الكاتبة تفاصيل العقار والثمن المطلوب له.

في غضون بضعة أيام أصبحت "**جويندا**" على درجة لا بأس بها من العلم بأسعار العقارات. لم يكن المبلغ المطلوب مبالغًا فيه – وكان المنزل محتاجًا إلى قدر معين من التحديث – لكن مع ذلك...

كانتا قد بدأتا هبوط الدرج عندما أحست "**جويندا**" فجأة بموجة من خوف غريب تحتويها. كان إحساسا مُعييًا وانتهى بذات السرعة التي بدأ بها. ولكنه خلَّف وراءه فكرة جديدة. سألت :

– المنزل غير مسكون... أليس كذلك؟

كانت السيدة "**هنجريف**" تسبقها بمقدار درجة واحدة إلى أسفل وكانت قد وصلت في روايتها إلى النقطة التي كانت صحة "**العقيد**" زوجها قد بدأت تتراجع بسرعة. رفعت بصرها إلى أعلى غاضبة.

– لا علم لي بشيء كهذا. ولماذا... هل قال أحد شيئًا من هذا القبيل؟

– ألم تشعري أو تري شيئًا أنت ذاتك؟ ألم يمت هنا أحد؟

سؤال بائس. لم تتبين ذلك إلا بعد ما نطقت به ظنًّا منها أنه ربما يكون العقيد "**هنجريف**"... قالت المرأة:

– توفي زوجي في دار المسنين.

– آه. صحيح. لقد أخبرتني بذلك.

استطردت السيدة "**هنجريف**" بذات النبرة الفاترة:

– في منزل بُني منذ حوالي مائة عام من الطبيعي أن تكون قد حدثت به وفيات. كانت الآنسة "**إلورثي**" التي اشترى زوجي منها هذا المنزل منذ سبع سنوات في كامل الصحة وكانت تخطط للسفر إلى الخارج والانخراط في العمل الإرسالي، ولم تذكر أية وفيات في عائلتها.

أسرعت "**جويندا**" تهدئ من كآبة السيدة. كانتا قد عادتا إلى حجرة الاستقبال وكانت هادئة جميلة لها الأجواء ذاتها التي كانت "**جويندا**" تنشدها. بدا خوفها غير مبرَّر. ما الذي أصابها؟ لم يكن بالمنزل أي عيب.

بعد أن سألت السيدة "**هنجريف**" ما إذا كان يمكنها أن تلقي نظرة على الحديقة خرجت من النافذة الفرنسية إلى الشرفة. قالت محدثة نفسها:

– يجب أن تكون هنا درجات تؤدي إلى المرج من أسفل.

لكن بدلاً منها كانت هناك فُرْسيتية[1] جرسية الأزهار نامية إلى ارتفاع كبير في ذلك الموضع بالذات بحيث حجبت مشهد البحر بالكامل.

أومأت "**جويندا**" محدثة نفسها بأنها سوف تغير كل هذا.

تبعت السيدة "**هنجريف**" عبر الشرفة وعلى بضع درجات على الجانب الآخر مؤدية إلى المرج من أسفل. لحظت أن المهزَّة كانت مهملة وأن النباتات المتسلقة قد نمت عليها، وأن شجيرات الزهور محتاجة إلى تقليم. تمتمت السيدة "**هنجريف**" معتذرة عن أن الحديقة قد تعرضت لقدر من الإهمال لأنها لم تتمكن من استئجار بستاني سوى مرتين أسبوعيًا وفي غالبية الأحيان كان يتغيب.

---

(1) الفُرسيتية: شجيرة تنمو في الحدائق.

ألقتا نظرة على حديقة المطبخ وكانت صغيرة المساحة لكن مناسبة، ثم عادتا إلى المنزل. قالت "**جويندا**" إن هناك منازل أخرى سوف تلقي نظرة إليها وإنها على الرغم من إعجابها بهذا المنزل واسمه "**جانب التل**" إلا أنها لا يمكنها أن تتخذ قرارها فوراً.

ودَّعتها السيدة "**هنجريف**" بنظرة متوسلة ونشقة من أنفها طويلة.

عادت "**جويندا**" إلى السمسار حيث قدمت عرضًا نهائيًّا مشروطًا بتقرير المسَّاح وقضت باقي الفترة الصباحية تتجول في أرجاء "**دلموث**"، وهي بلدة صغيرة قديمة الطراز واقعة على شاطئ البحر. على الجانب الحديث البعيد من البلدة كان عدد من الفنادق الجديدة وبعض الأكواخ البدائية ولكن التكوين الجغرافي للساحل المحفوف بالتلال من الخلف قد انقذ "**دلموث**" من توسعات لا داعي إليها.

تلقت "**جويندا**" بعد الغداء اتصالاً هاتفيًّا من سمسار العقارات أفادها فيه بأن السيدة "**هنجريف**" قد قبلت العرض المقدم منها، وبابتسامة ماكرة على شفتيها توجهت إلى مكتب البريد حيث أبرقت إلى "**جايلز**" بالآتي:

"اشتريت منزلاً. لك حبي". "**جويندا**". ثم حدثت نفسها قائلة:

"سوف يسعده هذا الخبر ويؤكد له أنني امرأة نشيطة!".

- 2 -

انقضى شهر وكانت "**جويندا**" قد انتقلت إلى "**جانب التل**"، وعملت على ترتيب أثاث عمة "**جايلز**" في أماكنه بالمنزل. كان أثاثًا قديمًا من نوعية جيدة. باعت "**جويندا**" بعض خزائن الملابس منه بسبب كبر حجمها الزائد أما باقي القطع فكانت مناسبة بل ومتناغمة تمامًا مع المنزل. وضعت المناضد الصغيرة الأنيقة بحجرة الاستقبال وكانت مصدَّفة ومزخرفة بالورد والقلاع. وكان من بين قطع الأثاث منضدة صغيرة أنيقة ذات غطاء من الحرير الأحمر المبطن بنسيج خشن مضموم، ومكتب من خشب الورد ومنضدة أريكة من

الماهوجني. رتبت "جويندا" المقاعد المريحة في مواضع مناسبة بحجرات النوم واشترت مقعدين كبيرين مجنحين وضعتهما على جانبي المدفأة لاستعمالها هي و"جايلز". أما الأريكة العملاقة فوضعتها بالقرب من النافذة. واختارت للستائر نسيجًا قطنيًا قديم الطراز باللون الأزرق الباهت مطبوعًا بباقات الورد والعصافير الصفراء. اعتبرت الحجرة بذلك على أفضل حال.

لم تكن قد استقرت تمامًا بعد إذ لم يزل بالمنزل بعض العمال. كان من المفترض أن يكونوا قد أنهوا الأعمال التي كلفوا بها ولكن "جويندا" رأت أنهم لن يرحلوا حتى تكون قد انتقلت إلى المنزل للإقامة الفعلية به.

اكتملت التغييرات المطلوب إجراؤها بالمطبخ، وكانت الحمامات الجديدة أيضًا موشكة على الانتهاء. رأت "جويندا" أن تنتظر قليلاً فيما يتصل بالديكورات الداخلية الأخرى حتى تستوعب الوضع وتستقر على الألوان التي تختارها لحجرات النوم. كان المنزل بحالة مرضية ولم تكن هناك ضرورة للقيام بكل شيء في الوقت ذاته.

تم استخدام طاهية مهذبة معتدة بذاتها سرعان ما أذعنت لأسلوب "جويندا" الديمقراطي.

في ذلك الصباح وضعت السيدة "كوكر" الطاهية صينية فطور على ركبتي "جويندا" وهي جالسة على الفراش قائلة:

– عندما لا يكون رجل بالمنزل تفضل السيدة فطورها في الفراش. وتقبلت "جويندا" هذه اللغة الإنجليزية المفترضة.

قالت السيدة "كوكر" مشيرة إلى طريقة إعداد البيض:

– ممزوج الصفار مع البياض في هذا الصباح. لقد ذكرت شيئًا عن الحَدوق[1] المدخَّن ولكنه غير مناسب في حجرة النوم لأنه يترك رائحة. سوف أقدمه لك في العشاء فوق شرائح الخبز المحمص.

– آه. أشكرك يا سيدة "كوكر".

---

(1) الحَدوق المدخَّن: نوع من السَّمك.

ابتسمت السيدة "**كوكر**" برقة وهمت بالانصراف. لم تكن "**جويندا**" لتشغل حجرة النوم المزدوجة الكبيرة، في انتظار عودة "**جايلز**"، بل اختارت الحجرة الأخيرة ذات الجدران المستديرة والمشربية. أحست بالراحة والسعادة في هذه الحجرة.

التفتت حولها الآن وصاحت تلقائيًا:

– إنني أحب هذه الحجرة.

التفتت السيدة "**كوكر**" نحوها بإعجاب قائلة:

– إنها حجرة ظريفة وأنيقة يا سيدتي على الرغم من صغر مساحتها... ووجود القضبان بالنافذة يدفعني إلى أن أظن أنها كانت حجرة أطفال في وقت ما.

– لم أفكر في ذلك قط. ربما كانت كذلك. قالت السيدة "**كوكر**" وقد شاب صوتها تضمين ما:

– آه. حسنًا. لكن بدا وكأنها تقول:

– ما إن يأتي السيد إلى المنزل – من يعرف – ربما تكون هنالك حاجة إلى حجرة طفل.

احمر وجه "**جويندا**" خجلاً. نظرت في أرجاء الحجرة. حجرة أطفال؟ نعم، ستكون مناسبة لهذا الغرض. وبدأت ذهنيًا تختار لها الأثاث. بيت كبير للدمية هناك عند الجدار. وخزائن ملابس منخفضة تحتوي على لعب أطفال. ومدفأة متقدة تشع الدفء والمرح، وحاجز مرتفع حولها مع وسائل تهوية على الحاجز. ولكن ليس هذا اللون المستردة الذي على الجدار. لا. ورق حائط مرح على الجدران. بألوان زاهية مفرحة. باقات من زهور الخشخاش بالتبادل مع أخرى من القنطربون العنبرى(1)... نعم سيكون ذلك غاية في الجمال. سوف تحاول الاهتداء إلى ورق حائط بهذا الشكل في أي مكان.

لم تكن هناك حاجة إلى أثاث كثير في الحجرة. كانت بها خزانتا ملابس

---

(1) القنطربون العنبري: نوع من الزهور.

مثبتتين بالجدار ولكن إحداهما، الركنية منهما كانت مقفلة والمفتاح مفقود. بل وكانت الخزانة كلها مغطاة بالطلاء بحيث لم يكن من الممكن فتحها منذ سنوات. لابد أن تطلب من العمال فتحها قبل أن ينصرفوا، خاصة أنها لم يكن لديها فراغ كاف لجميع ملابسها.

كان إحساسها بأنها في بيتها مكفولة الراحة في "**جانب التل**" يزداد يومًا بعد يوم. وإذ سمعت صوت نحنحة أعقبه سعال جاف مقتضب أسرعت تنظر من النافذة. كان ذلك "**فوستر**" البستاني المزاجي الذي لا يعتمد على وعوده دائمًا. لابد أنه قد جاء اليوم موفيًا لموعده معها.

اغتسلت "**جويندا**" وارتدت ملابسها وجونلة من التويد وسترة وأسرعت إلى الحديقة. كان "**فوستر**" يباشر عمله خارج نافذة حجرة الاستقبال. كانت أول رغبات "**جويندا**" أن تهيئ ممرًا من خلال المهزة عند هذه النقطة. كان "**فوستر**" رافضًا الفكرة بدعوى أنه ستكون هناك ضرورة للتخلص من الفرسيتية والوجلية[1] والليلك[2] ولكن "**جويندا**" كانت مصرة على رأيها، فأصبح الآن شبه متحمس لتنفيذ المهمة.

حياها بضحكة خافتة قائلاً:

– يبدو لي أنك تستعيدين الأزمنة القديمة يا سيدتي.

– الأزمنة القديمة؟ كيف؟ ضرب "**فوستر**" الأرض بفأسه قائلاً:

– وصلت إلى درجات قديمة. انظري – هنا حيث تتجه – تمامًا كما تريدينها الآن. قام شخص ما بالزراعة فوقها وطمسها. فقالت "**جويندا**":

– هذا غباء منهم. نريد مجازا ضيقًا إلى المرج يسمح برؤية البحر من نافذة حجرة الاستقبال. لم يكن "**فوستر**" مقتنعًا تمامًا بفكرة هذا المجاز ولكنه وافق على مضض:

– لا أقول إنه لن يكون وضعًا أفضل – لأنه سيتيح لك مشهدًا – وهذه

---

(1) الوجلية: نوع من الزهور.

(2) الليلك: نوع من الزهور.

الشجيرات تمنع الضوء عن حجرة الاستقبال. ومع ذلك هي ميزة... فلم أر في حياتي مجموعة فرسيتية أكثر منها صحة وازدهارًا. لا أهمية كبيرة لليلك أما الوجلية فغالية الثمن - ولعلمك الخاص هذه الشجيرات مسنَّة جدًّا بما لا يسمح بإعادة زراعتها.

- أعلم لكن هكذا سيكون أفضل بكثير.

حكّ "فوستر" رأسه قائلاً:

- حسنًا. ربما.

فقالت "جويندا":

- هذا صحيح. ثم سألت فجأة:

- من الذي سكن هذا المنزل قبل آل "هنجريف"؟ لم يقيموا هنا طويلاً... أليس كذلك؟

- حوالي ست سنوات تقريبًا. ليس طويلاً. ومن قبلهم آل الآنسة "إلورثي". أناس متدينون. كانوا يقومون بخدمة التبشير للوثنيين. استضافوا رجل دين أسود في فترة ما. كُنَّ أربعًا وشقيقهن ولكنه لم يكن منسجمًا معهن تمامًا. ومن قبل هؤلاء كانت السيدة "فنديسون" من النبلاء بحقّ! عاشت هنا قبل أن أولد. سألت "جويندا":

- وهل توفيت هنا؟

- توفيت في "مصر" أو في مكان كهذا ولكنهم أعادوها إلى البلاد. ودفنت بفناء الكنيسة. هي التي زرعت شجرة المانوليا تلك وبعض الأشجار الأخرى. كانت مولعة بالزهور. صمت "فوستر" لحظة ثم استطرد يقول:

- لم يكن أي من تلك المنازل الجديدة قد شيد بهذه المنطقة آنذاك. كانت ريفية تمامًا. لم تكن بها دار للسينما ولا أي من هذه المتاجر الكبيرة ولا ذلك المتنزه الذي في الواجهة. شاب نبرة صوته اعتراض كبار السن على الحداثة بأنواعها. قال هازئًا:

- تغييرات ولا شيء غير التغييرات. قالت "جويندا":

– أعتقد أن كل شيء معرَّض لأن يتغير. وهناك على الأقل الكثير من التحسينات في هذه الأيام... ألا ترى ذلك؟

– هذا ما يقال. أما أنا فلم ألحظها. التغييرات! وأشار في اتجاه سياج الياسمين إلى اليسار الذي ظهرت من خلاله واجهة لأحد الأبنية قائلاً:

– كان هذا مستشفى صغيراً في كوخ جيد الموقع وفي متناول الجميع. استعاضوا عنه ببناء ضخم على مساحة حوالي كيلومترين خارج المدينة. مسيرة عشرين دقيقة إذا أردت الذهاب إلى هناك في يوم الزيارة – أو ثلاثة بنسات بالحافلة. أشار مرة ثانية إلى ذلك السياج النباتي قائلاً:

– تحول الآن إلى مدرسة للبنات. منذ عشر سنوات. تغييرات طوال الوقت. يتخذ الناس منزلاً في هذه الأيام يعيشون فيه عشر سنوات أو حوالي ذلك ثم يرحلون عنه. قلق وعدم استقرار. ما فائدة ذلك؟ من غير الممكن أن يزرع المرء كما ينبغي ما لم يكن بعيد النظر.

تطلعت "**جويندا**" بدفء إلى شجرة المانوليا. قالت:

– مثل السيدة "**فنديسون**"؟

– آه. كانت من النوعية الصحيحة. أتت إلى هنا عروسًا. ربت أبناءها وزوّجتهم، ودفنت زوجها. وكانت تستضيف أحفادها في العطلات الصيفية، رحلت في النهاية عندما قاربت الثمانين. تحدث "**فوستر**" عنها بدفء التقدير. عادت "**جويندا**" إلى المنزل مبتسمة.

تقابلت مع العمال ثم عادت إلى حجرة الاستقبال حيث جلست إلى مكتب وكتبت بعض الرسائل. من بين المراسلات التي ظلت بلا رد عليها كان هناك خطاب من بعض أقارب "**جايلز**" يقيمون في "**لندن**"... رجوها في هذا الخطاب أن تذهب لزيارتهم بمنزلهم في "**تشيلسي**" في أي وقت تريده.

كان "**ريموند وست**" روائيًا معروفًا وكانت زوجته "**جوان**" رسامة. سيكون ممتعًا أن تذهب وتقيم معهم بضعة أيام على الرغم من أنهم قد يظنون أنها مادية بشعة. قالت مفكّرة:

– لا أنا ولا "**جايلز**" رفيعا الثقافة.

دوّى رنين جرس عال من الرواق. كان هذا الجرس المحاط بقدر كبير من الخشب الأسود المحفور والمحروق ضمن مقتنيات عمة "**جايلز**" التي تعتز بها. بدا أن السيدة "**كوكر**" تغمرها سعادة عارمة من استخدامه؛ لهذا كانت تمعن الضغط على زره في كل مرة. وضعت "**جويندا**" يديها على أذنيها وهبت ناهضة.

سارت مسرعة عبر حجرة الاستقبال إلى الجدار المجاور للنافذة البعيدة ثم كبحت تعجب ضيق كادت أن تفصح عنه. كانت هذه هي المرة الثالثة التي تفعل فيها ذلك. كان يبدو في كل مرة أنها تتوقع أن يمكنها السير من خلال الجدار المصمت إلى داخل حجرة المائدة المجاورة.

عادت عبر الحجرة ثم إلى الخارج بالرواق الأمامي، ثم حول زاوية جدار حجرة الاستقبال ثم بمحاذاة حجرة المائدة. كانت المسافة طويلة على هذا النحو وكان سوف يسبب لها هذا ضيقًا في فصل الشتاء لأن التيارات شديدة بالرواق الأمامي بينما التكييف المركزي الوحيد كان بحجرة الاستقبال وحجرة المائدة وحجرتي النوم بالطابق الأعلى.

قالت "**جويندا**" محدثة نفسها وهي جالسة أمام مائدة الطعام الجميلة التي كانت قد اشترتها بدلاً من مائدة عمة زوجها الماهوجني العملاقة:

– لا أرى لماذا لا يكون لي باب يفتح ما بين حجرتي الاستقبال والمائدة. سوف أتحدث مع السيد "**سمز**"، بشأنه عندما يأتي بعد ظهر اليوم. كان السيد "**سمز**" هو مهندس البناء والديكور، رجلاً في منتصف العمر ذا صوت رقيق وكراسة صغيرة يدون فيها دائمًا أية فكرة قيمة تخطر ببال أصحاب المنازل.

عندما استنارت برأي السيد "**سمز**" في هذا الشأن استحسن الفكرة تمامًا قائلاً:

– أسهل شيء في الوجود يا سيدة "**ريد**". ويعد تعديلاً رائعًا إذا كان لي أن أبدي رأيًا. وإذ كانت "**جويندا**" قد بدأت تقلق من حيث التكاليف خاصة

أن تقديرات السيد "**سمز**" الأولية كانت دون التكلفة الواقعية بقدر مزعج، سألته:

– هل سيكلفنا هذا الكثير؟ قال السيد "**سمز**"، مؤكداً:

– لا شيء تقريبًا. بدت "**جويندا**" أكثر تشككًا؛ لأن ما يصفه السيد "**سمز**" بالتكلفة التافهة يدعو إلى عدم الثقة بينما تقديراته المباشرة كانت في حدود المتوسط دائمًا.

ولكن السيد "**سمز**" سرعان ما أضاف بنبرة مؤكدة:

– سوف أجعل السيد "**تيلور**" يلقي نظرة على المطلوب بعدما يكون قد انتهى من حجرة استبدال الملابس بعد ظهر اليوم وعندئذ أحدد لك التكلفة بالتحديد فالأمر متوقف على نوعية الجدار.

وافقت على هذا الرأي ثم كتبت خطابًا إلى "**جوان وست**" شكرتها فيه على دعوتها، وذكرت لها أنها لن يمكنها مغادرة "**دلموث**" حاليًّا لأنها محتاجة إلى مراقبة ما يقوم به العمال. خرجت بعد ذلك للتمشي بمحاذاة واجهة المنزل واستمتعت بنسيم البحر. عادت إلى حجرة الاستقبال واعتدل "**تيلور**" رئيس عمال السيد "**سمز**"، ناهضًا من عند الركن حيث حياها مبتسمًا:

– لا صعوبة في ذلك يا سيدة "**ريد**". كان هنا باب من قبل. وواضح أن شخصًا لم يرغب في وجوده فكلف من يبني مدخله. دهشت "**جويندا**". حدثت نفسها قائلة:

"كم غريب هذا. دائمًا ما شعرت بوجود باب في هذا الموضع. تذكرت الأسلوب الواثق الذي سارت به إليه. وقت الغداء. وإذ تذكرت ذلك أحست فجأة بقشعريرة عدم ارتياح تسري في جسدها. أمر غريب تمامًا... لماذا كانت متأكدة من وجود باب هناك؟ لم تكن بالجدار أية علامة تدل على ذلك. كيف تسنى لها أن تخمن... أن تعرف أنه قد كان هناك باب في ذلك المكان؟ من المؤكد أنه من المناسب أن يكون هناك باب مؤدٍ إلى حجرة المائدة، لكن لماذا كانت تتجه دائمًا إلى تلك البقعة بالذات غير مخطئة الهدف؟ أية

بقعة أخرى بالجدار الفاصل ستكون مناسبة أيضًا ولكنها كانت دائمًا تتوجه بتلقائية تامة وذهنها مشغول بأمور أخرى إلى ذات المكان الواحد الذي كان الباب به فعليًا" . ثم أكملت "**جويندا**" محدثة نفسها:

"أرجو ألا أكون مستبصرة أو شيئًا من هذا القبيل. . . " . لم يكن بها شيء يشير إلى استجابة للمؤثرات الروحية أو الخارقة للطبيعة قط. لم تكن من هذه النوعية من الناس. أم أنها كانت؟ والممر المؤدي من الشرفة مخترقًا منطقة الشجيرات إلى المرج. هل كانت تعرف بطريقة ما أنه كان هناك عندما كانت مصرَّة على ضرورة تمهيده في ذلك الموضع تحديداً؟ قالت محدثة نفسها بعدم ارتياح:

"ربما أكون مستجيبة لبعض المؤثرات الخارقة للطبيعة، أم أن هذا أمر متعلق بالمنزل؟ ولماذا سألت السيدة "**هنجريف**" في ذلك اليوم عما إذا كان المنزل مسكونًا بالأشباح؟" .

لم يكن مسكونًا فهو منزل عزيز! من المستحيل أن يكون بالمنزل أي عيب . ولماذا بدت السيدة "**هنجريف**" دهشة لهذه الفكرة؟ أم أنها قد كان في أسلوبها لمحة تحفظ وحذر؟ قالت محدثة نفسها:

"يا إلهي بدأت أتصور أشياء" . عادت بذهنها - بعد جهد - إلى حديثها مع "**تيلور**" ثم قالت:

- هناك شيء آخر. إحدى الخزانات بحجرتي بالطابق الأعلى مغلقة. أريد فتحها.

صعد الرجل معها إلى الطابق الأعلى وفحص الباب. قال:

- لقد طُلي فوقه بضع مرات. سأكلف الرجال بفتحه لك غدًا لو كان هذا مناسبًا. وافقت "**جويندا**" وانصرف "**تيلور**" . شعرت "**جويندا**" في تلك الليلة بضيق وتوتر عصبي. وعندما جلست بحجرة الاستقبال تحاول أن تقرأ، كانت مدركة كل صوت يصدر عن قطع الأثاث، حتى أنها كانت - أكثر من مرة واحدة - تنظر من فوق كتفها وترتعد. أخذت تؤكد لنفسها أن لا شيء

في واقعتي الباب والممر، وأن ما حدث كان مجرد مصادفة، وأنهما كانا نتيجة لحس سليم لا أكثر.

تجاهلت إحساسها بالتوتر إزاء فكرة توجهها إلى حجرة نومها بالطابق الأعلى. وعندما فعلت ذلك أخيراً وأطفأت الأضواء وفتحت الباب المؤدي إلى الرواق تبينت أنها تخشى صعود الدرج. كادت أن ترتقيه عدواً ثم أسرعت في الممر وفتحت باب حجرتها. وعندما أصبحت بداخلها أحست أن مخاوفها قد تبددت وأعصابها قد هدأت. مسحت الحجرة بنظرات الدفء. فقد شعرت هنا بالأمان – بالأمان وبالسعادة. نعم، لأنها هنا هي في أمان. سألت نفسها: "في أمان من ماذا أيتها الغبية؟". دخلت الفراش وشعرت بالارتياح وسرعان ما استغرقت في النوم. في صباح اليوم التالي كانت لديها بعض الشؤون تتطلب عنايتها. عادت في وقت الغداء. بادرتها السيدة "كوكر"، وهي تحضر لها صينية الغداء المكون من البطاطس المهروسة والجزر المغطى بالقشدة والسمك المقلي، بقولها:

– فتح الرجال الخزانة التي بحجرتك يا سيدتي. وقالت "جويندا":

– هذا جيد. كانت جائعة واستمتعت بوجبتها. وبعدما تناولت القهوة بحجرة الاستقبال توجهت إلى حجرتها بالطابق الأعلى. أطلقت صيحة ذعر خافتة ووقفت تنظر. كشف داخل الخزانة عن ورق الحائط الأصلي، الذي استبدل به – في كل مكان آخر – ذلك الطلاء الأصفر، وعن أن جدران الحجرة فيما سبق كانت مغطاة بورق به باقات من زهور الخشخاش القرمزية بالتبادل مع باقات من القنطريون العنبري الأزرق اللون... وقفت "جويندا" حيث كانت تنظر طويلاً ثم توجهت مرتعشة إلى الفراش وجلست عليه. ها هي في منزل لم تدخله من قبل وفي قرية لم تزرها قط – ومنذ يومين فقط كانت فوق الفراش تتصور ورقاً لجدران هذه الحجرة بالذات – والورق الذي تصورته يتطابق تماماً مع الورق الذي كان يغطي هذه الجدران ذات مرة. دار برأسها عدد من التفسيرات المبتورة لهذه الأحداث... تجارب مع الزمن...

ترى المستقبل بدلاً من الماضي.

يمكنها تفسير ممر الحديقة والباب الواصل بين الحجرتين علي أنهما مجرد مصادفة - ولكن من غير الممكن أن يكون هذا مصادفة أيضا - فمن غير الممكن تصورٍ ورق حائط بهذا التصميم المميز ثم تجد ورقًا مطابقًا لما قد تصورته... لا. هناك تفسير لم تتوصل إليه وهو الذي يسبب لها هذا الخوف. بين لحظة وأخرى لا تنظر إلى الأمام بل إلى الخلف - عودة إلي حالة ما سابقة لهذا المنزل. وفي أية لحظة من الممكن أن ترى شيئًا آخر - شيئًا لا تريد أن تراه... المنزل يخيفها... لكن هل هو المنزل أم هي ذاتها؟ لا تريد أن تكون واحدة ممن يرون أشياء..

التقطت نفسًا طويلاً وارتدت قبعتها ومعطفها وغادرت المنزل مسرعة. وفي مكتب البريد أرسلت البرقية الآتية خالصة الرد إلى أقارب زوجها بـ "**لندن**" :

"اسمحوا لي بأن أغير رأيي وأحضر إليكم غداً..." "**جويندا**".

- 3 -

فعل "**ريموند وست**" وزوجته كل ما يمكنهما حتى يشعرا زوجة "**جايلز**" الشاب بمدى ترحيبهما بها. ولم يكن لهما أدنى ذنب في أن "**جويندا**" كانت تشعر فيما بينها وبين نفسها بأنهما مخيفان بعض الشيء. فكان "**ريموند**" بمظهره الخارق الأشبه بغداف[1] على وشك الانتقضاض وبشعره الكثيف وحواره غير المفهوم تمامًا يثير أعصابها ودهشتها. بدا لها وكأنه هو و"**جوان**" يتحدثان لغة خاصة بهما. فلم يسبق لـ "**جويندا**" أن تواجدت في جو رفيع الثقافة وجميع المصطلحات المتداولة فيه غريبة.

قال "**ريموند**" بينما كانت "**جويندا**" تتناول مشروبًا وكانت تتمنى قدحًا من الشاي بعد رحلة مجيئها:

- لقد خططنا لاصطحابك إلى بعض العروض. أحست "**جويندا**" بالسعادة فوراً.

---

(1) الغداف: الغراب الأسود.

– عرض الباليه في هذه الليلة مقام في "**ساولرز ولز**"، وغداً لدينا حفل عيد ميلاد عمتي "**جين**" – حيث سنذهب لمشاهدة مسرحية "**دوقة مالفي**"، وفي يوم الجمعة لابد أن تشاهدي مسرحية "**مشوا بلا أقدام**". وهي مترجمة عن الروسية... أفضل مسرحية خلال العشرين عاماً الماضية. وستعرض على مسرح "**وتدمور**".

عبرت "**جويندا**" عن امتنانها لهذه الخطط الرامية إلى تسليتها وإمتاعها، حتى إذا ما عاد "**جايلز**" يذهبان معًا إلى العروض الموسيقية وما إلى ذلك. أجفلت قليلاً إزاء فكرة "**ساروا بلا أقدام**" ولكنها افترضت أنها من الممكن أن تستمتع بها وإن كانت المسرحيات ذات المغزى لا تمتع عادة. قال "**ريموند**":

– سوف تحبين عمتي "**جين**". فهي ما يمكن وصفه بأنها قطعة ممثلة تمامًا لعصرها. فكتورية حتى النخاع. جميع مزيناتها ذات أرجل ملفوفة بالقماش القطني المطبوع. تعيش في قرية من النوعية التي لا ترى أية أحداث. مثل بركة راكدة المياه تمامًا. قالت زوجته بنبرة جافة:

– ولكن شيئًا ما حدث بالفعل ذات مرة.

لوَّح "**ريموند**" بيده قائلاً:

– مجرد حادث عاطفي... فج وبلا عمق. فقالت "**جوان**" مذكرة إياه باتقاد طفيف في عينيها:

– ولكنك استمتعت به بدرجة مخيفة آنذاك. فقال "**ريموند**" بكبرياء:

– أستمتع أحيانًا بلعب كريكيت القرية.

– على أية حال اكتسبت العمة "**جين**" شهرة بسبب تلك الجريمة.

– آه... هي ليست حمقاء. إنها تعشق المشاكل. فقالت "**جويندا**":

– المشاكل؟ ولوَّح "**ريموند**" بيده قائلاً:

– جميع أنواع المشاكل. أخذت زوجة البدّال مظلتها إلى مناسبة اجتماعية بالكنيسة في مساء يوم جميل الطقس. ووُجد جِلٌّ مملوء بالإربيان المملح

حيث كانت. وما حدث لرداء الكاهن. كل هذا مادة لعمل العمة "جين". لهذا إذا كانت لديك أية مشكلة في حياتك فأوكليها إليها يا "جويندا"، وسوف تجدين عندها الحل.

ضحك وضحكت "جويندا" أيضًا وإن لم تضحك من عمقها. تمَّ تقديمها في الغد إلى العمة "جين" أو الآنسة "ماربل". كانت الآنسة "ماربل" سيدة مسنة جذابة. طويلة القامة نحيلة القوام، ذات وجنتين متوردتين وعينين زرقاوين وطباع رقيقة مدققة إلى حد ما، ودائمًا ما كان بعينيها بريق خافت.

بعد عشاء مبكر شربوا فيه نخب العمة "جين" توجهوا جميعًا إلى مسرح صاحب الجلالة. وكان معهم رجلان آخران: فنان كبير السن ومحام شاب. كرس الفنان نفسه لـ "جويندا" ووزع المحامي الشاب اهتماماته بين "جوان" والآنسة "ماربل" التي بدا مستمتعًا بملاحظاتها إلى حد بعيد. وتم الإبقاء على هذا الترتيب بالمسرح، حيث جلست "جويندا" في وسط الصف بين "ريموند" والمحامي. أطفئت الأضواء وبدأت المسرحية. كان الأداء مذهلاً واستمتعت "جويندا" به بدرجة كبيرة؛ إذ لم تكن قد شاهدت الكثير من المسرحيات المتميزة.

اقتربت المسرحية من نهايتها متقدمة نحو لحظة الرعب الهائل. جاء صوت الممثل في أثناء الأداء مفعمًا بمأساة عقلية منحرفة ملتوية:

"غطوا وجهها. عيناي مبهورتان. فقد توفيت في سن مبكرة". وهنا صرخت "جويندا". نهضت من فوق مقعدها مسرعة واندفعت نحو الممر مبتعدة عن الآخرين، ومنه إلى باب الخروج ثم إلى الدرج وإلى الشارع. لم تتوقف بل ظلت تسير تارة وتركض تارة أخرى في حالة جزع شديد إلى السوق. لم تلحظ مرور سيارة أجرة حتى وصلت إلى "بيكاديللي"، أشارت إليها وركبت بعد أن أعطت السائق عنوان منزل أقارب زوجها بأصابع مرتعشة أخرجت الأجرة ودفعتها للسائق وصعدت الدرج. رمقتها الخادمة التي فتحت لها الباب بنظرات دهشة.

– لقد أتيت مبكرة يا آنستي. ألم تكوني بحالة جيدة؟

– أنا... لا... نعم... شعرت بوهن.

– هل أحضر لك شيئًا يا آنستي... قدرًا من البراندي؟

– لا. لا شيء. سأذهب إلى الفراش رأسًا.

صعدت الدرج عدوًا اجتنابًا لمزيد من الاستفسارات. خلعت ملابسها وتركتها على الأرض على هيئة كومة ودخلت الفراش حيث رقدت ترتعش وقلبها يخفق بشدة وعيناها تنظران إلى السقف.

لم تسمع صوت العائدين من المسرح بالطابق الأدنى لكن بعد خمس دقائق فتح الباب ودخلت الآنسة "**ماربل**" حاملة قربتي ماء ساخن تحت إبطها وقدحًا بيدها. جلست "**جويندا**" معتدلة فوق الفراش تحاول السيطرة على الارتعاش. قالت:

– إنني غاية في الأسف يا آنسة "**ماربل**" – لا أدري ماذا – كان هذا فظيعًا مني. هل هم متضايقون مني؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا تهتمي الآن يا بنتي العزيزة. دفئي نفسك جيدًا بهاتين القربتين.

– لست محتاجة بشدة إلى قرب الماء الساخن.

– بل أنت محتاجة إلى الدفء. والآن تناولي هذا الشاي.

كان الشاي ساخنًا ومركزًا وزائد التحلية ولكن "**جويندا**" تناولته طاعة، فقلّت حدة الارتعاش. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– اضطجعي الآن وحاولي أن تنامي. لقد تلقيت صدمة كما تعلمين. سوف نتحدث عنها في الصباح. لا تهتمي باي شيء الآن بل اخلدي إلى النوم فقط. جذبت "**ماربل**" أغطية الفراش إلى أعلى وابتسمت وربتت "**جويندا**" ثم انصرفت. كان "**ريموند**" يتحدث مع "**جوان**" بالطابق الأدنى:

– ما الذي أصاب الفتاة؟ هل أحست بنوبة مرض أم ماذا؟

– يا عزيزي "**ريموند**". أنا لا أعلم. لقد صرخت! ربما كانت المسرحية مخيفة جدًا لها.

– هذا مؤكد لأن الممثل أبدع الأداء ولكنني ما كنت لأظن... ثم توقف عن الكلام عند دخول الآنسة "**ماربل**" الحجرة. سألها:

– هل هي بخير؟

– نعم. أعتقد ذلك. أصيبت بصدمة شديدة كما تعلم.

– صدمة؟ لأنها شاهدت مسرحية من عصر الملكة "**أليزابيث**"؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" مفكرة:

– أعتقد أن هناك ما هو أبعد من ذلك؟

أحضر فطور "**جويندا**" إليها في الفراش. شربت قدراً من القهوة وأكلت قطعة من الخبز المحمص. وعندما نهضت من الفراش وتوجهت إلى الطابق الأدنى كانت "**جوان**" قد توجهت إلى مرسمها وأغلق "**ريموند**" باب حجرة عمله عليه ولم يكن هناك سوى الآنسة "**ماربل**" جالسة بالقرب من النافذة المطلة على النهر. وكانت مشغولة بحياكة التريكو. عندما دخلت "**جويندا**" الحجرة رفعت بصرها نحوها مبتسمة بهدوء قائلة:

– صباح الخير يا عزيزتي. أرجو أن تكوني أفضل صحة.

– نعم. أنا بخير. لا أعلم كيف تصرفت في الليلة الماضية على هذا النحو الأحمق. هل هم غاضبون مني جداً؟

– آه... لا يا عزيزتي. فهم مقدرون.

– مقدرون ماذا؟ رفعت الآنسة "**ماربل**" بصرها من فوق حياكتها ثم قالت:

– أنك قد تلقيت صدمة شديدة في الليلة الماضية. أليس من الأفضل أن تخبريني بكل شيء عن هذا الموضوع؟ أخذت "**جويندا**" تسير بقلق شديد ذهاباً وإياباً في الحجرة:

– أرى أنه من الأفضل أن أعرض نفسي على إخصائي أمراض نفسية أو طبيب آخر.

– يوجد خبراء متميزون في الأمراض العقلية والنفسية في "**لندن**" بالتأكيد لكن هل ترين ضرورة لذلك؟

– حسنًا. أعتقد أنني في سبيلي إلى فقد صوابي... لابد أنني سأصاب بالجنون. دخلت خادمة مسنة الحجرة حاملة برقية على صينية قدمتها إلى "**جويندا**" قائلة:

– يريد الساعي أن يعرف ما إذا كان هناك رد على البرقية يا سيدتي. فتحت "**جويندا**" المظروف وجدت برقية محولة إليها من "**دلموث**". دققت النظر إليها لحظة بلا فهم ثم كوّرتها قائلة بطريقة آلية:

– لا رد. وغادرت الخادمة الحجرة.

– لا أخبار سيئة كما أرجو يا عزيزتي؟

– البرقية من "**جايلز**"... زوجي. سيعود إلى البيت بطريق الجو، في غضون أسبوع. شابت صوتها نبرات الحيرة والأسى. أطلقت الآنسة "**ماربل**" سعالاً مقتضبًا رقيقًا:

– من المؤكد أن هذا – جميل جدًا – أليس كذلك؟

– هل ترين ذلك؟ في الوقت الذي لا أعرف فيه ما إذا كنت قد فقدت صوابي أو لم أفقده؟ لو كنت قد جننت ما كان ينبغي قط أن أتزوج "**جايلز**". والمنزل وكل شيء. لا يمكنني العودة إلى هناك. آه... لا أدري ماذا أفعل.

رتبت الآنسة "**ماربل**" الأريكة داعية "**جويندا**" إلى الجلوس. قالت:

– اجلسي هنا يا عزيزتي وأخبريني بكل متاعبك. قبلت "**جويندا**" الدعوة بمشاعر الارتياح. حكت القصة كاملة بدءًا من رؤيتها "**جانب التل**" للمرة الأولى ووصولاً إلى الأحداث التي حيرتها في بادئ الأمر ثم سببت لها همومًا. ختمت روايتها بقولها:

– ولهذا أصبحت خائفة وظننت أنني قد جئت إلى "**لندن**" – فرارًا من كل هذا. لكن... كما ترين لم يمكنني الفرار منه. فقد تبعني إلى هنا. وفي الليلة الماضية... أغمضت عينيها وكأنها تتذكر شيئًا ما. فقالت الآنسة "**ماربل**" حاثة إياها على مواصلة الحديث:

– وفي الليلة الماضية؟ فقالت "**جويندا**" بنبرة متسرعة:

– يمكنني القول إنك لن تصدقي هذا. سوف تظنين أنني مصابة بالهستيريا أو أنني غريبة الأطوار أو شيء من هذا القبيل. حدث هذا فجأة وعند النهاية تمامًا. استمتعت بالمسرحية جدًا. ولم يتطرق ذهني إلى المنزل ولا مرة واحدة. ثم حدث هذا فجأة – عندما نطق بتلك الكلمات – وقالت مرددة بصوت مرتعد خافت:

"غطوا وجهها. عيناي مبهورتان. فقد توفيت في سن مبكرة".

– في تلك اللحظة أصبحت هناك ثانية... فوق الدرج أطل على الرواق من خلال الدرابزين ورأيتها مسجاة هناك. متوفاة. شعرها ذهبي كله ووجهها... أزرق تمامًا! كانت ميتة، مخنوقة وشخص ما يقول تلك الكلمات بذات الأسلوب الظافر المخيف، ورأيت يديه، رماديتين مجعدتين، ليستا يدين– مخالب قرد... كان مشهدًا فظيعًا... أؤكد لك هذا. كانت ميتة... سألتها الآنسة "**ماربل**" برفق:

– من كانت ميتة؟ وجاءت الإجابة سريعة وتلقائية:

– "**هيلين**"..

– 4 –

ظلت "**جويندا**" تحملق إلى وجه الآنسة "**ماربل**" لحظة، دفعت بعدها بشعرها إلى الخلف بعيدًا عن جبينها. قالت:

– ما الذي جعلني أقول ذلك؟ لماذا قلت "**هيلين**"؟ لا أعرف أية امرأة اسمها "**هيلين**"! أسقطت يديها في حركة يأس. قالت:

– هل ترين؟ إنني جننت! أتصور أمورًا! أرى أشياء لا وجود لها. كان ورق الحائط في أول الأمر... أما الآن فجثث موتى. حالتي تسوء.

– أرجو ألا تتعجلي بالاستنتاجات يا عزيزتي.

– أو ربما يكون العيب بالمنزل. قد يكون المنزل مسكونًا بالأشباح أو

مسحوراً أو أي شيء آخر... أرى أشياء حدثت هناك... أو ربما أنني أرى أشياء سوف تحدث هناك. وهذا أسوأ. ربما امرأة تدعى "**هيلين**" سوف تقتل هناك... كل ما في الأمر أنني لا أرى مادام المنزل هو المسكون بالأشباح لماذا أرى أنا هذه الأشياء البشعة وأنا بعيدة عنه. لهذا السبب أعتقد حقًّا أنني لابد أن أكون أنا التي تمر بحالات غريبة، وأن من الأفضل أن أعرض حالتي على إخصائي في الطب النفسي فوراً... وفي هذا الصباح.

– حسنًا يا "**جويندا**" يا عزيزتي... يمكنك أن تفعلي هذا دائمًا بعدما تكونين قد استنفدت جميع وسائل البحث الأخرى، وإن كان رأيي الشخصي أن من الأفضل بحث أبسط التفسيرات العادية أولاً. لنراجع الأحداث معًا. هناك ثلاثة أحداث محددة سببت لك هذه الحيرة. الممر الذي بالحديقة الذي تمت تغطيته بالزروع ولكنك شعرت بوجوده في هذا المكان، والباب الذي تم بناؤه، وورق الحائط الذي تصورته بشكل صحيح وتفصيليٍّ دون أن تكوني قد رأيته. هل هذا صحيح؟

– نعم.

– التفسير الطبيعي والأكثر سهولة هو أن تكوني قد رأيت هذه الأشياء من قبل.

– في حياة أخرى سابقة... هذا ما تعنينه؟

– لا يا عزيزتي. أعني في هذه الحياة. أعني أنها ربما تكون ذكريات فعلية.

– ولكنني لم أحضر إلى "**إنجلترا**" قط إلا منذ شهر واحد يا آنسة "**ماربل**".

– هل أنت واثقة بهذا تمامًا يا عزيزتي؟

– واثقة بالتأكيد. فقد عشت طوال حياتي بالقرب من الكنيسة في "**نيوزيلندا**".

– هل ولدت هناك؟

– لا. ولدت في "**الهند**" كان والدي ضابط شرطة بريطانيًّا. توفيت والدتي بعد ولادتي بعام أو عامين فأعادني إلى أهل والدتي في "**نيوزيلندا**" لتنشئتي.

ثم توفي هو ذاته بعد سنوات قليلة أخرى.

- لا تتذكرين رحلة مجيئك من "**الهند**" إلى "**نيوزيلندا**"؟

- ليس بوضوح. أتذكر بغموض أنني كنت على ظهر سفينة. ونافذة مستديرة... كوّة على حد اعتقادي. ورجل في زي أبيض ذو وجه أحمر وعينين زرقاوين وعلامة في ذقنه... أعتقد أنها ندبة. اعتاد أن يلقيني إلى أعلى في الهواء وأتذكر أنني كنت خائفة ومستمتعة بهذه الحركة في ذات الوقت. لكن كل ذلك بلا اتساق.

- هل تتذكرين مربية أو مرافقة؟

- لا مرافقة بل مربية. أتذكرها لأنها بقيت بعض الوقت... حتى بلغت الخامسة من عمري. كانت تقص صور البط من الورق. نعم. كانت على ظهر السفينة. كانت تؤنبني عندما أبكي لأن القبطان كان يقبلني وأستاء أنا من لحيته.

- الأمر مثير للاهتمام جدًا يا عزيزتي؛ لأنك تخلطين ما بين رحلتين مختلفتين. في إحداهما كانت للقبطان لحية وفي الأخرى كان له وجه أحمر وندبة بذقنه. قالت "**جويندا**" بعد تفكير:

- نعم. أعتقد أنه لابد أن يكون الأمر كذلك. قالت الآنسة "**ماربل**":

- يبدو لي ممكنًا أن يكون والدك قد أتى بك معه إلى "**إنجلترا**" أولاً بعد وفاة والدتك وأنك قد عشت في هذا المنزل "**جانب التل**" فعلاً. لقد سبق أن أخبرتني بأن المنزل قد بدا لك وكأنه بيتك منذ اللحظة التي دخلته فيها وأن تلك الحجرة التي اخترت النوم فيها ربما كانت حجرتك وأنت طفلة صغيرة...

- هي بالفعل حجرة أطفال. توجد قضبان بالنافذة.

- هل رأيت؟ وكانت جدرانها مكسوة بورق الحائط المرح الألوان الجميل المزدان بزهور الخشخاش والقنطريون العنبري. يتذكر الأطفال جدران حجراتهم جيداً. دائمًا ما تذكرت السوسن البنفسجي بجدران حجرتي ومع

ذلك أعتقد أنه قد أعيدت تغطيتها بالورق عندما لم يتجاوز عمري الثالثة.

– ولهذا السبب اتجه تفكيري فوراً إلى اللعب وبيت الدمية وخزائن اللعب؟

– نعم. والحمَّام. وحوض الاستحمام ذو الإفريز الماهوجني. أخبرتني بأنك فكرت في بط سابح فيه بمجرد أن رأيته. فقالت **"جويندا"** متذكرة:

– صحيح أنه قد بدا لي أنني أعرف فوراً مكان كل شيء... المطبخ وخزانة المفروشات، وظللت أعتقد أن هناك باباً فاصلاً ما بين حجرتي الاستقبال والمائدة. لكن من المؤكد أنه من المستحيل أن آتي إلى **"إنجلترا"** وأشتري المنزل ذاته الذي عشت فيه منذ زمن طويل؟

– ليس هذا مستحيلاً يا عزيزتي. هو مجرد مصادفة جديرة بالملاحظة والاهتمام... ولمثل هذه المصادفات وجود. أراد زوجك منزلاً على الساحل الجنوبي وكنت تبحثين عن مثل هذا المنزل فمررت بمنزل أثار فيك ذكريات وجذبك نحوه. كان بالمساحة المناسبة وبسعر معقول ولهذا اشتريته. لا. ليس هذا بالأمر غير المحتمل أو المستبعد ألبتة. لو كان المنزل مجرد ما يعرف بأنه مسكون بالأشباح لكان تصرفك مختلفاً على حد تقديري. لكن لم يراودك إحساس بالعنف أو بالنفور باستثناء، كما ذكرت لي، في لحظة محددة تماماً، وهي عندما بدأت هبوط الدرج والنظر إلى الرواق من أعلى.

عاد قدر من تعبيرات الجزع إلى عيني **"جويندا"**. قالت:

– تعنين أن... أن... **"هيلين"** تلك... حقيقة أيضاً؟ قالت الآنسة **"ماربل"** بنبرة مترفقة تماماً:

– أعتقد ذلك يا عزيزتي... أرى أنه يجب علينا مواجهة واقع أنه لو كانت الأشياء الأخرى ذكريات فهذه ذكرى أيضاً..

– إنني قد رأيت امرأة مقتولة... مخنوقة... ترقد هناك متوفاة؟

– لا أعتقد أنك قد عرفت وعيياً أنها قد خنقت. ولكن هذا ما اقترحته المسرحية في الليلة الماضية ويتسق مع علمك البالغ بما يجب أن يعنيه وجه أزرق متشنج. أعتقد أن طفلة صغيرة السن جداً تزحف هابطة الدرج يمكنها

أن تعرف العنف والموت والشر وتربط بين هذه الأمور وبين مجموعة معينة من الألفاظ؛ لأنني أعتقد أن لا شك في أن يكون القاتل قد قال هذه الكلمات فعلاً. وهذا يمثل صدمة قوية لطفلة. الأطفال مخلوقات صغيرة غريبة. عندما يتعرضون لخوف شديد وبخاصة من أشياء لا يفهمونها فإنهم لا يتحدثون عنها بل يختزنونها. ربما يبدو للآخرين أنهم قد نسوها ولكنها تظل باقية في عمق ذاكرتهم. التقطت "**جويندا**" نفساً عميقاً.

– وتظنين أن هذا ما حدث لي؟ لكن لماذا لا أتذكر كل هذا الآن؟

– لا يستطيع المرء أن يتذكر كل شيء بالترتيب. وعندما يحاول تحمله الذاكرة إلى مناطق أكثر بعداً. ولكنني أعتقد أن هناك مؤشراً أو اثنين إلى ما حدث بالفعل. فمثلاً عندما أخبرتني الآن عن تجربتك بالمسرح في الليلة الماضية استخدمت صياغة لغوية موحية تماماً. قلت إنه قد بدا لك وكأنك تنظرين من خلال الدرابزين، ولكن الطبيعي هو – كما تعلمين – أن المرء لا ينظر إلى الرواق من أسفل من خلال الدرابزين – لكن من فوقه. الطفل فقط هو الذي ينظر من خلاله. قالت "**جويندا**" معبرة عن تقديرها للآنسة "**ماربل**":

– هذا ذكاء منك.

– هذه الأمور الصغيرة تحمل معان مهمة. سألت "**جويندا**" متحيرة:

– لكن من تكون "**هيلين**"؟

– أخبريني يا عزيزتي. هل مازلت واثقة بأنها "**هيلين**"؟

– نعم. وهذا غريب بدرجة مخيفة؛ لأنني لا أعرف من تكون "**هيلين**" – ولكنني في الوقت ذاته أعرف على نحو مؤكد – أعني أنني أعرف أن "**هيلين**" هي التي كانت ترقد هناك... كيف يمكنني معرفة المزيد؟

– أعتقد أن الشيء الواجب عمله هو أن نكتشف على وجه التحديد ما إذا كنت قد أتيت إلى "**إنجلترا**" وأنت طفلة أو ما إذا كان من الممكن أن تكوني قد أتيت إليها. أقرباؤك... قاطعتها "**جويندا**" بقولها:

– خالتي "**أليسون**"، لابد أن تعرف. أنا واثقة بذلك.

– لابد لك إذن من أن تكتبي إليها خطابًا بالبريد الجوي أو أن ترسلي إليها خطابًا بالبريد الليلي وتخبريها بأنه قد استجدت ظروف تحتم عليك معرفة ما إذا كنت قد سافرت إلى "**إنجلترا**" من قبل. من المحتمل أن نتلقى ردًا بالبريد الجوي بوقت وصول زوجك.

– شكرًا لك يا آنسة "**ماربل**". لقد كنت في غاية الكرم معي. وآمل أن تكون تقديراتك واقتراحاتك صائبة؛ لأنه في هذه الحالة يكون كل شيء على ما يرام. أعني أنه لن يكون هناك شيء خارق للطبيعة.

ابتسمت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– آمل أن يتطابق الواقع مع ظنوننا. سوف أسافر لزيارة بعض صديقاتي القدامى في شمال "**إنجلترا**" بعد غد. سوف أمر بـ "**لندن**" في طريق عودتي بعد حوالي عشرة أيام. إذا كنت أنت وزوجك هنا عندئذ أو إذا تلقيت ردًا على خطابك أود أن أعرف النتيجة.

– بكل تأكيد يا عزيزتي الآنسة "**ماربل**"! وفي جميع الأحوال أريد أن تتقابلي مع "**جايلز**". هو حبوب جدًا. وسوف نتناقش في هذا الموضوع.

كانت "**جويندا**" قد استعادت مرحها مع ارتفاع معنوياتها. إلا أن الآنسة "**ماربل**" بدت مستغرقة في التفكير.

- 5 -

كان بعد ذلك ببضعة أيام أن دخلت الآنسة "**ماربل**" فندقًا صغيرًا في "**ميفيير**" حيث استقبلها السيد والسيدة "**ريد**" الشابان بحرارة وحماس.

– هذا زوجي يا آنسة "**ماربل**". "**جايلز**" يعجز لساني عن التعبير عن مدى كرم الآنسة "**ماربل**" تجاهي.

– أنا سعيد بلقائك يا آنسة "**ماربل**". علمت بما عانته "**جويندا**" وما شككها في قواها العقلية. تأملت عينا الآنسة "**ماربل**" الزرقاوان الحانيتان

"جايلز ريد" باستحسان. شاب ظريف طويل القامة أشقر الشعر ذو أسلوب جذاب في الطرف بعينيه بين حين وآخر بسبب خجل طبيعي. لحظت وضع ذقنه وفكيه المنبئ بالإصرار والتصميم. قالت "جويندا":

- سنتناول الشاي بحجرة المكتب الصغيرة المعتمة. لا أحد يقصدها أبداً وعندئذ يمكننا أن نطلع الآنسة "ماربل" على خطاب خالتي "أليسون". ثم أضافت عندما رفعت الآنسة "ماربل" بصرها باهتمام:

- نعم. لقد وصلني وتكاد محتوياته تتطابق مع ما سبق لك قوله. بعد الانتهاء من تناول الشاي نشر الخطاب وتمت قراءته. كتبت الآنسة "دانبي":

ابنتي الحبيبة "جويندا"،

"أزعجني ما علمته من أنك قد تعرضت لتجربة مقلقة. الواقع أنني قد نسيت كلية أنك عشت في "إنجلترا" فترة قصيرة وأنت بعد طفلة صغيرة.

قابلت والدتك، شقيقتي "ميجان" والدك العقيد "هاليداي" عندما كانت في زيارة لأصدقاء لنا كانوا آنذاك في "الهند". تزوجا وأنجباك هناك. بعد حوالي عامين من ميلادك توفيت والدتك وكانت وفاتها صدمة قاسية لنا. كتبنا إلى والدك الذي كنا قد راسلناه من قبل ولم نكن قد رأيناه قط، راجين أن يعهد بك إلينا لأنه يسرنا جداً أن تكوني في كنفنا خاصة أنه يصعب على رجل جيش أن يتولى مهامه ومعه طفلة صغيرة. إلا أن والدك رفض ذلك معللاً رفضه بأنه سوف يستقيل من الجيش ويعود بك إلى "إنجلترا". وعبر عن أمله في أن نزوره هناك في وقت ما. فهمت أن في أثناء رحلة عودة والدك التقى امرأة شابة وخطبها وتزوجها بمجرد وصوله إلى "إنجلترا". ولم يكن زواجهما سعيداً على حد علمي. وفهمت أنهما انفصلا بعد عام من الزواج. كان عندئذ أن كتب إلينا والدك يسألنا عما إذا كنا مازلنا مرحبين باستقبالك. غني عن القول مدى سعادتنا بأن تكوني معنا. بعث بك إلينا بصحبة مربية إنجليزية وفي الوقت ذاته تنازل والدك لك عن كل ما يمتلك واقترح أن تحملي اسمنا قانوناً. بدا ذلك غريباً لنا إلى حد ما ولكننا شعرنا بأنه بدافع حسن

النية- ومقصود به جعلك فرداً في عائلتنا بقدر أكبر - ولكننا لم ننفذ هذا الاقتراح. توفي والدك بعد ذلك بحوالي عام بإحدى دور الرعاية. أعتقد أنه كان قد تلقى أخباراً سيئة تتعلق بحالته الصحية في وقت إرساله إياك إلينا.

يؤسفني أنه لا يمكنني أن أخبرك بالمكان الذي عشت فيه مع والدك في "**إنجلترا**". من الطبيعي أن يكون العنوان قد كان على الظرف آنذاك لكن وقد مضى ثمانية عشر عاماً من غير الممكن أن أتذكر مثل هذه التفاصيل. أعلم أنه كان في جنوب "**إنجلترا**" وأعتقد أن "**دلموث**" عنوان صحيح وإن كنت أتخيل أنها "**دارتموث**"، والاسمان متشابهان. أعتقد أن زوجة أبيك تزوجت ثانية ولكنني لا أتذكر اسمها ولا حتى اسمها قبل الزواج على الرغم من أن والدك كان قد ذكره في خطابه الذي أخبرنا فيه بزواجه الثاني. أعتقد أننا كنا رافضين فكرة زواجه الثاني بمثل هذه السرعة ولكننا نعلم بالتأكيد كم يكون تأثير القرب المكاني على متن السفن عظيماً - وربما يكون قد رأى أيضاً أن في هذا الزواج مصلحة لك أنت.

تبدو حماقة مني ألا أخبرك بأنك قد عشت في "**إنجلترا**" حتى لو لم تتذكري ذلك ولكن الموضوع كله قد تلاشى من ذهني؛ إذ بدت وفاة والدتك في "**الهند**" ومجيئك لتعيشي معنا أهم نقاط حياتنا. أرجو أن تكون الأمور قد وضحت الآن. وآمل أن يتمكن "**جايلز**" من اللحاق بك قريباً لأنه من الصعب عليكما الافتراق في هذه المرحلة المبكرة. جميع أخباري في الخطاب التالي لأنني حرصت على سرعة الإجابة على استفسارك".

خالتك المحبة

"**أليسون دانبي**"

"ملاحظة: لم تذكري ماهية التجربة المقلقة التي تعرضت لها". قالت "**جويندا**":

- هل رأيت. ما ذكرته يكاد يتطابق مع ما قد اقترحته.

- نعم. نعم. هذا صحيح. التفسير المنطقي. طالما وجدت أنه يصيب

دائمًا. قال "**جايلز**":

ـ أنا ممتن لك يا آنسة "**ماربل**". كانت "**جويندا**" مضطربة تمامًا ولا أنكر أنني كنت سأصبح مهمومًا لو أن "**جويندا**" كانت متبصرة أو مستجيبة للمؤثرات الخارقة للطبيعة. قالت "**جويندا**":

ـ قد تكون هذه صفة داعية إلى القلق في الزوجة ما لم تكن مستقيمًا تمامًا في حياتك. فقال "**جايلز**":

ـ وأنا هكذا. فسألت الآنسة "**ماربل**":

ـ والمنزل؟ ما هو رأيك فيه؟

ـ آه... لا بأس به. وسنذهب إليه غدًا. "**جايلز**" شغوف برؤيته. فقال "**جايلز**":

ـ لا أعرف يا آنسة "**ماربل**" ما إذا كنت مدركة أن فحوى كل ذلك أننا أمام لغز جريمة من الدرجة الأولى، على عتبة بابنا أو بتعبير أدق في رواق منزلنا. قالت الآنسة "**ماربل**" متأنية:

ـ إنني مقتنعة بذلك... نعم. وقالت "**جويندا**":

ـ و"**جايلز**" عاشق للروايات البوليسية.

ـ حسنًا، ما أعنيه، أنها رواية بوليسية. بالرواق جثة امرأة جميلة مختنقة. لا معلومات عنها سوى اسمها الأول. أعلم بالتأكيد أن الجريمة وقعت منذ حوالي عشرين عامًا. ومن غير الممكن أن تكون هناك أدلة أو مفاتيح لهذا اللغز بعد كل هذه الفترة الزمنية لكن يمكننا على الأقل أن نبحث هنا وهناك ونحاول التقاط بعض الخيوط. آه! يمكنني القول بأن هناك استحالة لحل هذا اللغز. فقاطعته الآنسة "**ماربل**" قائلة:

ـ أعتقد أن ذلك ممكن حتى بعد مضي ثمانية عشر عامًا. نعم. أعتقد أنه ممكن.

ـ ومع ذلك وعلى أية حال لا ضرر من بذل محاولة جادة في هذا السبيل. توقف "**جايلز**" عن الكلام وبدا مشرق الوجه بينما تململت الآنسة "**ماربل**"

بغير ارتياح وبدت على وجهها ملامح الجد إلى حد الاضطراب. قالت:

– لكن قد تكون هناك أضرار جسيمة؛ لهذا أنصحكما... نعم أنصحكما بإخلاص أن تتخليا عن هذا الموضوع كلية.

– نتخلى عنه؟ لغز جريمة خاصة بنا – لو كانت هناك جريمة؟

– أعتقد كانت هناك جريمة. ولهذا ينبغي أن أتركها وشأنها. فالجريمة ليست – ليست بحق – من الأمور التي يمكن العبث بها ببساطة. فقال "**جايلز**":

– لكن يا آنسة "**ماربل**" لو أن الجميع اتخذوا هذا المسلك... فقاطعته قائلة:

– أعلم. هناك أوقات يكون التصرف فيها واجبًا –كأن يكون هناك بريء مدان – أو شكوك حول أشخاص آخرين – أو مجرم خطير مطلق السراح ومن الممكن أن يعاود ارتكاب جريمته. لكن يجب أن تدرك أن هذه الجريمة ضاربة في القدم. وربما لم يُعرف أنها جريمة وإلا لكنت قد سمعت عنها بسرعة كافية من البستاني العجوز أو من أيٍ من أهل البقعة. فالجريمة مهما طال الزمن الذي انقضى عليها تعتبر خبرًا دائمًا. لا بد أن تكون الجثة قد تم التصرف فيها بشكل أو بآخر ولم يثر الموضوع كله أية شكوك. هل أنتما واثقان – واثقان تمامًا – بأنه من الحكمة التنقيب عن هذا الموضوع من جديد؟ صاحت "**جويندا**":

– يا آنسة "**ماربل**"... تبدين مهتمة جداً.

– نعم. أنا كذلك يا عزيزتي. أنتما شابان ظريفان حديثا الزواج وسعيدان معًا. أرجوكما ألا تبدآ الكشف عن أمور من الممكن... كيف أعبر عنها؟ من الممكن أن تزعجكما وتحزنكما. دققت "**جويندا**" النظر إليها:

– تفكرين في شيءٍ محدد – في شيء – ما الذي تلمحين إليه؟

– ليس تلميحًا يا عزيزتي. إنني أنصحكما فقط أن تتخليا عن التنقيب عن هذا الموضوع؛ لأنني عشت زمانًا طويلاً وأعلم كم من الممكن أن تكون

الطبيعة البشرية مزعجة. وهذه نصيحتي لكما... أن تدعا هذا الموضوع وشأنه. قال "**جايلز**" وقد شابت صوته نبرة حزم:

– لكن لا مجال لأن نتركه وشأنه. "**جانب التل**" بيتنا، بيتي أنا و"**جويندا**". وقد قتلت فيه امرأة ما... أو هكذا نعتقد. لن أتستر على جريمة قتل حدثت في منزلي ولا أفعل شيئًا بشأنها حتى لو كانت قد وقعت منذ ثمانية عشر عاما! فتنهدت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– إني آسفة. أتصور أن هذا هو إحساس غالبية الشبان المتصفين بالشهامة. إنني أتعاطف معك وأكاد أُعجب بك لهذا السبب، ولكنني أتمنى... نعم... أتمنى... لو أنك لا تقدم على ذلك.

- 6 -

في اليوم التالي انتشر في قرية "**سانت ماري ميد**" خبر أن الآنسة "**ماربل**" قد عادت إلى بيتها. فقد رآها البعض في الشارع العمومي في الساعة الحادية عشرة. زارت مقر الكاهن في الثانية عشرة إلا عشر دقائق. زارتها بعد ظهر ذلك اليوم ثلاث من سيدات القرية للاطمئنان على أحوال المطرانية ثم ناقشن معها تفاصيل معرض الأشغال اليدوية الذي سيقام هناك للأغراض الخيرية. وفي وقت لاحق من المساء رؤيت الآنسة "**ماربل**" كعادتها بحديقة بيتها، ولكن نشاطها في هذه المرة كان منصبًّا على اقتلاع الحشائش أكثر منه على خدمات جيرانها. كانت شاردة الذهن في أثناء تناول وجبتها المسائية البسيطة وكادت تبدو غير مصغية تمامًا إلى حديث خادمتها الصغيرة "**إيفلين**" عمًّا جرى بالمنطقة في أثناء غيابها. وفي اليوم التالي كانت لا تزال شاردة الذهن إلى حد لحظته بعض السيدات بمن فيهن زوجة الكاهن. ذكرت الآنسة "**ماربل**" في ذلك المساء أنها معتلة الصحة قليلاً وأوت إلى فراشها. وفي صباح اليوم التالي أرسلت في طلب الدكتور "**هيدوك**". كان الدكتور "**هيدوك**" طبيبها الخاص وصديقها ومعينها منذ سنوات. أصغى إلى حديثها

عن الأعراض التي تعانيها ثم فحصها ثم استند إلى الخلف فوق مقعده ملوحًا لها بسماعته. قال:

– لامرأة في هذه السن، وعلى الرغم من مظهر ضعفك الخادع أنت بصحة جيدة تمامًا. وقالت الآنسة "**ماربل**":

– أنا متأكدة أنني بحالة صحية جيدة عمومًا ولكنني أعترف بإحساسي بقدر من الإرهاق. بقدر من الإجهاد.

– ربما أرهقت نفسك بكثرة الحركة في "**لندن**" وبالسهر حتى ساعات ممتدة.

– هذا صحيح. حتى أنني أعتبر "**لندن**" متعبة إلى حد ما في هذه الأيام. والهواء – مستنفد الأكسيجين – ليس مثل هواء المناطق الساحلية.

– الهواء في "**سانت ماري ميد**" ظريف ونقي.

– ولكنه رطب ومائل إلى الحرارة بعض الشيء. ليس منشطًا تمامًا. رمقها الدكتور "**هيدوك**" بنظرات الاهتمام قائلاً:

– سوف أرسل إليك دواءً مقويًا.

– شكرًا لك يا دكتور. شراب "**إيستون**" يناسبني تمامًا.

– ليس هناك ما يدعو إلى أن تقومي عني بوصف الدواء المناسب يا مرأة.

– إنني لأتساءل عما إذا كان تغيير الجو ربما... ورمقته الآنسة "**ماربل**" بنظرات تساؤل صادقة بريئة. قال:

– لقد تغيبت عن القرية ثلاثة أسابيع كاملة.

– أعلم... ولكنني توجهت إلى "**لندن**" المثيرة للأعصاب كما تقول، ثم إلى الشمال... الحي الصناعي البعيد كل البعد عن هواء البحر المنعش. أعاد الدكتور "**هيدوك**" آلاته إلى حقيبته ثم استدار مبتسمًا. قال:

– أسمعيني سبب إرسالك في طلبي. أخبريني بالعلاج وسوف أردده بعدك. تريدين أن يكون رأيي المهني هو أنك محتاجة إلى هواء البحر... فقاطعته الآنسة "**ماربل**" بقولها:

ـ كنت واثقة بأنك سوف تقدر.

ـ هواء البحر شيء ممتاز. ومن الأفضل أن تذهبي إلى "إيستبورن" فوراً وإلا تعرضت صحتك لمخاطر جسيمة.

ـ أعتقد أن جو "إيستبورن" بارد. المنخفضات أفضل كما تعلم.

ـ "بورنموث" إذن. أو جزيرة "وايت".

ـ أعتقد دائماً أن الأماكن الصغيرة ممتعة بقدر أكبر. جلس الدكتور "هيدوك" ثانية.

ـ لقد أثرت فضولي. أية بلدة ساحلية صغيرة تقترحين؟

ـ حسناً. كنت أفكر في "دلموث".

ـ بقعة صغيرة جميلة وإن كانت هادئة جداً. لكن لماذا "دلموث"؟ صمتت الآنسة "ماربل" لحظة عادت إليها خلالها تلك النظرة المهمومة. قالت:

ـ لنفترض أنك ذات يوم وبمحض المصادفة اكتشفت أمراً يبدو أنه يشير إلى أن جريمة قتل قد وقعت منذ تسعة عشر عاماً أو عشرين عاماً، وأن الأمر أصبح معروفاً لك وحدك وأنه لم يكن هناك شك أو إبلاغ عن وقوع تلك الجريمة، فماذا كنت ستفعل إزاء ذلك؟

ـ استعادة لأحداث جريمة في الواقع؟

ـ تماماً. فكر "هيدوك" لحظة ثم سأل:

ـ لم يكن هناك إقامة للعدالة؟ ولا أحد عانى نتيجة لهذه الجريمة؟

ـ لا. وفقاً لرؤيتنا.

ـ همم. استعادة لأحداث جريمة. جريمة قتل نائمة. حسناً. سأخبرك. كنت سأدع الجريمة النائمة تواصل نومها. هذا ما كنت سأفعله فالعبث بالجريمة أمر خطر. بل ومن الممكن أن يكون غاية في الخطورة.

ـ هذا ما أخشاه.

ـ يقول الناس إن القاتل يكرر جرائمه دائماً. وهذا ليس صحيحاً. فهناك نوعية تقترف جريمة وتتمكن من الفرار من العقوبة ثم تتوخى غاية الحذر من

أن تطل برأسها ثانية. لا أعتقد أن هؤلاء يعيشون في سعادة بعد ذلك... لا أعتقد ذلك فهناك أنواع كثيرة من العقاب. وإن كانوا في ظاهرهم يبدون على ما يرام. ربما كان هذا هو الحال في قضية "**مادلين سميث**" أو في قضية "**ليزي بوردن**". لم تثبت الإدانة في قضية "**مادلين سميث**" وأطلق سراح "**ليزى**"... ولكن كثيرين يعتقدون أن كلتا المرأتين مذنبتان. وفي وسعي أن أذكر لك كثيرين. لم يكرروا جرائمهم قط... جريمة واحدة أعطتهم ما كانوا يريدون واكتفوا. لكن لنفترض أن خطراً ما قد واجههم؟ أعتقد أن القاتل في الجريمة التي تتحدثين عنها كان واحداً من هذه النوعية. اقترف جناية وأفلت بها ولم يشك أحد في الأمر. لكن إذا بدأ أحد يقلِّب الأحداث ويحاول كشف الأمور ويقلِّب هنا وهناك ويبحث في الشوارع والأزقة وربما يصيب الهدف في النهاية؟ فماذا عسى القاتل أن يفعل إزاء ذلك؟ هل يكتفي بالبقاء حيث هو مبتسماً بينما يقترب خطر الاكتشاف منه أكثر فأكثر؟ لا. طالما ليس في الموضوع ثمة مبدأ فرأيي أن يترك الموضوع حيث هو. ثم أضاف مردداً عبارته السابقة:

– دعي الجريمة النائمة تواصل نومها. أضاف بعد ذلك بنبرة حازمة:

– وهذه هي تعليماتي لك. دعي الأمر كله وشأنه.

– لكن لست أنا ذات الصلة بالموضوع. إنهما زوجان شابان رائعان. دعني أروي لك ما حدث. روت له القصة كاملة وأصغى هو. قال بعد أن انتهت من روايتها:

– أمر غريب. مصادفة غريبة. الموضوع كله غريب واستثنائي. افتُرض أنك تدركين التضمينات؟

– بالتأكيد ولكنني أظن أنهما لم يدركاها بعد.

– سوف يعني هذا قدراً كبيراً من التعاسة وسوف يتمنيان لو أنهما لم يتورطا في هذا الموضوع. ينبغي أن تترك الهياكل العظمية بداخل صناديقها. ومع ذلك أنا مقتنع بوجهة نظر هذا الشاب. لو كنت مكانه ما تركت الأمر

وشأنه. وحتى وأنا في هذا الموقف.. اشتد فضولي... توقف عن الحديث موجهًا نظرة حازمة إلى الآنسة "**ماربل**" :

- هذه هي مبررات ذهابك إلى "**دلموث**" إذن. لتتورطي في موضوع لا شأن لك به.

- أبدًا يا دكتور "**هيدوك**" . ولكنني قلقة على هذين الزوجين. فهما صغيرا السن جدًا ولا خبرة لديهما فضلاً على أنهما يثقان بكل أحد ويصدقان كل شيء. أشعر بأن من واجبي أن أكون قريبة منهما حتى يمكنني رعايتهما.

- لهذا السبب إذن تذهبين إلى هناك. حتى يمكنك رعايتهما! ألا يمكنك أبدًا أن تتركي الجرائم وشأنها يا مرأة؟ حتى لو كان قد انقضى عليها كل هذا الزمن؟ رمقته الآنسة "**ماربل**" بابتسامة أنيقة مهذبة قائلة:

- ولكنك مقتنع بأن بضعة أسابيع في "**دلموث**" ستفيدني صحيًّا؟ فقال الدكتور "**هيدوك**" :

- الاحتمال الأكبر أن تقضي عليك ولكنك لا تصغين إلى ما أنصحك به!

- 7 -

في طريقها لزيارة صديقيها العقيد "**بانتري**" وزوجته، التقت الآنسة "**ماربل**" العقيد "**بانتري**" آتيا على الممر وسلاحه الناري بيده وكلبه عند قدميه. رحب بها بحرارة.

- يسرني أن أراك تعودين. ما هي أخبار "**لندن**"؟ أخبرته بأن "**لندن**" على خير ما يرام وأن ابن شقيقها قد اصطحبها إلى عدد من العروض المسرحية.

- أراهن على أنها كانت بمسارح المجتمعات الراقية. أما أنا فلا أحب إلى نفسي من المسرحيات الموسيقية. أخبرته الآنسة "**ماربل**" بأنها شاهدت مسرحية روسية شائقة وإن كانت طويلة جدًا. فانفجر العقيد "**بانتري**" قائلاً:

- هؤلاء الروس! ذلك لأنه كان قد أُعطي ذات مرة إحدى روايات "**دوستويفسكي**" ليقرأها في دور رعاية المسنين. وأخبرها بأنها سوف تجد

"**دوللي**" بالحديقة. فكانت السيدة "**بانتري**" دائمة التواجد بالحديقة تقريبًا. كانت العناية بالحديقة هي هوايتها المفضلة. وأما ما كانت تفضل قراءته فهو كتالوجات الأبصال، وما تتناوله أحاديثها فهو الزهور والأبصال والشجيرات المزهرة وكل جديد في عالم الأنشطة البستانية. وقد رأتها الآنسة "**ماربل**" أول مرة في ملابس فلاحة من التويد الباهت. عند سماع وقع أقدام تقترب اعتدلت السيدة "**بانتري**" مجفلة - إذ أصابتها هوايتها هذه ببعض آلام المفاصل - وجففت عرق وجهها بيد ملوثة بالطين ثم رحبت بصديقتها. قالت:

- سمعت أنك عدت يا "**جين**". ما رأيك في زهور العابق هذه؟ وهل رأيت زهور الجنطيانا[1] هذه؟ واجهت صعوبة في تنميتها ولكنها أصبحت آمنة الآن. كل ما تحتاج إليه هو الأمطار. كان الجو جافًا بدرجة كبيرة. توقفت لحظة ثم قالت:

- أخبرتني "**إستير**" بأنك مريضة وملازمة الفراش. ويسعدني أن أراك بصحة جيدة. كانت "**إستير**" هذه هي طاهية السيدة "**بانتري**" وضابط الاتصال بالقرية، فأجابتها الآنسة "**ماربل**" بقولها:

- قدر من الإرهاق لا أكثر. يرى الدكتور "**هيدوك**" أنني محتاجة إلى قدر من هواء البحر. أشعر بضعف شديد. فقالت السيدة "**بانتري**":

- من المستحيل أن تغادري المنطقة الآن. فهذا أفضل أوقات العام بالنسبة إلى الحدائق. لابد أن تكون شجيرات سياج حديقتك موشكة على الإزهار.

- يرى الدكتور "**هيدوك**" أن جو البحر أفضل لي.

- حسنًا، ليس الدكتور "**هيدوك**" أحمق مثل غيره من الأطباء.

- كنت أتساءل يا "**دوللي**" عن الطاهية التي تعمل لديك.

- أية طاهية؟ هل تريدين طاهية؟ لا تعنين تلك المرأة المدمنة الخمر. أليس كذلك؟

- لا. لا. أنا أعني تلك المرأة التي صنعت ذلك الصنف اللذيذ من

---

(1) الجنطيانا: نوع من نباتات زهور الزينة.

المخبوزات. التي كان زوجها كبير خدم.

– آه... تعنين السلحفاة التقليد. ذات الصوت الكئيب العميق التي دائماً ما بدت وكأنها ستنفجر باكية. كانت طاهية ممتازة وكان زوجها بديناً كسولاً. من المؤسف أن يكون أحد الزوجين على غير المستوى المرضي دائماً. حصلا على هبة تركها لهما أحد مستخدميهما السابقين فذهبا إلى الساحل الجنوبي وافتتحا منزلاً للإقامة.

– هذا ما اعتقدته تحديداً. هل كان ذلك في "**دلموث**"؟

– نعم. رقم 14 منتزه البحر "**دلموث**".

– كنت أفكر في أنه مادام الدكتور "**هيدوك**" قد اقترح عليّ الذهاب إلى مكان ساحلي فربما أذهب إلى... هل كان اسمهما "**سوندر**"؟

– نعم. وهذه فكرة رائعة يا "**جين**". هذا أفضل ما يمكنك عمله. سوف تحسن السيدة "**سوندر**" رعايتك وحيث إننا لسنا في موسم السياحة حالياً فسوف يسرهما استقبالك بلا مقابل كبير. مع الطعام الجيد الطهي والهواء النقي سرعان ما سوف تتعافين. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– شكراً يا "**دوللي**". هذا ما أتوقعه.

- 8 -

سأل "**جايلز**":

– أين تظنين كانت الجثة؟ في هذا الموضع تقريباً؟ كان هو و"**جويندا**" واقفين بالردهة الأمامية بـ"**جانب التل**". كانا قد عادا في الليلة السابقة وكان "**جايلز**" في أفضل حالاته. كان مسروراً سرور الطفل بلعبته الجديدة. قالت "**جويندا**":

– تقريباً. تراجعت صاعدة الدرج ثم أطلت إلى أسفل فاحصة:

– نعم. أظن في هذا الموضع تقريباً. قال "**جايلز**":

– اجثمي إلى أسفل. فأنت في حوالي الثالثة من العمر كما تعلمين. وجثمت "**جويندا**" خائفة.

– ألم يمكنك رؤية الرجل الذي قال تلك الكلمات فعلاً؟

– لا أتذكر أنني رأيته. لابد أنه كان أبعد إلى الخلف قليلاً... نعم، هناك. لم يمكنني سوى رؤية مخالبه. قال "**جايلز**" مقطباً:

– مخالبه.

– كانت مخالب. مخالب رمادية... ليست بشرية.

– لكن تذكري يا "**جويندا**". ليست هذه من نوعيات الجرائم المسرحية. ليس للرجال مخالب.

– حسناً... كانت له مخالب. رمقها "**جايلز**" بنظرات الريبة.

– لابد أنك قد تخيلت هذه الجزئية فيما بعد. فقالت "**جويندا**" بنبرة متأنية:

– ألا تظن أنني ربما قد تخيلت الموضوع برمته؟ لقد فكرت طويلاً يا"**جايلز**". حتى أنه قد أصبح يبدو لي أن من المحتمل جداً أن يكون الموضوع كله حلماً. وربما كان كذلك. نوعية الأحلام التي يراها الطفل ويخاف منها جداً تظل في ذاكرته. ألا ترى حقاً أن هذا هو التفسير الصحيح؟ لأنه يبدو أن لا أحد في "**دلموث**" لديه أدنى فكرة عن وقوع جريمة قتل أو حدوث وفاة مفاجئة أو واقعة اختفاء أو أي شيء غريب ذي صلة بهذا المنزل. بدا "**جايلز**" مثل صبي من نوعية مختلفة... صبي أخذت منه لعبته الجديدة. قال معترفاً رغماً عنه:

– ربما كان كابوساً. وسرعان ما تغيرت ملامح وجهه وقال:

– لا. لا أصدق ذلك. كان من الممكن أن تحلمي بمخالب قردة وبامرأة متوفاة. لكن من غير الممكن أن تحلمي بتلك العبارة المقتبسة من مسرحية "**دوقة مالفي**".

– من المحتمل أن أكون قد سمعت أحداً يقولها ثم حلمت بها فيما بعد.

– لا أعتقد أن أية طفلة يمكنها ذلك. ما لم تكوني قد سمعتها في ظروف توتر شديد – وإذا كان هذا هو الحال فإننا بذلك نعود إلى حيث كنا – انتظري لحظة. لقد فهمت. المخالب هي ما حلمت به. رأيت الجثة وسمعت

الكلمات فأصبحت في حالة من الذعر الشديد ثم حلمت بهذا الموضوع – وكان حلمًا مزعجًا – رأيت فيه مخالب قرد تلوّح أيضًا – ربما كنت تخافين من القردة.

– أعتقد أن هذا ربما هو ما حدث...

– أتمنى لو أنه يمكنك أن تتذكري قدراً آخر... تعالي إلى هنا بالرواق. أغمضي عينيك. فكري... ألا يعاودك المزيد؟

– لا يا "**جايلز**"... كلما أمعنت التفكير ابتعدت الصورة عني بقدر أكبر... أعني أنني بدأت الآن أشك في أنني قد رأيت شيئًا ألبتة. ربما أنني أصبت في تلك الليلة بنوبة جنون عابرة وأنا بالمسرح.

– لا. كان هناك شيء ما. وهذا ما تعتقده الآنسة "**ماربل**" أيضًا. وماذا عن "**هيلين**"؟ من المؤكد أنك لابد تتذكرين شيئًا ما عن "**هيلين**".

– لا أتذكر أي شيء. إنها مجرد اسم.

– وربما لا يكون الاسم الصحيح أيضًا.

– نعم. هو الاسم الصحيح. كانت هي "**هيلين**". بدت "**جويندا**" متمسكة برأيها ومقتنعة فقال "**جايلز**" محتكمًا إلى المنطق:

– مادمت متأكدة إلى هذا الحد من أنها كانت "**هيلين**" فلابد أنك تعرفين عنها شيئًا ما. هل كنت تعرفينها جيداً؟ هل كانت تعيش هنا؟ أم كانت تقيم هنا فقط؟ بدأ التوتر يظهر جليًّا على "**جويندا**" قالت:

– قلت لك إنني لا أعلم. جرب "**جايلز**" وسيلة أخرى:

– من أيضًا يمكنك أن تتذكريه... والدك؟

– لا... أعني لا أستطيع أن أجزم بذلك. كانت صورته هناك دائمًا. واعتادت خالتي "**أليسون**" أن تقول لي: "هذا والدك". ولكنني لا أتذكره هنا في هذا المنزل.

– ولا الخدم... والمربيات... أو أي شيء كهذا؟

– لا... لا. وكلما حاولت أن أتذكر مُحيت الذاكرة من ذهني. والأشياء التي أعرفها جميعها دفينة في العمق... مثل التوجُّه إلى الباب تلقائيًّا. لم

أتذكر وجود باب في هذا الموضع. ربما لو لم تضغط عليّ بهذا القدر يا "**جايلز**" عاد إليّ مزيد من الذاكرة. على أية حال لا أمل في محاولة كشف كل هذا. فقد مضى عليه زمن طويل.

– الأمل موجود بالتأكيد. حتى الآنسة "**ماربل**" تعترف بذلك. فقالت "**جويندا**":

– لم تمدنا بأية أفكار تساعدنا على كيفية متابعة الموضوع. ومع ذلك أشعر من البريق الذي يلوح في عينيها بأن لديها عدداً منها. أتساءل كيف كانت هي ستتصرف. فقال "**جايلز**" بنبرة قاطعة:

– لا أعتقد أن من المحتمل أن تفكر في وسائل لم تخطر لنا ببال. لابد أن تتوقف عن التحرر يا "**جويندا**" ونبدأ بالتعامل مع الأمور بطريقة منظمة. وقد أوجدنا لدينا بداية... اطلعت على سجلات وفيات المنطقة. ولم أجد "**هيلين**" بالسن الصحيحة بينها. واقع الأمر أنه لم تكن هناك أية امرأة اسمها "**هيلين**" في الفترة التي غطيتها قط. وكانت أقربها "**إلين باج**" وعمرها أربعة وتسعون عاماً. ينبغي الآن أن نفكر في الطريقة المجدية التالية. مادام أن والدك وزوجة أبيك قد عاشا في هذا المنزل فلابد أن يكونا قد اشترياه أو استأجراه.

– طبقًا لما ذكره "**فوستر**" قطنه أناس باسم "**إلورثي**" قبل آل "**هنجريف**" وقبلهم السيدة "**فنديسون**". ولا أحد غيرهم.

– ربما والدك اشتراه وعاش فيه فترة قصيرة جداً... ثم باعه ثانية. وإن كنت أعتقد أن الاحتمال الأكبر هو أن يكون قد استأجره... مفروشاً. وفي هذه الحالة يكون أفضل اتجاه لنا هو الاتصال بوكلاء العقارات.

لم يستغرق الاتصال بوكلاء العقارات طويلاً إذ لم يكن هناك سوى اثنين منهم في "**دلموث**". كان السادة "**ولكنسون**" حديثي العهد بالمنطقة نسبيًا فلم يفتحوا مكتبهم إلا منذ أحد عشر عاماً. وكانت غالبية تعاملاتهم في البناغل[1] الصغيرة والمنازل الجديدة الواقعة على الطرف الآخر من البلدة. والوكلاء الآخرون السادة "**جالبريث**" و"**بندرلي**" كانوا أصحاب المكتب

---

(1) البناغل: البيوت ذات الطابق الواحد.

الذي اشترت "**جويندا**" منه المكتب. عندما ذهب "**جايلز**" إليهم أخبرهم بأنه وزوجته سرًا بسكنى "**جانب التل**" و"**دلموث**" عمومًا، وأن السيدة "**ريد**" قد اكتشفت مؤخرًا أنها قد عاشت في "**دلموث**" عندما كانت طفلة صغيرة وأن لديها ذكريات باهتة عن المكان ولديها فكرة بأن "**جانب التل**" كان المنزل الذي عاشت فيه فعلاً وإن لم يمكنها التأكد من ذلك تمامًا. وسألهم عما إذا كانت لديهم سجلات تفيد بأن المنزل قد سبق إيجاره للعقيد "**هاليداي**" منذ حوالي ثمانية عشر أو تسعة عشر عامًا... قال السيد "**بندرلي**" معتذرًا:

– يؤسفني أنه من غير الممكن إفادتك بذلك يا سيد "**ريد**". سجلاتنا لا تمتد إلى هذا التاريخ – فيما يتصل بالإيجار المفروش أو الإيجار القصير المدة. إنني غاية في الأسف يا سيد "**ريد**". ولو كان موظفنا القديم السيد "**ناراكوث**" لا يزال على قيد الحياة – ولكنه توفي في الشتاء الماضي – لكان قد أمكنه أن يساعدك. كان يتمتع بذاكرة قوية جدًا وقد عمل مع المكتب طيلة ثلاثين عامًا.

– أليس هناك شخص آخر يمكنه أن يتذكر؟

– جميع مستخدمينا من صغار السن نسبيًا. ولكن هناك السيد "**جالبريث**" ذاته بالتأكيد وقد تقاعد عن العمل منذ سنوات قليلة. فقالت "**جويندا**":

– ربما يمكنني أن أستفسر منه؟

– لا أعرف حقيقة. فقد أصيب بسكتة دماغية في العام الماضي أضعفت ذاكرته بدرجة كبيرة. وهو فوق الثمانين أيضًا.

– هل يعيش في "**دلموث**"؟

– نعم. في منتجع "**كلكتا**". بيت صغير ظريف على طريق "**سيتون**" ولكنني لا أعتقد. قال "**جايلز**" مخاطبًا "**جويندا**":

– إنه أمل ضعيف. لكن ربما يسفر عن شيء مفيد. لا أعتقد أنه من الحكمة أن نكتب إلى الرجل. لنذهب إليه معًا ونريه شخصيتنا. كان منتجع "**كلكتا**" محاطًا بحديقة أنيقة جيدة النظام وحجرة الجلوس التي استقبلا فيها أنيقة

أيضًا وإن كانت مزدحمة قليلاً. فاحت منها رائحة شمع العسل. كانت لامعة الأثاث وعلى نوافذها ستائر ثقيلة. دخلت الحجرة امرأة في منتصف العمر مرتابة النظرات. أسرع "**جايلز**" يذكر سبب الزيارة. وبدت على الآنسة "**جالبريث**" علامات الارتياح. قالت:

– إنني آسفة لأنني لن يمكنني مساعدتكما؛ فقد مضى زمن طويل على ذلك. فقالت "**جويندا**":

– يتذكر المرء بعض الأمور أحيانًا.

– من المؤكد أنه ليس من المفترض أن أعرف أنا أي شيء. فلم تكن لي أدنى صلة بهذا العمل قط. قلت إن اسمه العقيد "**هاليداي**"؟ لا. لا أذكر أنني التقيت أحدًا بهذا الاسم في "**دلموث**". فقالت "**جويندا**":

– ربما والدك يذكر. هزت الفتاة رأسها قائلة:

– أبي؟ لا يتذكر الكثير الآن. وذاكرته ليست مستقرة أيضًا. كانت نظرات "**جويندا**" مستقرة على منضدة ذات حلية نحاسية وانتقلت منها إلى موكب فيلة من الأبنوس[1] فوق رف المدفأة. قالت:

– ربما قد يتذكر شيئًا ما؛ لأن والدي كان قد عاد من "**الهند**" توًا. بيتكم اسمه منتجع "**كلكتا**"؟ فقالت الآنسة "**جالبريث**":

– نعم. عاش والدي في "**كلكتا**" فترة من الزمن. كانت له أعمال هناك. ثم قامت الحرب وفي عام ألف وتسعمائة وعشرين أتى إلى المكتب هنا وكان يود أن يعود إلى هناك. هذا ما كان يقوله دائمًا. ولكن والدتي لم تحب البلاد الغريبة – ومن غير الممكن القول إن المناخ كان صحيًا تمامًا. لا أدري لكن ربما تحبان لقاء أبي. ولا أدري ما إذا كان بحالة مناسبة اليوم.

تقدمتهم إلى حجرة مكتب صغيرة خلفية حيث جلس فوق مقعد جلدي مستهلك رجل مسن ذو شارب أبيض كثيف. كان وجهه مشدودًا إلى أحد الجانبين قليلاً. رمق "**جويندا**" بنظرات الاستحسان عندما ذكرت ابنته له

---

(1) الأبنوس: نوع من الشجر خشبه أسود يستخدم في الأثاث.

اسمها. قال بصوت غير واضح تمامًا:

– لم تصبح الذاكرة كما كانت. هل قلت "**هاليداي**"؟ لا. لا أتذكر هذا الاسم. كنت أعرف صبيًا بهذا الاسم، الاسم بالمدرسة في "**يوركشير**" ولكن هذا منذ أكثر من سبعين عامًا. قال "**جايلز**":

– نعتقد أنه استأجر "**جانب التل**".

– "**جانب التل**"؟ هل كان هذا هو اسم المنزل آنذاك؟ كانت هناك امرأة فاضلة تعيش به اسمها "**فنديسون**".

– ربما كان والدي قد استأجره مفروشًا... كان عائدًا من "**الهند**" توًا.

– "**الهند**"؟ هل قلت "**الهند**"؟ أتذكر مثل هذا الشخص. ضابط بالجيش. كان يعرف ذلك الرجل "**محمد حسن**" الذي باعني عددًا من قطع السجاد. كانت له زوجة... وطفل – ابنة صغيرة. فقالت "**جويندا**" بنبرة تأكيد:

– كانت تلك أنا.

– حقيقة... مستحيل! حسنًا... حسنًا... الزمن يطير. والآن، ماذا كان اسمه؟ طلب شقة مفروشة... نعم. كانت السيدة "**فنديسون**" قد تلقت أمرًا بالذهاب إلى "**مصر**" أو إلى بلد ما آخر لقضاء فصل الشتاء هناك. كل هذا هراء. والآن ماذا كان اسمه؟ فقالت "**جويندا**":

– "**هاليداي**".

– هذا صحيح يا عزيزتي... "**هاليداي**". العقيد "**هاليداي**". رجل ظريف. وزوجته فاتنة وصغيرة السن جدًا – شقراء – أرادت أن تكون على مقربة من أهلها أو شيئًا من هذا القبيل. نعم. جميلة جدًا.

– من كانوا أهلها؟

– ليست لديّ أدنى فكرة. لا تشبهينها. كادت "**جويندا**" أن تقول "ليست هي سوى زوجة أبي" ولكنها امتنعت عن قول ذلك حتى لا ينحرف الحديث عن المسار المطلوب. قالت:

– كيف كانت تبدو؟ وأجاب السيد "**جالبريث**" على غير المتوقع:

- بدت مهمومة. هذا ما كانت تبدو عليه - مهمومة. نعم! رجل ظريف جداً ذلك الرجل "**العقيد**". أثار اهتمامه أنه علم أنني كنت في "**كلكتا**". ليس مثل الآخرين الذين لم يبرحوا "**إنجلترا**" قط. هؤلاء ضيِّقو الأفق. أما أنا فرأيت العالم. ماذا كان اسمه ذلك الرجل العسكري... الذي طلب منزلاً مفروشاً؟ بدا الرجل مثل فونغراف ضارب في القدم يردد تسجيلاً مقتضباً.

- "**سانت كاثرين**". هذا اسمه. استأجر "**سانت كاثرين**" في مقابل ستة جنيهات في الأسبوع بينما كانت السيدة "**فنديسون**" في "**مصر**". توفيت هناك تلك المرأة المسكينة. وعرض المنزل في المزاد - ومن الذي اشتراه؟ آل "**إلوردني**" - نعم - عدد من النساء - أخوات. غيَّرن اسمه - قلن إن اسم "**كاثرين**" اسم ديني. كن مدققات في كل ما يتعلق بالدين. كن يوزعن نشرات دينية. جميعهن نساء عاديات جداً. كان لهن اهتمام بأهالي المنطقة. أرسلن إليهم الملابس والكتب المقدسة. ونجحن في دعوة كثيرين من الوثنيين إلى الإيمان. تنهد فجأة واستند إلى الخلف ثم قال:

- كل ذلك منذ زمن طويل. لا أتذكر الأسماء. ذلك الرجل القادم من "**الهند**" - رجل ظريف... أنا متعب يا "**جلاديس**" - أريد شاياً. شكره "**جايلز**" و"**جويندا**" ثم شكرا ابنته وخرجا. وهنا قالت "**جويندا**":

- هذا ثابت إذن. عاش والدي وأنا في "**جانب التل**". ماذا نفعل بعد ذلك؟

فقال "**جايلز**":

- كم أنا غبي. "**سومرست هاوس**". فسألته "**جويندا**":

- وما هو "**سومرست هاوس**"؟

- إنه مكتب السجل المدني حيث يمكن الاطلاع على الزيجات. سأذهب إلى هناك لأطلع على زواج والدك. طبقاً لما ذكرته خالتك تزوج والدك زوجته الثانية فور وصوله إلى "**إنجلترا**"! ألا ترين يا "**جويندا**" أنه كان من الواجب أن نفكر في هذه الخطوة من قبل - فربما كانت "**هيلين**" تلك إحدى قريبات زوجة أبيك - أو أختا صغرى لها. على أية حال عندما نعرف لقب أسرتها قد

نتمكن من التوصل إلى من يعرف شيئًا عن "**جانب التل**" . تذكري أن الرجل العجوز قال إنهما أرادا منزلاً في "**دلموث**" حتى يكونا قريبين من أهل السيدة "**هاليداي**" . فإذا كان أهلها يعيشون في منطقة قريبة من هنا فقد يمكننا التوصل إلى شيء ما. قالت "**جويندا**" :

- "**جايلز**" أعتقد أنك رائع.

- 9 -

لم يجد "**جايلز**" ضرورة للذهاب إلى "لندن" . فعلى الرغم من تشجيع طبيعته القوية له على دوام الحركة والتنقل ومحاولة القيام بكل شيء بنفسه إلا أنه اعترف بأن استفسارًا روتينيًا بحتًا من الممكن أن يفي بالغرض. اتصل بمكتبه هاتفيًا. قال متعجبًا بحماس عندما وصلت الإجابة المتوقعة:

- لقد حصلت على ما أريد . ومن الخطاب المرافق انتزع صورة من عقد زواج.

- هاك يا "جويندا" . في يوم الجمعة السابع من آب (أغسطس) بمكتب سجل مدني "**كنسنجتون**" . تزوَّج "**كلفين جيمس هاليداي**" بـ "**هيلين سبنلوف كينيدي**" . صاحت "**جويندا**" بصوت حاد:

- "**هيلين**"؟ نظر كل منهما إلى الآخر. وقال "**جايلز**" بنبرة متأنية:

- لكن - لكن من المستحيل أن تكون هي - أعني أنهما قد انفصلا وتزوجت هي ثانية - ورحلت. فقالت "**جويندا**" :

- لا نعلم أنها رحلت... ثم ألقت نظرة أخرى على الاسم المكتوب بوضوح: "**هيلين سبنلوف كينيدي**" . "**هيلين**" ...

بعد ذلك ببضعة أيام، وإذ كانت "**جويندا**" تسير بإحدى المتنزهات توقفت فجأة بجوار إحدى الواقيات الزجاجية الموجودة للاستراحة التي زودت إحدى الشركات البقعة بها لاستخدام زائريها. صاحت بدهشة عارمة:

- الآنسة "**ماربل**"؟ كانت هذه الآنسة "**ماربل**" بالفعل مدثرة بمعطف

زاغب وبشملة حول عنقها.قالت الآنسة "**ماربل**" بهدوء:

– أنا واثقة بأنها مفاجأة لك أن تريني هنا. ولكن الطبيب هو الذي أمرني بالابتعاد عن المدينة قليلاً والذهاب إلى منطقة على ساحل البحر من قبيل التغيير، ووصفك لـ "**دلموث**" بدا لي مغريًا تمامًا حتى أنني قررت المجيء إلى هنا... خاصة أن طاهية إحدى صديقاتي وكبير خدمها يديران بيتًا لاستقبال المقيمين هنا. سألتها "**جويندا**":

– لكن لماذا لم تأت لزيارتنا؟

– كبار السن يسببون متاعب للآخرين يا عزيزتي. وحديثو الزواج ينبغي أن يتركوا لبعضهم البعض. أنا واثقة بأنكما كنتما سترحبان بي بدرجة كبيرة. وكيف حالكما؟ وهل أحرزتما أي تقدم بشأن هذا اللغز؟

– نبذل ما في وسعنا. وذكرت تفاصيل ما أمكنهما الحصول عليه من بحثهما حتى تاريخه. وختمت حديثها بقولها:

– والآن نشرنا إعلانا بعدد من الصحف – المحلية و"**التايمز**" وعدد من الصحف اليومية الكبرى أيضًا. طلبنا في الإعلان أن يتصل بنا من لديه أية معلومات عن "**هيلين سبنلوف هاليداي**" واسم عائلتها قبل الزواج "**كينيدي**". ألا تعتقدين معي أن من الوارد أن نتلقى ردودًا على هذا الإعلان؟ جاءت نبرة صوت الآنسة "**ماربل**" هادئة كعادتها على الرغم من علامات الاضطراب التي لاحت بعينيها. رمقت "**جويندا**" بنظرة تقييم خاطفة إذ لم ترقها نبرة حماس "**جويندا**" وإصرارها. فقد بدت "**جويندا**" لها مهمومة. فربما التضمينات التي كان الدكتور "**هيدوك**" قد تحدث عنها بدأت تلوح بإدراكها. نعم ولكن الآن ولّى أوان التراجع... قالت الآنسة "**ماربل**" بنبرة اعتذار رقيقة:

– لقد أصبحت كبيرة الاهتمام بكل هذا. حياتي – كما تعلمين خالية من أسباب الإثارة تقريبًا. أرجو ألا تعتبراني متطفلة جدًا لو أنني طلبت منك إحاطتي علمًا بأي جديد في الموضوع:

فقالت "**جويندا**" بنبرة دافئة:

- سوف نخبرك بكل تأكيد. ستكونين على علم بكل شيء. على الأقل لأنه لولاك لكنت الآن أحث الأطباء على احتجازي بإحدى المصحات العقلية. أعطني عنوانك هنا - ثم لابد أن تأتي وتتناولي الشاي معنا وتلقي نظرة إلى المنزل. لابد لك من أن تري الجريمة. أليس كذلك؟ ضحكت وشاب ضحكتها قدر من التوتر. وعندما ذهبت إلى حال سبيلها هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها برفق وقطبت.

- 10 -

دأب "**جايلز**" و"**جويندا**" في باكر الصباح يوميًا على فحص البريد الوارد إليهما. إلا أن آمالهما خابت في بادئ الأمر، فلم يتلقيا سوى خطابين من وكلاء بحث خصوصيين أعربوا عن رغبتهم وعن مهارتهم في الاضطلاع بعملية البحث هذه نيابة عنهما. قال "**جايلز**":

- قد نلجأ إلى ذلك فيما بعد وحتى لو اضطررنا إلى استخدام إحدى الوكالات البحثية فلابد أن تكون على المستوى اللازم والسمعة المعروفة، وإن كنت لا أدري ماذا يمكنهم أكثر مما نقوم به نحن.

وصدق تفاؤله في غضون بضعة أيام، فوصل خطاب بخط يد واضح يصعب قراءته من تلك الخطوط التي تميز الأطباء جاء فيه:

"ردًا على إعلانكم في صحيفة "**التايمز**" "**هيلين سبنلوف كينيدي**" هي شقيقتي. وقد انقطع الاتصال بيننا منذ سنوات عديدة ويسرني أن أتلقى أخبارًا عنها.

الدكتور "**جيمس كينيدي**"

قال "**جايلز**":

- عنوانه في "**وودليه بولتون**" وليس بعيدًا عنا. فهو قريب من معسكر "**وودليه**" حيث يذهب الناس للتنزه. حوالي ثمانية وأربعين كيلومترًا من هنا. لنكتب ونسأل الدكتور "**كينيدي**" ما إذا كان يناسبه أن نذهب إليه أو

إذا كان يفضِّل هو أن يأتي لزيارتنا. تلقيا رد الدكتور "**كينيدي**" باستعداده لاستقبالهما في يوم الأربعاء التالي، وبدآ الرحلة إليه في ذلك اليوم. كانت "**وودليه بولتون**" قرية هادئة واقعة على جانب أحد التلال. وكان "**جولز هيل**" مسكن الدكتور "**كينيدي**" أعلى منزل واقعًا عند قمة المطلع، مطلاً على معسكر "**وودليه**" وعلى المستنقعات الواقعة في اتجاه البحر. قالت "**جويندا**" مقشعرة:

– بقعة كئيبة. كان المنزل ذاته كئيبًا يعكس فكرة ازدراء الدكتور "**كينيدي**" التجهيزات الحديثة مثل التدفئة المركزية. والمرأة التي فتحت الباب كانت سمراء ومنفّرة، تقدمتهما عبر الرواق شبه الخالي إلى حجرة مكتب حيث نهض الدكتور "**كينيدي**" لاستقبالهما. كانت الحجرة مستطيلة مرتفعة السقف تحيط بها أرفف مثقلة بالكتب. كان الدكتور "**كينيدي**" كبير السن أبيض الشعر ثاقب العينين من أسفل حاجبين كثيفين. اتجهت نظرته الحادة من أحدهما إلى الآخر.

– السيد والسيدة "**ريد**"؟ تفضلي بالجلوس هنا يا سيدة "**ريد**". فربما هذا المقعد هو الأكثر راحة. والآن ما الموضوع؟ روى "**جايلز**" القصة السابقة الإعداد: تزوج هو وزوجته حديثًا في "**نيوزيلندا**". أتيا إلى "**إنجلترا**" حيث كانت زوجته قد عاشت فترة قصيرة وهي بعد طفلة صغيرة. وكانت تحاول الاهتداء إلى أصدقاء الأسرة ومعارفها السابقين. ظل الدكتور "**كينيدي**" جامدًا لا يلين. كان مهذبًا لكن كان واضحًا أيضًا أنه متضايق من الإصرار على الروابط الأسرية العاطفية. سأل "**جويندا**" بنبرة مهذبة شابها قدر من الكراهية:

– وتعتقدين أن أختي – أختي غير الشقيقة – وربما أنا – من ذوي الصلة بك؟ وأجابت "**جويندا**":

– هي زوجة أبي. زوجته الثانية. لا أتذكرها جيدًا بالتأكيد. كنت صغيرة السن جدًا. واسمي قبل الزواج هو "**هاليداي**". دقق النظر إليها – وفجأة أضاءت ابتسامة وجهه وأصبح شخصية مختلفة، ليست متباعدة بعد ذلك. قال:

– يا إلهي – لا تقولي إنك "**جويني**"! أومأت "**جويندا**" بشغف إذ كان لاسم التدليل الذي نسيته طويلاً وقع الألفة المطمئنة على أذنيها. قالت:

– نعم. أنا "**جويني**".

– يا إلهي! كبرت وتزوجت! كم يمضي الزمن مسرعًا! لابد أنها خمس عشرة – لا بالتأكيد – مدة أطول من هذا. لا تتذكرينني؟ هزت "**جويندا**" رأسها:

– إنني حتى لا أتذكر أبي. أعني كل شيء مشوش وغامض بذاكرتي.

– بالتأكيد. زوجة "**هاليداي**" الأولى من "**نيوزيلندا**". أتذكر أنه قد قال لي ذلك – بلد رائع على حد اعتقادي.

– إنه أجمل بلد في العالم – ولكنني معجبة جدًا بـ "**إنجلترا**" أيضًا.

– هل جئتما إلى هنا في زيارة أم للإقامة؟ وضغط على زر الناقوس قائلاً:

– لنتناول الشاي معًا. وعندما حضرت المرأة الطويلة القامة قال:

– شايا من فضلك مع خبز محمص بالزبد أو بعض الكيك. بدت مدبرة المنزل المحترمة شرسة الطلعة ولكنها قالت:

– سمعًا وطاعة يا سيدي. ثم انصرفت. قال الدكتور "**كينيدي**" بطريقة غامضة:

– لا أهتم بتناول الشاي عادة. لكن ينبغي أن نحتفل. فقالت "**جويندا**":

– هذا جميل منك جدًا. لا. لسنا في زيارة. فقد اشترينا منزلاً. توقفت قليلاً ثم أضافت:

– "**جانب التل**". فقال الدكتور "**كينيدي**":

– آه. نعم. في "**دلموث**". فقد كتبتما إليَّ من هناك. قالت "**جويندا**":

– إنها مصادفة غريبة جدًا يا "**جايلز**". أليست كذلك؟ فقال "**جايلز**":

– أتفق معك تمامًا. مذهلة! قالت "**جويندا**":

– كان هذا المنزل معروضًا للبيع. ثم أضافت إزاء ما لاح على وجه "**كينيدي**" من علامات عدم الإدراك:

– إنه المنزل نفسه الذي كنا نعيش فيه منذ زمن طويل. قطب الدكتور "**كينيدي**" قائلاً:

– "**جانب التل**"؟ لكن من المؤكد... آه. نعم. لقد سمعت أنهم غيروا اسمه. كان باسم "**سانت**" شيء ما... إذا كنت أتحدث عن ذات المنزل ذاته... على طريق "**ليها مبتون**" المتجه نحو البلدة على الجانب الأيمن؟

– نعم.

– هذا هو. غريب، كيف تسقط الأسماء من الذاكرة؟ انتظري لحظة. "**سانت كاثرين**"... كان هذا اسمه. فقالت "**جويندا**":

– وعشت أنا فيه... أليس كذلك؟ تأملها باهتمام:

– نعم. عشت فيه بالتأكيد. لماذا أردت العودة إليه؟ من المؤكد أنك لا تذكرين عنه الكثير؟

– لا. ولكنني أحسست بأنه البيت. فقال الطبيب مردِّدًا وقد خلت كلماته من كل تعبير:

– أحسست بأنه البيت. إلا أن "**جايلز**" تساءل فجأة عما كان يفكر فيه. قالت "**جويندا**":

– بناء على ذلك آمل أن تحدثني عن كل شيء... عن والدي وعن "**هيلين**"... عن كل شيء. نظر إليها مفكرًا:

– أعتقد أنهم لم يعلموا الكثير – هناك في "**نيوزيلندا**". ولماذا يعرفون؟ حسنًا... ليس هناك الكثير مما يقال. كانت "**هيلين**" – أختي – قادمة من "**الهند**" على متن السفينة ذاتها التي استقلها والدك. كان أرملاً وله طفلة صغيرة. وكانت "**هيلين**" مشفقة عليه أو وقعت في غرامه. وكان هو يعاني الوحدة أو وقع في غرامها. من الصعب معرفة كيف تتطور الأمور. تزوجا في "**لندن**" فور وصولهما وأتيا إليّ في "**دلموث**". كانت لي عيادة هناك في ذلك الوقت. بدا لي أن "**كلفين هاليداي**" شاب ظريف، عصبي المزاج ومنهك القوى – ولكنهما بدوَا سعيدين بما يكفي معًا. ثم... صمت لحظة قبل أن يضيف:

– في غضون أقل من عام تركت المنزل من أجل رجل آخر. ربما تعلمان هذا؟ سألت "**جويندا**" :

– مع من هربت؟ وجه نظراته الثاقبة إليها ثم قال:

– لم تخبرني. لم أكن موضع ثقتها. كنت قد لحظت – على الرغم مني – وجود سوء تفاهم بينها وبين "**كلفين**" . لم أعلم سببه. كنت دائمًا مستقيم الخلق – مؤمنًا بالوفاء الزوجي. لم ترغب "**هيلين**" في أن تطلعني على ما كان يجري. سمعت شائعات – كغيري من الناس – ولكن لم يكن هناك ذكر لاسم شخص معين. دائمًا ما كانوا يستضيفون أناسًا من "**لندن**" أو من جهات أخرى بـ "**إنجلترا**" ، يقيمون لديهم. تصورت أنه واحد من هؤلاء.

– لم يكن هناك طلاق إذن؟

– لم ترغب "**هيلين**" في الطلاق. هذا ما أخبرني "**كلفين**" به.. وهذا ما دعاني إلى أن أعتقد – ربما خطأ– أن الأمر يتعلق برجل متزوج، ربما على غير وفاق مع زوجته.

– ووالدي؟

– لم يكن راغبًا في الطلاق أيضًا. كان حديث الدكتور "**كينيدي**" يميل إلى الاقتضاب. قالت "**جويندا**" :

– حدثني عن والدي. لماذا قرر فجأة أن يبعث بي إلى "**نيوزيلندا**" ؟ صمت "**كينيدي**" لحظة قبل أن يجيب:

– أعتقد أن أهلك هناك كانوا يطالبونه بذلك. بعد فشل زواجه الثاني ربما ارتأى أن هذا أفضل ما يمكن فعله.

– لماذا لم يأخذني بنفسه إلى هناك؟ وجه الدكتور "**كينيدي**" نظره إلى الرف بحثًا عن منظف غليون.

– آه – لا أدري... كان معتل الصحة آنذاك.

– مم كان يعاني؟ وما سبب وفاته؟

فتح الباب وظهرت به مدبرة المنزل، وعلى وجهها علامات الازدراء واضحة،

تحمل صينية مملوءة بالأشياء: الخبز المحمص المكسو بالزبد وقدر من المربى لكن لا كعك. أشار الدكتور "**كينيدي**" بحركة غامضة إلى "**جويندا**" لتقوم بتقديم الشاي. وفعلت ذلك. وبعدما امتلأت الأقداح وقدمت وتناولت "**جويندا**" قطعة من الخبز المحمص قال الدكتور "**كينيدي**" بقدر من المرح المفتعل:

– أخبريني.. ماذا فعلت بالمنزل؟ قدر كبير من التغييرات والتعديلات؟ أعتقد أنني لن أتعرف إليه الآن... بعدما تنتهيان من تجديده. فقال "**جايلز**":

– لدينا مغامرات مع الحمامات. أما "**جويندا**" فركزت نظرها في الطبيب قائلة:

– م توفِّي أبي؟

– لا يمكنني أن أقول لك يا عزيزتي. كان معتل الصحة لفترة من الزمن ودخل إحدى المصحات في النهاية... كانت بالساحل الشرقي حيث توفي بعد عامين تقريباً.

– أين تقع هذه المصحة تحديداً؟

– يؤسفني أنني لا أستطيع أن أتذكر الآن. كما قلت... لديّ انطباع بأنها كانت بمكان ما على الساحل الشرقي. نظر "**جايلز**" و"**جويندا**" كل منهما إلى الآخر لحظة قال "**جايلز**" بعدها:

– يمكنك على الأقل يا سيدي أن تخبرنا بالموضع الذي دفن فيه؟ فمن الطبيعي أن تتوق "**جويندا**" إلى زيارة قبره. انحنى الدكتور "**كينيدي**" فوق المدفأة ينظف تجويف غليونه مستخدماً مطواة. وقال بنبرة غير واضحة تماماً:

– هل تعلمان – لا أفضل التفكير في الماضي طويلاً. كل هذا الاهتمام بالأسلاف – خطأ. الأهمية للمستقبل. هأنتما شابان مكتملا الصحة والعالم أمامكما. فكّرا فيما سيأتي. لا فائدة من وضع الزهور على قبر شخص تكادان لا تعرفانه. قالت "**جويندا**" بنبرة تمرُّد:

– أود أن أرى قبر والدي. فقال الدكتور "**كينيدي**" بنبرة عذبة لكن فاترة:
– يؤسفني أنه لا يمكنني مساعدتك. فقد انقضى زمان طويل ولم تصبح ذاكرتي على ما كانت عليه. فقدت الاتصال بوالدك بعدما غادر "**دلموث**" – أظن أنه كتب لي ذات مرة من المصحة وكما قلت لديّ انطباع بأنها كانت بالساحل الشرقي – لكن لا يمكنني التأكد حتى من ذلك. وليست لدي أدنى فكرة عن أين دفن. فقال "**جايلز**":
– كم هذا غريب جداً.
– ليس هكذا في الواقع. كانت "**هيلين**" هي الصلة بيننا. دائماً ما كنت مولعاً بها. هي أخت غير شقيقة لي وتصغرني بسنوات كثيرة ولكنني حاولت تنشئتها بأفضل ما أمكنني: المدارس المناسبة وكل ذلك لكن لا يسعني أن أنكر أنها لم تكن مستقرة الطباع والشخصية. كانت هناك متاعب بينها وبين شاب غير مرغوب فيه عندما كانت حديثة السن جداً. أخرجتها من هذه الورطة بأمان. ثم اختارت أن تسافر إلى "**الهند**" وتتزوج "**وولتر فين**". حسناً. لم يكن بأس في ذلك. فهو شاب مهذب وابن أكبر محامٍ في "**دلموث**" ولكنه جامد جمود المياه الراكدة. طالما أحبها ولكنها لم تعره انتباهاً. ومع ذلك غيرت رأيها وسافرت إلى "**الهند**" كي تتزوجه. وعندما رأته ثانية غيرت رأيها تماماً. أبرقت إليّ طلباً لمصاريف العودة إلى الوطن. أرسلت إليها المال اللازم وفي طريق عودتها التقت بـ "**كلفين**". تزوجا قبل أن أعرف بذلك. شعرت بالأسف على هذه الأخت الصغيرة. وهذا يفسر سبب عدم محافظتي على علاقتي بوالدك بعد أن رحلت. ثم أضاف فجأة قوله:
– أين هي "**هيلين**" الآن؟ هل تعرفان؟ أريد الاتصال بها. فقالت "**جويندا**":
– ولكننا لا نعلم. لا نعلم ألبتة. رمقهما بنظرات فضول مفاجئ قائلاً:
– ظننت من إعلانكما – أخبراني – ما سبب الإعلان؟ فقالت "**جويندا**":
– أردنا أن نتواصل. فقاطعهما الدكتور "**كينيدي**"، وقد بدا متحيراً، بقوله:

– مع شخص لا تكادين تتذكرينه؟ فأجابت "**جويندا**" مسرعة:

– ظننت أنه لو أمكنني الاتصال بها – من الممكن أن تخبرني – بما ألم بأبي.

– نعم. نعم. فهمت. آسف أنني لا يمكنني إفادتكما. ليست ذاكرتي كما كانت عليه بعد كل هذا الزمن. فقال "**جايلز**":

– إنك تعلم على الأقل أي نوع من المصحات كانت تلك؟ هل هي مصحة للأمراض الصدرية؟ بدا الجمود على وجه الدكتور "**كينيدي**" مرة أخرى:

– نعم. نعم. أميل إلى أن أعتقد ذلك. فقال "**جايلز**":

– يمكننا إذن أن نتتبع الأمر بكل سهولة. نشكرك يا سيدي على كل ما قلته لنا. نهض وحذت "**جويندا**" حذوه. قالت:

– شكرًا جزيلاً. وتفضل بزيارتنا في "**جانب التل**". غادرا الحجرة وألقت "**جويندا**" بنظرة من فوق كتفها على الدكتور "**كينيدي**" وكان واقفًا بجوار المدفأة يجذب شاربه الرمادي ويبدو مضطربًا. قالت "**جويندا**" وهما يستقلان السيارة:

– يعرف شيئًا ما ويرفض أن يخبرنا به. هناك شيء ما... يا "**جايلز**"! أتمنى الآن لو أننا لم نبدأ قط... نظر كل إلى الآخر وبذهن كل منهما المخاوف ذاتها غير المعترف بها. قالت "**جويندا**":

– لقد أصابت الآنسة "**ماربل**". كان ينبغي أن نترك الماضي وشأنه. وقال "**جايلز**" بنبرة غير واثقة:

– لسنا محتاجين إلى متابعة الموضوع إلى أبعد من هذا. "**جويندا**" حبيبتي أرى أنه ربما من الأفضل أن نتوقف عند هذا الحد. ولكن "**جويندا**" هزت رأسها قائلة:

– لا يا "**جايلز**". لا يمكننا أن نتوقف الآن؛ لأننا سوف نظل نتساءل ونتخيل. لا. لابد لنا من أن نواصل سعينا... رفض الدكتور "**كينيدي**" أن يخبرنا من قبيل الرأفة بنا – لكن لا جدوى من هذه النوعية من الرأفة. لابد لنا

من مواصلة البحث والوقوف على ما حدث فعلاً. حتى لو كان - حتى لو كان والدي هو الذي... ولم تتمكن من إكمال العبارة.

- 11 -

كانا بالحديقة في صباح اليوم التالي عندما خرجت السيدة "**كوكر**" إليهما وقالت:

- معذرة يا سيدي. شخص يدعى الدكتور "**كينيدي**" على الهاتف. ترك "**جايلز**" زوجته تتفاوض مع "**فوستر**" العجوز ودخل المنزل والتقط سماعة الهاتف.

- "**جايلز ريد**" معك.

- أنا الدكتور "**كينيدي**". كنت أفكر في الحوار الذي دار بيننا أمس يا سيد "**ريد**". هناك وقائع معينة أعتقد أنه ربما من الواجب أن تعرفها أنت وزوجتك. هل ستكونان بالبيت إذا مررت بعد ظهر اليوم؟

- سنكون بالتأكيد. في أي وقت؟

- الثالثة.

- مناسب تمامًا.

قال "**فوستر**" مخاطبًا "**جويندا**" في الحديقة:

- هل هذا هو الدكتور "**كينيدي**" الذي كان يعيش عند الصخرة الغربية؟

- أعتقد ذلك. هل تعرفه؟

- كان يعتبر أفضل طبيب بالمنطقة - ولم يكن سوى الدكتور "**لازنبي**" محبوبًا بقدر أكبر منه هنا - لأنه دائمًا ما كان يقول كلمة مرحة ويضحك لينعش مرضاه. أما الدكتور "**كينيدي**" فهو مقتضب في حديثه وجاف في نبرته - ولكنه ماهر في عمله.

- متى كف عن ممارسة مهنته؟

- منذ زمن طويل الآن. ربما خمسة عشر عامًا أو نحو ذلك. يقولون إنه

أصبح معتلاً صحيًا. أتى "**جايلز**" من الداخل وأجاب عن سؤال لم تنطق "**جويندا**" به.

– سوف يحضر لزيارتنا بعد ظهر اليوم.

– آه. ثم التفتت إلى "**فوستر**" ثانية:

– هل كنت تعرف شقيقة الدكتور "**كينيدي**" أيضًا؟

– شقيقته؟ لا أتذكر تمامًا. فلم تكن سوى فتاة صغيرة. كانت تذهب إلى المدرسة ثم سافرت إلى الخارج. سمعت أنها عادت إلى هنا فترة بعدما تزوجت. ولكنني أعتقد أنها هربت مع أحدهم – قيل إنها كانت محبة للتغيير دائمًا. لا أعتقد أنني رأيتها أبدًا. فقد كنت أعمل في "**بليموث**" فترة من الزمن. سألت "**جويندا**" "**جايلز**" وهما يسيران إلى نهاية الشرفة:

– ما سبب مجيئه؟

– سوف نعرف في الساعة الثالثة. وصل الدكتور "**كينيدي**" في تمام الثالثة. نظر في أرجاء حجرة الاستقبال قائلاً:

– يبدو غريبًا أن أكون هنا ثانية. ثم طرق الموضوع بلا مقدمات.

– فهمت أنكما مصممان على تتبع المصحة التي توفي "**كلفين هاليداي**" بها ومعرفة جميع التفاصيل الممكنة عن نوعية مرضه وظروف وفاته. فقالت "**جويندا**":

– بالتأكيد.

– حسنًا. يمكنكما التوصل إلى ذلك بكل سهولة بالتأكيد. لهذا قررت أن الصدمة ستكون أقل وطأة عليكما إذا عرفتما بعض الوقائع مني أنا. يؤسفني أنني مضطر إلى أن أخبركما، ومن المحتمل أن ما سوف أقوله سيسبب لك يا "**جويندا**" بعض الألم. ولكن الواقع هو الآتي: لم يكن والدك يعاني مرضًا صدريًا والمصحة التي ذكرتها لكما كانت مستشفى للأمراض العقلية.

– مستشفى للأمراض العقلية؟ هل كان فاقد الصواب إذن؟ شحب وجه "**جويندا**" تمامًا.

– لم يتأكد مرضه العقلي. وفي تقديري أنه لم يكن فاقد الصواب بالمعنى

المعروف. أصيب بنوبة انهيار عصبي حاد وأصبح يعاني هواجس أوهام معينة. دخل دار الرعاية بمحض إرادته وكان يمكنه مغادرتها في أي وقت كان لو أنه أراد ذلك. إلا أن حالته لم تتحسن وتوفي هناك. ردد "**جايلز**" ذات الكلمات متسائلاً:

– هواجس أوهام؟ أي نوع من الأوهام؟ فأجاب "**كينيدي**" بنبرة جافة:

– كان متوهماً أنه خنق زوجته. أطلقت "**جويندا**" صيحة مكبوحة. مد "**جايلز**" يده مسرعًا واحتوى يدها الباردة في يده. قال:

– وهل خنقها؟

– ماذا؟ دقق "**كينيدي**" النظر إليه ثم قال:

– لا بالتأكيد. لم يخنقها. لا شك في أن يكون قد فعل هذا. قالت "**جويندا**" بنبرة مشوبة بالشك:

– لكن –كيف لك أن تعلم؟

– يا بنتي العزيزة! لم يكن هناك أدنى شك في أن يكون قد فعل شيئًا كهذا. "**هيلين**" هي التي هجرته من أجل رجلٍ آخر. أصبح في حالة من عدم التوازن التام مدى فترة من الزمن. يرى أحلامًا مزعجة وخيالات مريضة. والصدمة الأخيرة أجهزت على أعصابه. لست عالمًا نفسانيًا. لدى هؤلاء تفسيرات لمثل هذه الأمور. عندما يفضل الرجل أن تكون زوجته متوفاة على أن تكون خائنة يمكنه أن يكيف نفسه على اعتقاد أنها قد توفيت... حتى لو ظن أنه هو الذي قتلها. بحذر شديد تبادل "**جايلز**" و"**جويندا**" نظرة تحذير. قال "**جايلز**" بهدوء:

– أنت متأكد تمامًا إذًا أن ليس هناك ما يدعو إلى اعتقاد أنه قد فعل ما ادَّعى أنه قد فعله؟

– نعم. متأكد تمامًا. فقد تلقيت من "**هيلين**" خطابين. أولهما من "**فرنسا**" بعد رحيلها بحوالي أسبوع والثاني بعده بحوالي ستة أشهر. لا. لا. الأمر كله كان وهمًا بحتًا. التقطت "**جويندا**" نفسًا عميقًا ثم قالت:

– أرجوك أن تخبرني بكل شيء.

– سأخبرك بكل ما أستطيع يا عزيزتي. كان "**كلفين**" يعاني حالة عصبية غريبة مدى فترة من الزمن. استشارني بشأنها. أخبرني بأنه كان يرى أحلاماً مزعجة. قال إن هذه الأحلام كانت متطابقة دائماً وقد كانت لها ذات النهاية: وهي خنق "**هيلين**". حاولت التوصل إلى جذور المشكلة – أعتقد أنه لابد كانت هناك صراعات في طفولته المبكرة. يبدو أن والديه لم يكونا سعيدين معاً.. حسناً – لن أخوض في كل ذلك. فهذا يهم الطبيب ولا أحد غيره. اقترحت عليه استشارة أحد الإخصائيين النفسانيين، ويوجد هنا عدد لا بأس به من الإخصائيين من الدرجة الأولى. ولكنه رفض ذلك. أعتقد أن هذه النوعية من المعالجة ليست سوى هراء. تولدت لديّ فكرة عن أنه و"**هيلين**" لم يكونا على وفاق تام ولكنه لم يذكر لي ذلك قط ولم أحب أنا أن أساله عنه. ثم تبلور الموضوع عندما حضر إلى منزلي ذات مساء – وكان يوم جمعة – أتذكر ذلك جيداً. كنت قد عدت من المستشفى تواً ووجدته ينتظرني بحجرة الاستشارات. كان قد انتظرني مدة ربع الساعة. وما إن دخلت الحجرة حتى رفع نظره إليّ قائلاً: "لقد قتلت "**هيلين**".

لم أعلم مدى لحظة ماذا عساي أن أعتقد. كان هادئاً تماماً. قلت له: "ما تعنيه هو أنك رأيت حلماً آخر؟" فقال: "ليس حلماً في هذه المرة. إنها الحقيقة. وهي ترقد هناك مختنقة. أنا خنقتها". ثم قال بمنتهى الهدوء والتعقل: "من الأفضل أن تأتي معي إلى المنزل. وعندئذ يمكنك الاتصال بالشرطة من هناك". لم أعلم ماذا أعتقد. أخرجت السيارة ثانية وأتينا إلى هنا معاً. كان المنزل هادئاً ومظلماً. توجهنا إلى حجرة النوم. قاطعته "**جويندا**" قائلة بصوت ملؤه الدهشة:

– حجرة النوم؟ بدا الدكتور "**كينيدي**" دهشا إلى حد ما:

– نعم. نعم. هناك حيث حدث كل شيء. حسناً.. عندما صعدنا إلى هناك لم يكن هناك أي شيء! لا امرأة متوفاة مطروحة على الفراش.. ولا شيء

في غير موضعه – حتى أغطية الفراش كانت مرتبة كما هي. وكان الموضوع كله مجرد هلوسة.

– لكن ما الذي قاله والدي؟

– أصر على روايته بالتأكيد؛ لأنه كان معتقداً أنها الحقيقة. أقنعته بأن يسمح لي بإعطائه حبَّة مهدئة ووضعته بالفراش بحجرة استبدال الملابس. ثم ألقيت نظرة فاحصة على المكان. وجدت رسالة تقول إن "**هيلين**" قد رحلت ملقاة بسلة المهملات بحجرة الاستقبال. اتضح الأمر أمام عيني. كتبت في رسالتها شيئًا كهذا: "هذه رسالة وداع. إنني آسفة – ولكن زواجنا كان خطأ منذ البداية. إنني راحلة مع الرجل الوحيد الذي أحببته طوال حياتي. اغفر لي إن أمكنك. "**هيلين**"". واضح أن "**كلفين**" قد حضر وقرأ الرسالة وصعد إلى الطابق الأعلى وأصيب بصدمة عاطفية عنيفة ثم أتى إليّ مقتنعًا بأنه قد قتل "**هيلين**". عندئذ استجوبت الخادمة. كانت في إجازة في ذلك المساء وعادت متأخرة إلى المنزل. اصطحبتها إلى حجرة "**هيلين**" حيث راجعت ملابس "**هيلين**". وكان كل شيء واضحًا. فقد ملأت "**هيلين**" حقيبة سفر وحقيبة أخرى بالملابس وحملتهما معها. بحثت في أرجاء المنزل ولم يكن هناك أي شيء غير عادي – ولا شيء يدل على وجود امرأة مخنوقة بالتأكيد. وفي الصباح كانت لي فترة عصيبة مع "**كلفين**". ولكنه تبين في النهاية أن كل ذلك كان وهمًا – أو على الأقل هذا ما أخبرني بأنه قد تبينه، ووافق على الذهاب إلى إحدى دور الرعاية للعلاج.

بعد ذلك بأسبوع تلقيت – كما سبق أن ذكرت – خطابًا من "**هيلين**" كان مرسلاً بالبريد من "**بياريتز**"، قالت فيه إنها ستذهب إلى "**إسبانيا**" وطلبت مني أن أخبر "**كلفين**" بأنها لا تريد الطلاق وأنه من الأفضل له أن ينساها وبأسرع ما يمكنه.

أطلعت "**كلفين**" على الخطاب. لم يعلق بكثير. وكان بصدد تنفيذ خططه. أبرق إلى أهل زوجته الأولى في "**نيوزيلندا**" وطلب منهم أن يأخذوا

الطفلة. رتب أموره ثم دخل داراً خاصة متميزة لعلاج الأمراض العقلية حيث وافق على تلقي العلاج اللازم. إلا أن هذا العلاج لم يفده بشيء. وتوفي هناك بعد عامين. يمكنني إعطاؤكما عنوان هذه الدار في "**نورفولك**". كان المشرف الحالي عليها طبيبا حديث السن آنذاك وربما يمكنه إحاطتكما بكامل تفاصيل حالة والدك. قالت "**جويندا**":

– وتلقيت من أختك خطاباً آخر بعد ذلك؟

– نعم. بعد حوالي ستة أشهر. كتبته من "**فلورنسا**" – وأعطتني فيه عنواناً للحفظ بشباك البريد باسم الآنسة "**كينيدي**". وقالت فيه إنها تبينت أنه ظلم لـ "**كلفين**" ألا يحصل على الطلاق – على الرغم من أنها شخصيًّا لم ترغب فيه. فإذا أراد الطلاق فعليّ أن أعلمها بذلك حتى ترتب لحصوله على الدليل اللازم. أخذت الخطاب إلى "**كلفين**" فاخبرني فورا بأنه لا يريد طلاقاً. كتبت إليها وأخبرتها بذلك. ومنذ ذلك الحين لم أسمع منها ثانية ولا أعلم أين تعيش أو حتى إذا كانت على قيد الحياة أم غير ذلك. لهذا السبب جذبني إعلانكما وأملت أن أعرف عنها شيئا. توقف لحظة ثم أضاف بنبرة بالغة الرقة:

– إنني في غاية الأسف يا "**جويني**" لكن كان لابد لك من أن تعرفي. كل ما كنت أرجوه هو أن تتركي هذا الأمر وشأنه..

-12-

عندما عاد "**جايلز**" من توديع الدكتور "**كينيدي**" وجد "**جويندا**" جالسة حيث كان قد تركها، وعلى كل من وجنتيها بقعة حمراء زاهية. بدت عيناها وكأنهما محمومتان. وعندما تكلمت كان صوتها واهناً أجش.

– أيهما هو الخبر المثير؟ الموت أو الجنون؟ اقترب "**جايلز**" منها مطوقاً إياها بذراعه. شعر بتوتر جسدها وتصلبه.

– "**جويندا**" حبيبتي...

– لماذا لم نترك هذا الموضوع وشأنه؟ لماذا؟ والدي هو الذي خنقها. وكان

صوت والدي هو الذي سمعته ينطق بتلك الكلمات. لا عجب في أنني تذكرت كل هذا... ولا عجب في أنني كنت مذعورة إلى هذا الحد؛ لأن الفاعل هو والدي.

– انتظري يا "**جويندا**"... انتظري... فإننا لا نعلم حقًّا.

– نعلم بكل تأكيد! أخبر الدكتور "**كينيدي**" بأنه خنق زوجته. أليس كذلك؟

– ولكن الدكتور "**كينيدي**" واثق تمامًا بأنه لم يفعل ذلك.

– ذلك لأنه لم يعثر على جثة. لكن كانت هناك جثة... وقد رأيتها.

– رأيتها في الرواق – وليس في حجرة النوم.

– وهل يغير هذا من الواقع شيئًا؟

– حسنًا – الأمر غريب – أليس كذلك؟ لماذا قال "**هاليداي**" إنه خنق زوجته في حجرة النوم لو كان قد خنقها في الرواق؟

– لا أعلم. وهذا من التفاصيل غير ذات القيمة.

– لست متأكداً من ذلك تمامًا. هناك نقاط غريبة في هذه التركيبة. لنفترض إذا أردت أن والدك خنق "**هيلين**" فعلاً وفي الرواق فما الذي حدث بعد ذلك؟

– ذهب إلى الدكتور "**كينيدي**".

– وأخبره بأنه قد خنق زوجته بحجرة النوم، وعاد به إلى المنزل ولم تكن هناك جثة لا بالرواق ولا بحجرة النوم. من غير الممكن أن تكون هناك جريمة قتل دون جثة. فما الذي فعله بالجثة؟

– ربما كانت هناك جثة وساعده الدكتور "**كينيدي**" على التخلص منها واحتفظ بالموضوع في طي الكتمان – ولا يمكنه أن يخبرنا بذلك. هز "**جايلز**" رأسه:

– لا يا "**جويندا**". لا أرى أنه من الممكن أن يتصرف الدكتور "**كينيدي**" على هذا النحو. فهو رجل اسكتلندي عنيد لا يعرف العاطفة. تقترحين أنه راغب في أن يعرض نفسه لخطر الاشتراك في التستر على جريمة قتل وأنا لا

أعتقد ذلك. كان سيبذل قصارى جهده لإثبات أن "**هاليداي**" معتل عقليًا - ولا شيء أكثر من هذا. لكن ما الذي يدعوه إلى التورط في تكتم الموضوع تمامًا؟ ليس "**كلفين هاليداي**" قريبًا ولا صديقًا وثيق الصلة به. ثم إن القتيلة أخته وواضح أنه كان مغرمًا بها - حتى لو كان قد أبدى بعض التحفظات على سلوكها المنفلت قليلاً. لا. لن يشارك "**كينيدي**" أبدًا في التستر على جريمة قتل. ولو كان قد فعل فليس هناك سوى أسلوب واحد ممكن كان سيتبعه وهو أن يصدر شهادة تفيد أن الوفاة ناتجة من هبوط مفاجئ في القلب أو شيء من هذا القبيل. أعتقد أنه كان يمكنه أن يفعل ذلك بلا أدنى مسؤولية - ولكننا نعلم يقينًا أنه لم يلجأ إليه. خاصة أن لا بيان عن وفاتها بالسجلات الرسمية للمنطقة. ولو كان قد فعل ذلك لكان قد أخبرنا بأن أخته قد توفيت. بناء على ذلك انطلقي من هذه النقطة وفسري - إن أمكنك - ما الذي حدث للجثة؟

- ربما دفنها والدي بمكان ما من الحديقة؟

- ثم ذهب إلى "**كينيدي**" وأخبره بأنه قتل زوجته؟ لماذا؟ ولماذا لا نأخذ بالقصة التي تركتها له؟ أزاحت "**جويندا**" شعرها إلى الخلف بعيداً عن جبينها. أصبحت أقل توترًا وتصلبًا الآن وبدأت البقعتان الشديدتا الاحمرار تبهتان. قالت:

- لا أعلم. يبدو الأمر أكثر حماقة الآن بعد أن وضعته أمامنا على هذا النحو. هل تعتقد أن الدكتور "**كينيدي**" كان صادقًا معنا؟

- نعم. أنا واثق تمامًا بذلك. فالرواية معقولة تمامًا من وجهة نظره. أحلام وهلوسة وفي النهاية قمة درجات الهلوسة. ليس لديه شك في أن الأمر مجرد هلوسة لأنه - كما ذكرنا حالاً - من المستحيل أن تكون هناك جناية قتل ولا تكون هناك جثة. في هذه النقطة نختلف معه؛ لأننا نعلم أن جثة كانت هناك. توقف قليلاً ثم استطرد قائلاً:

- الموضوع متسق تمامًا من وجهة نظره. الملابس الناقصة وحقيبة السفر

ومذكرة الوداع، وبعد ذلك خطابان من أخته. تململت "جويندا" فوق مقعدها.

- هذان الخطابان. أي تفسير لهما؟

- لا تفسير لدينا لكن يتعين علينا أن نوجده. لو افترضنا أن "كينيدي" صادق معنا (وأرى أنه كذلك) فعلينا أن نجد تفسيراً لهذين الخطابين.

- هل لي أن أفترض أنهما بخط يد أخته؟ وأنه قد عرف خط يدها؟

- لا أعتقد يا "جويندا" أنه من الممكن أن تثار نقطة كهذه. فهي ليست مثل توقيع شيك مصرفي مشكوك في صحته. فلو كُتب هذان الخطابان بخط قريب من خط يد أخته فلن يخطر بباله أن يشك فيهما. وكان قد تلقى فكرة أنها قد هربت مع رجل ما. وهذان الخطابان يؤكدان تلك الفكرة. لو لم يكن قد سمع منها ألبتة فربما كان قد ارتاب في الأمر. ومع ذلك هناك بعض النقاط الغريبة التي تحيط بهذين الخطابين والتي لم يلتفت إليها ولكنها لفتت انتباهي بشدة. إنهما مجهولان بطريقة غريبة. لا عنوان باستثناء طلب للحفظ بشباك البريد. ولا إشارة إلى الرجل المعني في الموضوع. وإصرار واضح على الانفصال عن كافة الارتباطات السابقة. ما أعنيه هو أنهما يتطابقان تماماً مع نوعية الخطابات التي يرتب قاتل لإرسالها رغبة في إبعاد أية شكوك من جانب عائلة الضحية. أما عن إرسال الخطابين من خارج البلاد فهذا أمر بالغ السهولة.

- تعتقد أن والدي...

- لا. لا أعتقد ذلك. لنفترض أن رجلاً قرر متعمداً التخلص من زوجته. ينشر شائعات عن احتمالات خيانتها. ويضع خطة الرحيل... رسالة تتركها له وملابس تُستَّف بحقيبة سفر وتؤخذ. وخطابات يتم تسلمها منها على فترات بينية محددة بعناية من أماكن ما خارج البلاد. يكون قد قتلها خفية ووضع الجثة في مكان ما لنفترض أنه أسفل أرضية الدرك الأدنى. هذا أحد أنماط جريمة القتل - وكثيراً ما تكرر. أما لا يفعله القاتل من هذه النوعية فهو أن يسرع إلى شقيق زوجته ويخبره بأنه قتل زوجته. ألم يكن من الأفضل أن

يتصلا بالشرطة؟ ومن ناحية أخرى لو كان والدك من نوعية القتلة العاطفيين وكان شديد التعلق بزوجته وخنقها في إحدى نوبات استشاطته غيرة - على نمط جريمة "**عطيل**"، وهو ما يتسق مع الكلمات التي سمعتها - فمن المؤكد أنه لا يُستَّف حقيبة ملابس ولا يرتب لوصول خطابات قبل أن يسرع لإذاعة جريمته لرجل ليس من النوعية المحتمل أن تتكتم جناية قتل. كل هذا خطأ يا "**جويندا**"... النمط كله خطأ.

- ما الذي تحاول التوصل إليه إذن يا "**جايلز**"؟

- لا أعلم... كل ما هنالك أنه يبدو لي أن هناك عاملاً مجهولاً في هذا الموضوع... لنشر إليه بالرمز "**س**". شخصية لم تظهر حتى الآن وإن كنت قد كونت فكرة عن أسلوبه. قالت "**جويندا**" دهشة:

- "**س**"؟ أنت تبتكر هذه الأفكار يا "**جايلز**" من أجل أن تخفف عني؟

- أقسم لك بأنني لا أفعل ذلك. ألا ترين بنفسك أنه من غير الممكن رسم خطة مقنعة تناسب كافة الوقائع. نحن نعلم أن "**هيلين هاليداي**" قد خنقت لأنك رأيت... وتوقف عن الكلام فجأة:

- يا إلهي. كم أنا أحمق. لقد وجدتها. وتغطى كل شيء. أنت محقة و"**كينيدي**" محق أيضًا. اسمعيني يا "**جويندا**". "**هيلين**" تستعد للرحيل مع عاشق - لا نعلم من هو.

- "**س**"؟ تغاضى "**جايلز**" عن مقاطعتها بصبر نافد.

- كتبت الرسالة إلى زوجها ولكنه دخل في هذه اللحظة وقرأ ما كتبته فثارت ثائرته. يلقي بالرسالة في سلة المهملات ثم يتجه إليها. تتوجه مسرعة إلى الرواق لشدة خوفها - ولكنه يلحق بها ويخنقها - فتهن قواها ويتركها. ثم يبتعد عنها قليلاً ويقول تلك الكلمات المقتبسة من مسرحية "**دوقة مالفي**" في اللحظة التي تصل الطفلة الصغيرة التي بالطابق الأعلى إلى الدرابزين وتطل منه إلى أسفل.

- ثم؟

– المهم في الموضوع هو أنها لم تمت. ربما أعتقد أنها ماتت – ولكنها كانت شبه مختنقة فقط. ربما عشيقها قد حضر – بعد أن خرج زوجها ليتوجه إلى منزل الطبيب على الجانب الآخر من البلدة، أو ربما استعادت وعيها ذاتياً. على أية حال ما إن أفاقت حتى غادرت المنزل بأسرع ما أمكنها. وهذا يفسر كل شيء. اعتقاد "**كلفين**" أنه قد قتلها واختفاء ملابسها التي ربما كانت قد سُرِقت وغادرت المنزل في وقت سابق من اليوم. ويصل الخطابان بعد ذلك وهما حقيقيان. هذا يفسر كل شيء. قالت: "**جويندا**" بنبرة متأنية:

– لكن هذا لا يفسر لماذا ذكر "**كلفين**" أنه خنقها في حجرة النوم.

– كان منفعلاً جداً بحيث لم يتذكر جيداً أين حدث كل هذا. فقالت "**جويندا**":

– أريد أن أصدقك. أريد أن أقتنع... ولكنني أظل واثقة – واثقة تماماً – بأنني عندما نظرت إلى أسفل كانت ميتة – نعم ميتة.

– لكن كيف كان يمكنك التأكد من ذلك وأنت بعد طفلة في الثالثة؟ رمقته بنظرات غريبة.

– أعتقد أن الطفل يمكنه أن يفهم بأفضل ممن هو أكبر منه. كما هو الحال بالنسبة إلى الكلاب – فهي تعرف الموت وتقذف برؤوسها إلى الخلف وتعوي. أعتقد أن الأطفال – يعرفون الموت..

– هذا هراء... وخيال. قاطعه صوت رنين ناقوس الباب الخارجي. قال:

– من عسى أن يكون هذا؟ وبدا الاضطراب على وجه "**جويندا**":

– لقد نسيت تماماً. إنها الآنسة "**ماربل**". دعوتها إلى تناول الشاي اليوم. دعنا لا نقول لها شيئاً عن كل ما جرى اليوم.

- 13 -

خشيت "**جويندا**" أن يكون الشاي وجبة صعبة – ولكن الآنسة "**ماربل**" بدت، لحسن الحظ، أنها لم تلحظ أن مضيفتها تتحدث بسرعة غير معتادة

وبطريقة محمومة أيضًا وأن مرحها كان مفتعلاً إلى حد ما. أما الآنسة "**ماربل**" ذاتها فكانت تميل إلى كثرة الكلام إذ كانت مستمتعة بوجودها في "**دلموث**" بدرجة كبيرة لأن من الأمور المثيرة لاهتمامها أن بعض أصدقاء أصدقائها قد كتبوا إلى أصدقاء لهم في "**دلموث**" عنها وأسفرت جهودهم عن تلقيها عدداً من الدعوات السارة من المقيمين بتلك البقعة. قالت:

– لا أشعر بأنني غريبة تماماً هنا بتعرفي إلى بعض المقيمين هنا منذ سنوات. فعلى سبيل المثال أنا مدعوة لتناول الشاي مع السيدة "**فين**" – وهي أرملة الشريك الرئيسي في مؤسسة المحاماة هنا. مؤسسة عائلية عتيقة الطراز جداً. يديرها ابنها حاليًا. تواصل حديثها عن أحوالها. صاحبة المنتجع الذي تقيم به ساهرة على راحتها فضلاً عن الأطعمة الشهية التي تعدها، وقد كانت تعمل لسنوات لدى صديقتها السيدة "**بانتري**"... وإنها لا تنتمي إلى هذه البقعة أصلاً ولكن عمتها هي التي كانت تعيش هنا وكانت تأتي هي وزوجها إلى هنا لقضاء الإجازات – لذلك تعلم الكثير عن الشائعات المنتشرة بالمنطقة. سألت:

– هل ترضيان عن عمل البستاني الذي لديكما؟ علمت أن أهالي المنطقة يعتبرونه كثير الكلام قليل الفعال. قال "**جايلز**":

– الكلام والشاي تخصصه الوحيد. يتناول حوالي خمسة أقداح يوميًا ولكنه يعمل بجد في وجودنا. قالت "**جويندا**":

– تفضلي بإلقاء نظرة إلى الحديقة. اصطحباها في جولة بالمنزل وبالحديقة وأبدت الآنسة "**ماربل**" التعليقات الواجبة. لو كانت "**جويندا**" قد خشيت ملاحظتها الدقيقة لأية أخطاء فقد أخطأت "**جويندا**"؛ لأن الآنسة "**ماربل**" لم تبد أي إحساس بأي شيء غير معتاد. ومع ذلك كان الأمر الغريب هو أن "**جويندا**" هي التي تصرفت بأسلوب غير متوقع. قاطعت الآنسة "**ماربل**" وهي تروي قصة عن طفل ومحارة لتقول لاهثة لـ "**جايلز**":

– لا يهمني – سوف أخبرها... والتفتت الآنسة "**ماربل**" نحوها باهتمام.

بدأ "**جايلز**" يتكلم ثم صمت برهة قال بعدها:

- حسنًا يا "**جويندا**"... هذا شأنك. وسكبت "**جويندا**" كل ما لديها. زيارتهما للدكتور "**كينيدي**" وما أسفرت عنه من زيارته لهما وما أخبرهما به. ثم سألتها لاهثة:

- هذا ما كنت تعنينه ونحن في "**لندن**"... أليس كذلك؟ كنت تعتقدين آنذاك أنه ربما كان والدي متورطًا في الموضوع؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" بنبرة هادئة رقيقة:

- خطر هذا ببالي كاحتمال وارد - نعم. ربما كانت "**هيلين**" زوجة أب صغيرة السن - وفي حالات جرائم الخنق دائمًا ما يكون الزوج هو الجاني. تحدثت الآنسة "**ماربل**" كمن يتابع ظواهر طبيعية بلا دهشة أو انفعال. فقالت "**جويندا**":

- أفهم الآن لماذا ألححت علينا أن نترك هذا الموضوع وشأنه. وأتمنى لو أننا قد أخذنا بنصيحتك. لكن لا يمكننا الآن أن نتراجع. فقالت الآنسة "**ماربل**":

- هذا صحيح. التراجع أصبح مستحيلاً.

- والآن أرجو أن تصغي إلى "**جايلز**". لديه بعض الاعتراضات والاقتراحات. فقال "**جايلز**":

- كل ما يمكنني قوله هو لا شيء يتسق. ثم بوضوح وبصراحة ذكر النقاط التي كان قد حدَّدها لـ"**جويندا**" من قبل ثم قال تأكيدًا لنظريته:

- وأرجو أن تتمكني من إقناع "**جويندا**" بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي من الممكن أن تكون هذه الأحداث قد وقعت بها. انتقلت نظرة الآنسة "**ماربل**" منه إلى "**جويندا**" ثم عودة إليه. قالت:

- فرضية معقولة تمامًا. لكن هناك دائمًا - كما سبق لك أن ذكرت - يا سيد "**ريد**" احتمال وجود "**س**". فصاحت "**جويندا**":

- "**س**"! وقالت الآنسة "**ماربل**":

– العامل المجهول. شخص ما – لنقل إنه – لم يظهر بعد وإن كان من الممكن استنتاج وجوده خلف الوقائع الواضحة. قالت "**جويندا**" :

– سوف نذهب إلى المصحة التي توفي والدي فيها في "**نورفولك**" . ربما نتمكن من الكشف عن أي شيء هناك.

- 14 -

كان منزل "**سولتمارش**" متخذاً وضعية جميلة على بُعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الداخل من الساحل. وكان يتمتع بخدمة سكك حديد جيدة إلى "**لندن**" من بلدة "**ساوث بنهام**" التي تبعد بمسافة ثمانية كيلومترات. استقبل "**جايلز**" و"**جويندا**" بحجرة جلوس فسيحة مضيئة ذات أغطية من الكريتون المطبوع بباقات الزهور. دخلت امرأة مسنة حسناء ذات شعر أبيض الحجرة وبيدها كوب حليب (لبن). أومأت إليهما ثم جلست بالقرب من المدفأة. ركزت بصرها في "**جويندا**" مفكرة ثم انحنت إلى الأمام نحوها قائلة بمثل الهمس:

– هل هو طفلك المسكين يا عزيزتي؟ بدت الدهشة واضحة على "**جويندا**" . أجابت:

– لا. لا. ليس هو.

– كنت أتساءل. وأومأت ثم شربت (الحليب) اللبن. قالت:

– العاشرة والنصف – هذا هو الموعد. هو دائماً في العاشرة والنصف. أمر جدير بالملاحظة. خفضت صوتها وانحنت نحو الأمام ثانية. قالت بصوت هامس:

– خلف المدفأة. لكن لا تقولي إنني أخبرتك. في هذه اللحظة دخلت الحجرة خادمة في زي أبيض وطلبت من "**جايلز**" و"**جويندا**" أن يتبعاها. أدخلتهما مكتب الدكتور "**بنروز**" ونهض الطبيب لتحيتهما. بدا لـ"**جويندا**" أن الدكتور "**بنروز**" ذاته لم يكن سليماً تماماً عقليًّا. فقد بدا

أكثر جنونًا من السيدة الظريفة التي كانت بحجرة الاستقبال لكن ربما كان هذا ما يبدو عليه الأطباء النفسانيون دائمًا. قال الدكتور "**بنروز**":

- تلقيت خطابك وخطاب الدكتور "**كينيدي**" وكنت أبحث في تاريخ حالة والدك يا سيدة "**ريد**". تذكرت حالته جيداً بالتأكيد ولكنني كنت محتاجًا إلى أن أنعش ذاكرتي حتى أتمكن من إفادتك بكل ما تطلبين معرفته. فهمت أنك لم تعرفي هذه الوقائع إلا مؤخرًا. أخبرته "**جويندا**" بأنها نشأت وتربت في "**نيوزيلندا**" في كنف أهل والدتها وأن كل ما كانت تعرفه عن والدها هو أنه توفي في إحدى دور الرعاية في "**إنجلترا**". أومأ الدكتور "**بنروز**" قائلاً:

- كشفت حالة والدك يا سيدة "**ريد**" عن سمات معينة غريبة إلى حد ما. فسأل "**جايلز**":

- مثل؟

- الهاجس - أو الوهم - كان قويًا جدًا. فعلى الرغم من أن العقيد "**هاليداي**" كان بحالة توتر شديد إلا أنه كان مؤكداً ومنهاجيًا تمامًا في تأكيده أنه قد خنق زوجته الثانية في إحدى نوبات غيرته الغاضبة. وكان هناك غياب لعدد كبير من المؤشرات المعتادة في مثل هذه الظروف، وأصارحك يا سيدة "**ريد**" بأنه لولا تأكيد الدكتور "**كينيدي**" أن السيدة "**هاليداي**" كانت على قيد الحياة لكنت على استعداد آنذاك لاعتبار أقوال والدك اعترافًا منه بارتكاب الجريمة. سأل "**جايلز**":

- هل تشكل لديك انطباع بأنه قد قتلها فعلاً؟

- لقد قلت "آنذاك". وتوفرت لديَّ الأسباب فيما بعد للتراجع عن رأيي، بعدما أصبحت شخصية العقيد "**هاليداي**" وتركيبته العقلية مألوفتين لديَّ بدرجة أكبر. من المؤكد يا سيدة "**ريد**" أن والدك لم يكن من نوعية المعانين جنون الاضطهاد. لم تكن لديه أوهام اضطهادية ولا دوافع إلى العنف. كان رقيقًا ورحيمًا وجيد السيطرة على الذات. لم يكن ما يصفه العالم بأنه

مجنون كما لم يمثل خطورة لغيره. لكن كان لديه ذلك التصميم العنيد المتعلق بوفاة السيدة "**هاليداي**"، الذي أُعزي منشأه إلى زمن طويل سابق - إلى تجربة أيام طفولته. واعترف مع ذلك بأن جميع مناهج البحث والتحليل قد أخفقت في أن تقودنا إلى المفتاح الصحيح لهذا اللغز. فإخضاع مقاومة أحد المرضى للتحليل يستغرق جهداً طويلاً في بعض الأحيان قد يمتد إلى بضع سنوات. وفي حالة والدك لم يكن الوقت كافياً. توقف عن الحديث قليلاً ثم رفع بصره بحدة قائلاً:

- أعتقد أنك تعلمين أن العقيد "**هاليداي**" مات منتحراً. فصاحت "**جويندا**":

- آه... لا!

- إنني آسف يا سيدة "**ريد**". ظننت أنك كنت تعلمين. ربما يحق لك أن توجهي إلينا بعض اللوم على ذلك. فأنا واثق بأن قدراً من اليقظة كان كفيلاً بأن يحول دون حدوثه. ولكنني - صراحة - لم أر في العقيد "**هاليداي**" ما يشير إلى أنه من النوعية الانتحارية. لم يظهر به أي ميل إلى الملنخوليا - ولا الاكتئاب ولا الجزع أو القنوط. شكا من الأرق وسمح له زميلي بقدر معين من الأقراص المنومة. تظاهر بأنه كان يتناولها أولاً بأول ولكنه كان يحتفظ بها حتى توفر لديه الكم الكافي و... فرد يديه أمامه.

- هل كان تعساً إلى هذا الحد المفزع؟

- لا. لا أعتقد ذلك. ولكنني أرى أنها عقدة الذنب - الرغبة في أن توقع عليه عقوبة ما. كان مصمماً في بادئ الأمر على استدعاء الشرطة، وعلى الرغم من إقناعه بالتخلي عن هذه الفكرة والتأكيد له بأنه لم يقترف جريمة قط إلا أنه رفض بعناد شديد أن يقتنع تماماً. ومع ذلك أثبتنا له فكرتنا مرة بعد أخرى واضطر إلى الاعتراف بأنه لم يتذكر أنه قد قام بتلك الفعلة. تصفح الدكتور "**بنروز**" بعض الأوراق التي كانت أمامه ثم استطرد قائلاً:

- لم تتغير أقواله عن تلك الأمسية قط. قال إنه دخل المنزل وكان مظلماً.

لم يكن الخدم متواجدين. دخل حجرة المائدة كعادته وصب لنفسه مشروبًا وتناوله. ثم دخل من الباب الموصل بين الحجرتين إلى حجرة الاستقبال. وبعد ذلك لم يتذكر أي شيء – لا شيء ألبتة، حتى كان واقفًا بحجرة نومه ينظر إلى أسفل إلى زوجته – وكانت متوفاة – مخنوقة. فعلم أنه فعل بها ذلك... قاطعه "**جايلز**":

– معذرة يا دكتور "**بنروز**". لكن لماذا علم أنه فعل ذلك؟

– لم يكن بذهنه شك. فعلى مدى بضعة أشهر سابقة تبين أنه كان يعاني شكوكًا عنيفة ومثيرة. ذكر لي – مثلاً – أنه كان مقتنعًا بأن زوجته تدس له موادً مخدرة. كان قد عاش في "**الهند**" وكانت ممارسات دفع الزوجات أزواجهن إلى الجنون باستخدام التسمم بالداتورة كثيرًا ما كانت تنظر بالمحاكم هناك. وقد تكررت معاناته من الهلوسة مع الخلط بين الأزمنة والأماكن. نفى تمامًا شكه في عدم إخلاص زوجته له ومع ذلك أظن أن هذا كان القوة الحاثة. يبدو أن ما حدث بالفعل هو أنه توجه إلى حجرة الاستقبال وقرأ الرسالة التي تركتها زوجته وقالت فيها إنها سوف تتركه وكان أسلوبه في الهروب من هذا الواقع هو أن يفضل قتلها. ومن هنا جاءت الهلوسة. سألت "**جويندا**":

– تعني أنه كان يحبها بشدة؟

– أمر واضح يا سيدة "**ريد**".

– ولم يعرف قط أن هذه كانت مجرد هلوسة؟

– كان عليه أن يعترف بأنها لابد كانت كذلك – لكن اعتقاده الداخلي ظل راسخًا. كان الهاجس قويًا جدًا بحيث لم يستسلم للمنطق. لو كنا قد تمكنا من الكشف عن العناد الطفولي الذي وراء كل هذا... قالت "**جويندا**" مقاطعة إذ لم يكن لديها اهتمام بالعناء الطفولي:

– لكنك تقول إنك واثق تمامًا بأنه... لم يقترف هذه الفعلة؟

– لو كان هذا ما يزعجك يا سيدة "**ريد**" فلك أن تبعدي هذه الفكرة عن ذهنك تمامًا؛ لأن "**كلفين هاليداي**" مهما اشتدت غيرته على زوجته لم يكن

قائلاً بكل تأكيد. سعل الدكتور "بنروز" ثم أمسك بدفتر أسود صغير:

– إذا أردت هذا يا سيدة "ريد" فأنت أحق من يحصل عليه. يحتوي على عدد من الملاحظات والخواطر التي دونها والدك في أثناء فترة بقائه هنا. عندما سلمنا أمتعته وأشياءه الخاصة إلى محاميه (وهو في الواقع مؤسسة قانونية) احتفظ الدكتور "ماك جواير" المشرف العام آنذاك بهذا الدفتر كجزء من تاريخ الحالة. وقد كتب الدكتور "ماك جواير" في كتابه عن حالة والدك مشيراً إليه بالحروف الأولى فقط بالتأكيد. إذا أردت هذه المذاكرات... مدت "جويندا" يدها إليه بشغف. قالت:

– أشكرك. أريدها جداً.

- 15 -

وفي القطار في طريق العودة إلى "لندن" فتحت "جويندا" تلك الكراسة السوداء الصغيرة وبدأت تقرأ. فتحتها عشوائيًا وقرأت ما كان "كلفين هاليداي" قد كتبه:

"أعتقد أن هؤلاء الأطباء يعرفون عملهم جيداً... يبدو كل هذا هراء. هل كنت عاشقًا لأمي؟ وكارهًا لأبي؟ لا أصدق كلمة واحدة من كل هذا... لا يسعني سوى أن أشعر بأن هذه حالة بوليسية بسيطة – تختص بها محكمة الجنايات – وليست حالة اختلال عقلي. ومع ذلك، بعض هؤلاء الذين هنا طبيعيون جداً ومعقولون تمامًا مثل جميع الآخرين... باستثناء عندما تصطدم بالموضوع فجأة. حسنًا جداً إذن يبدو أنني أنا أيضًا لي نزوة.

لقد كتبت إلى "جيمز"... طلبت منه الاتصال بـ "هيلين"... حتى تأتي وتراني إذا كانت على قيد الحياة... يقول إنه لا يعرف أين هي... ذلك لأنه يعرف أنها متوفاة وأنني أنا الذي قتلتها. إنه إنسان مخلص لكن لا يمكنه خداعي... "هيلين" متوفاة...

متى بدأت أشك في سلوكها؟ منذ زمن طويل... بعد أن أتينا إلى

"**دلموث**" مباشرة. تغير سلوكها... كانت تخفي عني شيئًا ما... اعتدت مراقبتها... نعم وكانت هي أيضًا تراقبني. هل كانت تدس لي المخدر في طعامي؟ تلك الأحلام المزعجة الغريبة... أعلم أنها بسبب المخدرات... هي وحدها من كان يمكنها أن تفعل ذلك... لكن لماذا؟... هناك رجل ما... رجل ما كانت تخاف منه...

لأكن أمينًا مع نفسي. لقد شككت – أليس كذلك – في أن لها عشيقًا؟ كان هناك شخص ما – أعلم أنه كان هناك شخص ما – قالت لي ذلك ونحن بالسفينة... شخص ما أحبته ولم تتمكن من الزواج به... كان الأمر متشابهًا لكلينا... لم يكن باستطاعتي نسيان "**ميجان**"... كم تشبه "**جويني**" الصغيرة "**ميجان**" أحيانًا. لعبت "**هيلين**"، مع "**جويني**" بطريقة عذبة على متن السفينة... "**هيلين**"... كم أنت رائعة يا "**هيلين**". هل "**هيلين**" على قيد الحياة؟ أم أنني طوقت عنقها بيديّ وحرمتها الحياة؟ دخلت من باب حجرة المائدة ورأيت الرسالة – موضوعة على المكتب بطريقة واضحة ثم – ثم – أظلم كل شيء. لم أر سوى ظلام. لكن لا شك في ذلك... قتلتها. أحمد الله أن "**جويني**" على أحسن حال في "**نيوزيلندا**". فهم أناس طيبون. سوف يحبونها من أجل "**ميجان**". "**ميجان**" "**ميجان**"... كم أتمنى لو أنك كنت هنا... هذه أفضل طريقة... لا فضيحة... أفضل طريقة من أجل الطفلة. لا يمكنني مواصلة الحياة عامًا بعد عام. لابد لي من أن أتخذ أقصر الطرق إلى إنهاء حياتي. ولن تعلم "**جويني**" أي شيء عن كل هذا. لن تعلم أبدًا أن أباها قاتل... أغامت الدموع عيني "**جويندا**". نظرت إلى "**جايلز**" الجالس على المقعد المقابل ولكن عيني "**جايلز**" كانتا على الركن المقابل. وإذ أحس بنظرات "**جويندا**" إليه أعطى إشارة طفيفة برأسه. كان الرجل الجالس بجواره في القطار يقرأ صحيفة مسائية، حملت صفحتها الخارجية التي في مواجهته عنوانًا مثيرًا: "من هم الرجال الذين في حياتها؟" أومأت "**جويندا**" برأسها ببطء ثم حولت بصرها إلى مذكرات والدها. كان هناك شخص ما – أعلم أنه كان هناك شخص ما...

-16-

عبرت الآنسة "**ماربل**" شارع "**سي باريد**" وسارت في شارع "**فورستريث**" منعطفة إلى أعلى التل من خلال الممر المقنطر. كانت المحلات في هذه المنطقة قديمة الطراز: متجر أصواف وأشغال إبرة ومتجر حلويات ومحل ملابس سيدات وأقمشة وغيرها من ذات المستوى والنوعية. نظرت الآنسة "**ماربل**" إلى نافذة العرض بمحل الفنون وأشغال الإبرة. كانت هناك عاملتان شابتان مشغولتين ببعض العميلات ولكن عاملة كبيرة السن كانت جالسة بنهاية المتجر بلا زبائن. دخلت الآنسة "**ماربل**" وجلست فسألتها العاملة المسنة بنبرة ظريفة:

– ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك يا سيدتي؟ كانت الآنسة "**ماربل**" تريد قدراً من خيوط الصوف باللون الأزرق الفاتح حتى تصنع جاكيت طفل من التريكو. تمت إجراءات الشراء بتمهل وبطء، حيث تمت مناقشة الموديلات وأطلعت الآنسة "**ماربل**" على عدد من المجلات المتخصصة وفي تلك الأثناء كانت تتحدث عن حفيدات إخوتها وحفيداتهم. لم تظهر لا هي ولا عاملة المحل أية علامات على نفاد الصبر. فقد تعاملت هذه السيدة مع زبائن من أمثال الآنسة "**ماربل**" مدى سنوات طويلة. ومن واقع خبرتها كانت تفضل كبيرات السن المتحدثات الطويلات الأناة على غيرهن من الأمهات الشابات النافذات الصبر اللواتي لا يعلمن ما هو خير لهن، وتجذبهن الأسعار المنخفضة والسلع الجميلة المنظر فقط. قالت السيدة "**ماربل**":

– نعم. أعتقد أن هذا سيكون مناسباً تماماً. وهذه الماركة بالذات مضمونة دائماً. لا تنكمش أبداً. سآخذ بكرتين إضافيتين. بينما تعد العاملة المطلوب على هيئة طرد أبدت ملاحظة بأن الريح كانت باردة جداً في ذلك اليوم. فأجابتها الآنسة "**ماربل**" بقولها:

– نعم. هذا صحيح. لحظت ذلك وأنا قادمة عند الواجهة. لقد تغيرت "**دلموث**" كثيراً. لم آت إلى هنا منذ حوالي تسعة عشر عاماً تقريباً.

– حقيقة يا سيدتي؟ ستجدين قدرًا كبيرًا من التغيير إذن. لم يكن "**السوبرب**" قد أنشئ بعد على ما أعتقد ولا فندق "**ساوث فيو**".

– آه. لا. كان بناء صغيرًا جدًا. نزلت به مع بعض الصديقات.. هناك منزل عرف باسم "**سانت كاثرين**" – ربما تعرفينه؟ على طريق "**ليهامبتون**". ولكن العاملة جاءت إلى "**دلموث**" منذ عشر سنوات فقط. شكرتها الآنسة "**ماربل**" وأخذت الطرد ثم دخلت محل الملابس المجاور. وهنا أيضًا اختارت عاملة كبيرة السن حيث دار حوارها معها حول ذات الموضوعات وهي تشتري بعض لوازمها من الملابس الصيفية. وفي هذه المرة كانت العاملة فورية التجاوب معها.

– إنه منزل السيدة "**فنديسون**".

– نعم. نعم. مع أن الأصدقاء الذين كنت أعرفهم كانوا يستأجرونه مفروشًا. وهم العقيد "**هاليداي**" وزوجته وطفلته.

– آه. نعم. يا سيدتي. عاشوا فيه حوالي عام حسب اعتقادي.

– نعم. كان قد عاد من "**الهند**". وكانت لديهم طاهية ماهرة – أعطتني طريقة ممتازة لعمل بودنج التفاح – وخبز الزنجبيل أيضًا. دائمًا ما أتساءل عن أخبارها.

– أعتقد أنك تعنين "**إديث باجيت**" يا سيدتي. لا تزال هنا في "**دلموث**". وتعمل حاليًا لدى منتجع "**ويندرسن**".

– وكان هناك آخرون أيضًا – آل "**فين**". أعتقد أنه كان محاميًا.

– توفى السيد "**فين**" الوالد منذ بضع سنوات، ويعيش السيد "**فين**" الابن والسيد "**وولتر فين**" مع والدته. لم يتزوج السيد "**وولتر فين**" قط وهو الشريك الأكبر حاليًا.

– حقيقة كنت أظن أن السيد "**وولتر فين**" قد سافر إلى "**الهند**" – ليعمل في مشروع لزراعة الشاي أو شيء من هذا القبيل.

– أعتقد أن هذا صحيح يا سيدتي. عندما كان شابًا في مقتبل العمر.

ولكنه عاد وعمل بالمؤسسة بعد عام أو اثنين. هم أفضل المحامين بالمنطقة - وموضع تقدير الجميع. وهو رجل هادئ دمث الخلق... السيد "**وولتر فين**" محبوب من الجميع. فقالت الآنسة "**ماربل**" بنبرة تعجب:

- هذا صحيح بالتأكيد. وكان مخطوبًا للآنسة "**كينيدي**" - أليس كذلك؟ ثم فسخت هي الخطبة وتزوجت العقيد "**هاليداي**".

- هذا صحيح يا سيدتي. سافرت إلى "**الهند**" لتتزوج السيد "**فين**" لكن يبدو أنها غيرت رأيها وتزوجت الرجل الآخر بدلاً منه. شاب صوت العاملة نبرة عدم رضا وهي تقول ذلك، فانحنت الآنسة "**ماربل**" نحو الأمام وخفضت صوتها ثم قالت:

- دائمًا ما شعرت بالأسف على العقيد "**هاليداي**" المسكين (كنت أعرف والدته) وعلى ابنته الصغيرة. فهمت أن زوجته الثانية هجرته وهربت مع رجل آخر. من النوعية غير المستقرة لشديد الأسف.

- كانت امرأة لعوبًا. وأخوها الطبيب رجل دمث الخلق. أفادني جدًا في علاج ركبتي المصابة بالآلام الروماتيزمية.

- مع من هربت؟ لم أعلم.

- لا يمكنني أن أجزم يا سيدتي. يقول البعض إنه أحد الزوار الصيفيين. ولكنني أعرف كم انهار العقيد "**هاليداي**". غادر المنطقة وأعتقد أنه قد انهار صحيًا أيضًا. باقي النقود يا سيدتي.

أخذت الآنسة "**ماربل**" باقي النقود والطرد. قالت:

- شكرًا جزيلاً. أتساءل عما إذا كانت "**إديث باجيت**" لا تزال محتفظة بوصفة خبز الزنجبيل؟ ضاعت مني - أو بالحري خادمتي غير المبالية هي التي أضاعتها - وأنا مغرمة جدًا بهذا الخبز.

- أمر متوقع يا سيدتي. واقع الأمر أن شقيقتها تعيش في المنزل المجاور لهذا المحل وهي زوجة للسيد "**مونتفورد**"، صاحب مصنع الحلويات. وتأتي "**إديث**" إلى هنا عادة في أيام إجازاتها وأنا واثقة بأن شقيقتها من الممكن أن

تبلغها رسالة.

– فكرة رائعة. أشكرك شكرًا جزيلاً على كل تعبك معي.

– عفوًا يا سيدتي. خرجت الآنسة "**ماربل**" إلى الشارع. قالت محدثة نفسها:

"مؤسسة ظريفة قديمة الطراز. وهذه الملابس مناسبة تمامًا؛ لهذا لا أشعر بأن نقودي قد ضاعت سدى". ألقت نظرة على الساعة ذات المينا الزرقاء الباهتة المثبتة على جانب ردائها. قالت:

– أمامي خمس دقائق فقط قبل أن أصل إلى هذين الزوجين الشابين بمقصف "**جنجركات**". آمل ألا يكونا قد وجدا الأمور مغضبة تمامًا في تلك المصحة.

- 17 -

جلس "**جايلز**" و"**جويندا**" إلى مائدة ركنية بمقصف "**جنجركات**"، والكراسة السوداء الصغيرة فوق المائدة بينهما. أتت السيدة "**ماربل**" من الشارع وانضمت إليهما:

– ماذا تريدين يا آنسة "**ماربل**"؟ قهوة؟

– نعم. شكرًا. لا. لا كعك. فطيرة صغيرة وزبد.

أبلغ "**جايلز**" الطلب، ودفعت "**جويندا**" بالكراسة الصغيرة إلى الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– ينبغي أن تقرئي هذا أولاً ثم نتكلم. إنه ما كتبه أبي – بنفسه وهو بالمصحة. آه – لكن أرجوك يا "**جايلز**" أن تخبر الآنسة "**ماربل**" أولاً بما قاله الدكتور "**بنروز**" بالضبط. وفعل "**جايلز**" ذلك. ثم فتحت الآنسة "**ماربل**" الكراسة. وأحضرت النادلة ثلاثة أقداح من القهوة مع الفطيرة الصغيرة والزبد وطبق كعك. لم يتحدث "**جايلز**" و"**جويندا**" بل راقبا الآنسة "**ماربل**" وهي تقرأ. أغلقت الكراسة أخيرًا ووضعتها على المائدة. كان من الصعب قراءة تعبيرات وجهها. رأت "**جويندا**" أنها انطوت على قدر من الغضب؛ ذلك لأن

شفتيها كانتا مضمومتين معًا بشدة وعينيها كانتا متقدتين جدًّا بدرجة غير معتادة على ضوء سنِّها. قالت:

– نعم، حقيقة. نعم، حقيقة! فقالت "**جويندا**":

– لقد نصحتنا يومًا ما – هل تذكرين – بأن ننسى هذا الموضوع تمامًا؟ يمكنني الآن أن أفهم لماذا نصحتنا بذلك. ولكننا لم نستمع إلى رأيك. وهذا ما وصلنا إليه. الآن فقط نبدو وكأننا قد وصلنا إلى نقطة يمكننا أن نتوقف عندها لو أردنا. هل تظنين أنه من الواجب أن نتوقف أم لا؟ هزّت السيدة "**ماربل**" رأسها ببطء. بدت مهمومة وغاضبة. قالت:

– لا أعلم. لا أعلم بحق. ربما من الأفضل أن تتوقفا – من الأفضل جدًّا أن تتوقفا؛ لأن بعد انقضاء كل هذا الزمن ليس ثمة ما يمكنكما أن تفعلاه – أعني ليس ثمة شيء ذا طبيعة بناءة. سأل "**جايلز**":

– هل تعنين أن بعد فوات كل هذا الوقت ليس هناك ما يمكننا الكشف عنه؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا. لا. لم أعن ذلك ألبتة. تسعة عشر عامًا ليس بالزمن الطويل جدًّا. هناك من يمكنهم أن يتذكروا أشياءً ومن يمكنهم أن يجيبوا عن استفسارات. هناك أناس كثيرون. خدم على سبيل المثال. لابد أن كانت هناك خادمتان على الأقل بالمنزل في ذلك الوقت ومربية وبستاني. يستغرق الاهتداء إلى أمثال هؤلاء والحديث معهم وقتًا وقدراً من الجهد. وفي واقع الأمر اهتديت إلى شخصية واحدة بالفعل. الطاهية. لكن ليس هذا هو المقصود بل الفائدة الفعلية التي من الممكن التوصل إليها. وأميل إلى أن أقول إن لا فائدة. ومع ذلك... توقفت ثم استطردت قائلة:

– هناك "مع ذلك"... أنا بطيئة التفكير وإن كان لديَّ إحساس بأن هناك شيئًا ما... شيئًا ربما لا يكون محسوسًا تمامًا – يستحق خوض المخاطرة من أجله – وإنه ينبغي خوض المخاطرة من أجله – وإن كنت أجد صعوبة في تحديد ما هو ذلك الشيء... قال "**جايلز**":

– يبدو لي... ثم توقف فالتفتت الآنسة "**ماربل**" نحوه ممتنة لتقول:

– يبدو أن الرجال أسبق دائمًا لحساب الأمور بوضوح. أنا واثقة بأنك قد فكرت في الأمور جيدًا. فقال "**جايلز**":

– كنت أمعن في التفكير في الأمور. ويبدو لي أن هناك استنتاجين فقط يمكن للمرء أن يصل إليهما. أحدهما هو ما سبق لي أن اقترحته: أن "**هيلين هاليداي**" لم تكن قد ماتت عندما رأتها "**جويني**" راقدة في الرواق، وأنها أفاقت ورحلت مع عشيقها أيا من كان هو. فهذا يتطابق مع الوقائع كما نعرفها. ويتسق مع اعتقاد "**كلفين هاليداي**" الراسخ أنه قد قتل زوجته، ويتسق مع حقيبة السفر والملابس المختفية ومع الرسالة التي وجدها الدكتور "**كينيدي**". ولكن هذا الاقتراح يترك نقاطًا معينة بلا تبريرات. فهو لا يفسر لنا سبب اقتناع "**كلفين**" بأنه خنق زوجته في حجرة النوم. كما أنه لا يجيب عن السؤال الحائر بحق في تقديري – أين "**هيلين هاليداي**" الآن؟ لأنه يبدو لي أنه من غير المنطقي ألاَّ يسمع عن "**هيلين**" أو يسمع منها بعد ذلك. إذا افترضنا أن الخطابين اللذين كتبتهما حقيقيان فما الذي حدث بعد ذلك؟ لماذا لم تكتب ثانية؟ كانت مُحبَّة لأخيها وواضح أنه شديد الارتباط بها ودائمًا ما كان كذلك. ربما لا يوافق على سلوكها ولكن هذا لا يعني أنه لم يتوقع أن يسمع منها ثانية. وإذا كان لي أن أبدي رأيا فمن الواضح أن هذه النقطة كانت سبب هموم لـ "**كينيدي**" ذاته. لنفترض أنه قد تقبل في ذلك الوقت القصة التي رواها لنا تمامًا عن رحيل أخته وانهيار "**كلفين**". ولكنه لم يتوقع ألا يسمع من أخته قط بعد ذلك. أعتقد أنه بمرور الزمن دون أن يسمع منها ومع إصرار "**كلفين هاليداي**" على هواجسه وانتحاره في النهاية، إن شكوكًا بشعة قد بدأت تتسلل إلى ذهنه. ولو افترضنا أن رواية "**كلفين**" هي الحقيقة، وأنه قد قتل زوجته فعليًا فلا خطابات منها – ومن المؤكد أنها لو كانت قد توفيت في مكان ما خارج البلاد لابد أنه كان سيأتيه إخطار بذلك. أعتقد أن هذا يفسر أسباب شغفه عندما رأى إعلاننا. أمل في أن يقوده إلى معلومة عن

مكان وجودها أو عما كانت تفعله. أنا واثق بأنه من غير الطبيعي ألبتة أن يختفي أي إنسان كلية - بالطريقة التي يبدو أن "**هيلين**" قد اختفت بها. فهذا في حد ذاته يدعو إلى الشك. قالت الآنسة "**ماربل**":

- أتفق معك تمامًا. لكن ما البديل يا سيد "**جايلز**"؟ قال "**جايلز**"، بتأن:

- كنت أفكر في الوضع البديل. وهو خيالي جدًا ومخيف جدًا؛ لأنه ينطوي على... نوعية من الحقد.. فقالت "**جويندا**":

- نعم. الحقد هو الوصف الصحيح. وأعتقد أنه شيء مجانب للصواب إلى حد ما أيضًا. واقشعر بدنها. قالت السيدة "**ماربل**":

- وهناك ما يشير إلى ذلك كما أرى. هناك قدر كبير من الغرابة - يزيد على ما يتصوره الناس. لقد رأيت بعضًا منها... بدت على وجهها علامات تفكير عميق. فقال "**جايلز**":

- كما ترون ليس هناك أي تفسير طبيعي. وسأتناول الآن الفرضية الخيالية: إن "**كلفين هاليداي**" لم يقتل زوجته وقد ظن بحق أنه قد فعل بها ذلك. وهذا ما هو واضح. إن الدكتور "**بنروز**"، وهو رجل مهذب، كان أول انطباع له عن "**هاليداي**" هو أنه أمام رجل قتل زوجته ويريد أن يسلِّم نفسه للشرطة. ثم اضطر إلى أن يأخذ برأي "**كينيدي**" وتأكيده بأن ذلك لم يكن الحال. وبناء على ذلك اضطر إلى أن يقتنع بأن "**هاليداي**" ضحية عقدة نفسية أو ظروف معينة أو أيًا كان المسمى - ولكنه لم يكن محبًا لهذا الحل بحق. كانت لديه خبرة واسعة عن تلك النوعية لم تنطبق على حالة "**هاليداي**". إلا أنه بعد أن تعرف إلى "**هاليداي**" بقدر أكبر أصبح واثقًا تمامًا بأنه ليس من نوعية الرجال التي يمكنها أن تخنق امرأة تحت أية ظروف مثيرة للغضب؛ لهذا قبل نظرية أنه ضحية للظروف لكن مع قدر من الشك. وهذا ما يعني أن نظرية واحدة فقط هي التي تتسق مع الحالة - إن "**هاليداي**" قد استُحث على أن يعتقد أنه قتل زوجته - بواسطة شخص آخر. بمعنى أننا قد وصلنا إلى "**س**". توقف لحظة ثم قال:

- بمراجعة الوقائع بدقة يمكنني القول إن هذه الفرضية ممكنة على الأقل. فطبقًا لرواية "**هاليداي**" ذاته أنه عاد إلى المنزل في ذلك المساء ودخل حجرة المائدة وتناول كأسًا كعادته - ثم دخل الحجرة المجاورة فرأى رسالة على المكتب وأصيب بفقدان للوعي. توقف "**جايلز**" عن الكلام وأومأت الآنسة "**ماربل**" متابعة. فاستطرد قائلاً:

- لنقل إنه لم يكن فقدانًا للوعي - وإنه لم يكن سوى تأثير المخدر - قطرات مخدرة في الشراب. والخطوة التالية واضحة تمامًا - أليست كذلك؟ كان "**س**" قد قام بخنق "**هيلين**" في الرواق ولكنه حملها إلى الطابق الأعلى بعد ذلك ورتب المشهد فنيًّا على أنه جناية قتل عاطفية في الفراش، وهذه هي اللحظة التي أفاق "**كلفين**" فيها فظن أنه هو الذي فعل ذلك على ضوء طول معاناته الغيرة عليها. فماذا يفعل بعد ذلك؟ ينطلق بحثًا عن شقيق زوجته - على الجانب الآخر من البلدة، سيرًا على القدمين مما يتيح لـ"**س**" فرصة كافية لتنفيذ حيلته التالية. أن يستِّف حقيبة سفر بالملابس ويحملها بعيدًا عن المكان وينقل الجثة أيضًا من هناك - على الرغم من أن ما فعله بالجثة يتعذر عليَّ تخمينه تمامًا. قالت الآنسة "**ماربل**":

- يدهشني أنك تقول ذلك يا سيد "**ريد**". ينبغي أن أشير إلى أن هذه المشكلة تشير إلى بعض الصعاب لكن أرجوك أن تواصل حديثك. قال "**جايلز**" مقتبسًا:

- "من هم الرجال الذين في حياتها؟" لقد قرأت هذا العنوان بإحدى الصحف ونحن عائدين بالقطار. جعلني أتساءل؛ لأن هذه هي النقطة الحاسمة في الموضوع. لو كان هناك "**س**" كما نعتقد فكل ما نعرفه عنه هو أنه كان متيمًا بها، بل مجنونا بحبها. فقالت "**جويندا**":

- وبناء على ذلك كان يكره والدي وأراد له أن يعاني. فقال "**جايلز**".

- وهنا يأتي التعارض. فنحن نعلم من أية نوعية كانت "**هيلين**". فقالت "**جويندا**":

– مفتونة بالرجال. رفعت الآنسة "**ماربل**" بصرها فجأة كما لو كانت ستتحدث ثم توقفت.

– وإنها كانت جميلة لكن ليست لدينا أية معلومات عن رجال آخرين بحياتها سوى زوجها. ربما كان هناك أي عدد. هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها:

– لا أظن ذلك؛ لأنها صغيرة السن جداً كما تعلمان. ولكنك لست دقيقاً جداً يا سيد "**ريد**". فنحن نعلم شيئاً عما وصفته بأنه "رجال في حياتها". كان هناك الرجل الذي سافرت كي تتزوجه.

– آه. نعم. ذلك المحامي. ما اسمه؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– "**وولتر فين**".

– نعم. لكن لا يمكن أخذه في الحسبان. كان خارج البلاد في "**الملايو**" أو "**الهند**" أو بلد كهذا. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لكن هل كان خارج البلاد بحق؟ لم يظل في مشروع زراعة الشاي طويلاً. عاد إلى هنا والتحق بالمؤسسة وهو حالياً الشريك الأكبر. قالت "**جويندا**" متعجبة:

– ربما أنه قد تبعها عائداً إلى هنا؟

– ربما. لا نعلم. كان "**جايلز**" يرمق السيدة العجوز بنظرات الفضول:

– وكيف اكتشفت كل هذا؟ ابتسمت الآنسة "**ماربل**" بتواضع:

– كنت أتحدث قليلاً مع بعض الناس بالمتاجر أو وأنا أنتظر قدوم الحافلات من المفترض أن تكون كبيرات السن كثيرات الأسئلة والاستفسارات. وبذلك يمكننا التقاط الكثير من الأخبار المحلية. قال "**جايلز**" مفكراً:

– "**وولتر فين**". "**هيلين**" فسخت خطبتها له. ربما هذا قد اعتمل في نفسه كثيراً. هل تزوج بعد ذلك؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا. يعيش مع والدته. سأذهب لتناول الشاي هناك في نهاية هذا الأسبوع. قالت "**جويندا**" فجأة:

– وهناك رجل آخر لدينا علم به أيضاً. تذكران أن هناك شابا كانت قد

خطبت له أو تورطت في علاقة به عندما كانت لا تزال بالمدرسة - شخصية غير مرغوبة على حد وصف الدكتور "**كينيدي**". إنني أتساءل لماذا لم يكن مرغوبًا فيه... فقال "**جايلز**":

- لدينا رجلان إذن. أي منهما حمل لها ضغينة وربما أصيب بالكآبة... ربما الشاب الأول لم يكن تاريخه العقلي مرضيًّا تمامًا. فقالت "**جويندا**":

- يمكن للدكتور "**كينيدي**" أن يفيدنا بشأن هذه النقطة لكن سيكون من الصعب أن نطلب منه ذلك. ما أعنيه هو أن لا بأس من أن أسأل عن أخبار زوجة أبي التي أكاد لا أتذكرها ولكن رغبتي في أن أعرف شيئًا عن علاقاتها العاطفية المبكرة تتطلب بعض التبريرات لأن ذلك سيبدو اهتمامًا زائدًا بزوجة أب أكاد لا أعرفها. قالت الآنسة "**ماربل**":

- ربما كانت هناك وسائل أخرى للمعرفة. نعم. بالصبر والوقت يمكننا جمع المعلومات التي نحتاج إليها. فقال "**جايلز**":

- في جميع الأحوال نحن أمام احتمالين. فقالت الآنسة "**ماربل**":

- أعتقد أنه يمكننا أن نخمِّن ثالثًا. سيكون فرضية بحتة بالتأكيد وإن كان له مبرراته، على حد تقديري، بتطور الأحداث. نظرت "**جويندا**" و"**جايلز**" إليها بقدر من الدهشة. فقالت وقد تورد وجهها: - إنه مجرد تخمين. سافرت "**هيلين كينيدي**" إلى "**الهند**" لتتزوج الشاب "**فين**". واضح أنها لم تكن متيمة به لكن لابد أنها كانت مغرمة به وعلى استعداد تام لأن تقضي حياتها معه. لكن ما إن تصل إلى هناك حتى تفسخ خطبتها له وتكتب إلى أخيها ليرسل إليها مصاريف العودة إلى الوطن. لماذا؟ فقال "**جايلز**":

- أعتقد أنها غيرت رأيها. بدت على كل من "**جويندا**" والآنسة "**ماربل**" علامات عدم الاقتناع بهذه الإجابة وقالت "**جويندا**":

- لقد غيرت رأيها بالتأكيد. هذا أمر معروف. ما تعنيه الآنسة "**ماربل**" هو: لماذا؟ فقال "**جايلز**":

- أعتقد أن الفتيات يغيرن آراءهن. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– في ظل ظروف معينة. حملت كلماتها كل التلميح الحاد الذي يمكن لكبيرات السن إحرازه بأقل قدر من الحديث الفعلي. قال "**جايلز**" مقترحاً:

– ربما فعل شيئاً ما. إلا أن "**جويندا**" قاطعته بحدة:

– رجل آخر... بكل تأكيد! نظرت هي والآنسة "**ماربل**" كل إلى الأخرى بتأكيد المتمتعات بتعاطف معين مستثنى منه الرجال. وهنا أضافت "**جويندا**" بثقة:

– على متن السفينة! عند سفرها من هنا! فقالت الآنسة "**ماربل**":

– القرب المكاني والزماني. وقالت "**جويندا**":

– وتأثير ضوء القمر عليها في السفينة وكل هذه النوعية من الأمور. لكن – لابد أنها كانت جادة – وليست مجرد مغازلات عابرة. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– نعم. أعتقد أنها كانت جادة. فسأل "**جايلز**":

– مادام الأمر كان جاداً فلماذا تتزوج ذلك الرجل؟ فقالت "**جويندا**" بنبرة متأنية:

– ربما لأنه لم يحبها حقًّا. ثم هزت رأسها مستطردة:

– لا. أعتقد أنها في هذه الحالة كانت ستتزوج "**وولتر فين**" مع ذلك. آه... كم أنا حمقاء. لابد أنه كان متزوجاً. نظرت إلى الآنسة "**ماربل**" وقد أحست بالانتصار فأجابتها الأخرى بقولها:

– بالضبط. هكذا أعيد صياغة الحدث. وقعا في الغرام وربما بشدة أيضاً. لكن بما أنه متزوج وربما والد لأطفال – وربما ذو مكانة مرموقة – تكون هذه هي النهاية الطبيعية. فقالت "**جويندا**":

– ولكنها لم تتمكن من مواصلة خطتها الأصلية وتتزوج "**وولتر فين**"؛ لهذا أبرقت إلى أخيها وعادت إلى البلاد. نعم. هذا يتسق تماماً. وفي طريق عودتها بالبحر التقت بوالدي... توقفت عن الكلام حتى تستوعب الأحداث ثم قالت:

- لم تحبه بشدة ولكنها انجذبت إليه... ثم كنت أنا هناك. كان كلاهما تعسًا... وحاول كل منهما التخفيف عن الآخر. أخبرها أبي بوفاة أمي وربما أخبرته هي بأمر الرجل الآخر... نعم. هذا وارد. قلبت صفحات الكراسة الصغيرة وقرأت: "أعلم أنه كان هناك رجل ما - أخبرتني بذلك على ظهر السفينة.. رجل أحبته ولم تستطع أن تتزوجه". نعم، هذا هو الموضوع. أحست "**هيلين**" ووالدي أنهما متشابهان - وكنت أنا هناك محتاجة إلى من يعتني بي. وظنت أنه يمكنها أن تسعده - وربما تكون قد ظنت أيضًا أنها ستكون سعيدة جدًا في نهاية الأمر. توقفت "**جويندا**" ثم أومأت نحو الآنسة "**ماربل**" بشدة وقالت:

- هذا ما كان. بدا "**جايلز**" محبطًا. قال:

- تبتكرين عددًا من الأحداث تجمعينها معًا وتزعمين أنها وقعت فعلاً.

- لقد حدثت. ولابد أن يكون هذا ما حدث. وهذا يعطينا شخصًا ثالثًا تحت مسمى "**س**".

- تعنين...

- ذلك الرجل المتزوج. لا نعرف عنه شيئًا. ربما لم يكن مهذبًا قط. وربما كان به مس من جنون. ربما يكون قد تبعها إلى هنا.

- لقد صورته على أنه مسافر إلى "**الهند**".

- حسنًا. بإمكان الناس أن يعودوا من "**الهند**". أليس كذلك؟ وقد عاد "**وولتر فين**" وذلك بعد عام تقريبًا. لا أقول إن ذلك الرجل قد عاد ولكنني أقول إنه قد يكون احتمالاً. تريد أن تعرف من هم الرجال الذين كانوا في حياتها. حسنًا، أصبح لدينا ثلاثة منهم: "**وولتر فين**" وشاب لا نعرف اسمه ورجل متزوج. فأكمل "**جايلز**" عبارتها بقوله:

- لا نعلم أن له وجود. فقالت:

- سوف نكتشف - أليس كذلك يا آنسة "**ماربل**"؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

- بالصبر والوقت قد نكتشف الكثير. والآن أقدم لكما إسهامي. نتيجة

لحوار قصير بمحل الملابس اليوم أسعدني الحظ بأنني اكتشفت أن "**إديث باجيت**" التي كانت تعمل طاهية بمنزل "**سانت كاثرين**" في التوقيت الذي يهمنا لا تزال في "**دلموث**" وأن شقيقتها متزوجة من صاحب مصنع حلويات هنا. أعتقد أنه من الطبيعي جداً يا "**جويندا**" أن ترغبي في مقابلتها. ربما يمكنها أن تخبرنا بالكثير. فقالت "**جويندا**":

- هذا رائع. وقد فكرت في شيء آخر أيضاً. سوف أكتب وصية جديدة. لا تبدو متحيراً هكذا يا "**جايلز**". سأترك لك ثروتي مع ذلك. ولكنني سأطلب من "**وولتر فين**" أن يقوم بإجراءاتها. قال "**جايلز**":

- "**جويندا**" - توخي الحذر. فقالت "**جويندا**":

- كتابة الوصية إجراء عادي تماماً. وأسلوب التعامل الذي خططت له جيد جداً. أريد أن أراه تحت أي ظرف. أريد أن أرى كيف يبدو وإذا وجدت أنه من الممكن... وتركت الجملة غير مكتملة. قال "**جايلز**":

- ما يدهشني هو أن لا أحد آخر رد على إعلاننا - هذه المرأة "**إديث باجيت**" مثلاً... هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها وقالت:

- يستغرق الناس وقتاً طويلاً في اتخاذ القرار بشأن شيء كهذا في الضواحي الريفية. فهم متشككون ويحبون التفكير في الأمور ملياً.

- 18 -

فردت "**ليلي كيمبل**" بعض أوراق الصحف القديمة فوق منضدة المطبخ تمهيداً لتصفية البطاطس التي كانت تقليها عليها. وبينما كانت تدندن لحن إحدى الأغنيات الحديثة وقع بصرها على الإعلان الظاهر أمامها. توقفت عن الدندنة فجأة ونادت:

- **جيم**... **جيم**. اسمعني. كان "**جيم**" - وهو رجل كبير السن - مشغولاً بغسل بعض الأشياء عند حوض المطبخ. وكان قليل الكلام. سأل زوجته عما هناك فقالت:

- إنه إعلان بالصحيفة نصّه كالآتي: "على أي فرد لديه معلومات عن

"**هيلين سبنلوف هاليداي**" ولقبها قبل الزواج "**كينيدي**" الاتصال بالسادة "**ريد**" و "**هاردي**"، **سوثها مبتون رو!**". يخيل إليَّ أنهم يعنون السيدة "**هاليداي**" التي كنت أعمل لديها بمنزل "**سانت كاثرين**" الذي كانت قد استأجرته من السيدة "**فنديسون**" هي وزوجها. كان اسمها "**هيلين**" بالتأكيد
- نعم - وهي أخت الدكتور "**كينيدي**" الذي كان يقول لي دائمًا إنه من الضروري استئصال الزوائد الأنفية. عم صمت قصير بينما كانت السيدة "**كيمبل**" ترتب شرائح البطاطس المقلية فوق الورق بلمسة الخبيرة ووقف السيد "**كيمبل**" يجفف وجهه قبل أن تستأنف حديثها:
- الصحيفة قديمة بالتأكيد يرجع تاريخها إلى أسبوع سابق أو أكثر. أتساءل عن سبب هذا الإعلان. هل تظن أنه يشير إلى وجود مبلغ ما مالي؟ ولم يجب الزوج بشيء شاف فاستطردت قائلة:
- ربما هناك وصية أو شيء كهذا. لقد مر زمن طويل جدًّا. ثمانية عشر عامًا أو أكثر. لا عجب... لكنني أتساءل لماذا يقلِّبون في الأمر في الوقت الحالي؟ لا تظن أن للأمر صلة بالشرطة - أليس كذلك يا "**جيم**"؟
- ما الذي تعنينه؟
- تعلم ما كنت أظنه دائمًا. وقد أخبرتك به في حينه. إن هناك إدعاء بأنها هربت مع رجل. هذا ما يقوله الأزواج عندما يقتلون زوجاتهم. صدقني كانت تلك جريمة قتل. هذا ما قلته لك وقلته لـ "**إدي**" ولكن "**إدي**" لم تصدقني فلا خيال لديها. تلك الملابس المفترض أنها أخذتها معها - لم تكن الملابس الصحيحة - إذا كنت تفهم ما أعنيه. اختفت حقيبة سفر وحقيبة أخرى، ومن الملابس ما يكفي لملئهما، لكن تلك لم تكن الملابس الصحيحة. وكان عندئذ أن أخبرت "**إدي**" بأن السيد قتل زوجته ودفنها في الدرك الأدنى. لكن لم يكن الدفن في الدرك الأدنى لأن "**لايوني**" تلك المربية السويسرية رأت شيئًا ما من النافذة. كانت قد عادت معي من السينما على الرغم من أنه لم يكن من المفترض أن تغادر المنزل وحجرة الطفلة - ولكنني

أكدت لها آنذاك أن الطفلة لا تستيقظ أبدًا في أثناء الليل بل تبقى في فراشها حتى الصباح، وأن السيدة لا تصعد إلى حجرة الطفلة في المساء أبدًا، وأن أحدًا لن يعلم لو أنك خرجت معي. فخرجت معي. وعندما عدنا كان هناك اضطراب بالمنزل. كان الطبيب هناك والسيد مريض ونائم في حجرة استبدال الملابس والطبيب يشرف عليه. وكان عندئذ أن سألني عن الملابس. وبدا كل شيء واضحًا آنذاك. ظننت أنها قد هربت بالفعل مع ذلك الرجل الذي كانت تحبه - وهو رجل متزوج أيضًا - وقالت "**إدي**" إنها تأمل وتصلي من أجل عدم تورطنا في دعوى طلاق. ماذا كان اسمه؟ لا أتذكر. كان يبدأ بحرف الميم أم الراء؟ يا إلهي الذاكرة بدأت تضعف. أتى السيد "**كيمبل**" من جهة الحوض - متجاهلاً جميع الأمور الأقل أهمية - يسأل عما إذا كان عشاؤه مجهزًا.

- إنني أقوم بتصفية البطاطس.. انتظر. سوف أحضر ورقة أخرى حتى أحتفظ بهذه. من غير المحتمل أن يكون للإعلان علاقة بالشرطة... بعد انقضاء كل هذه المدة. ربما كان إعلانا بواسطة محامين - والأمر يتعلق بأموال. لا يذكر الإعلان شيئًا من هذا القبيل ولكنه قد يتعلق بأموال موصى بها مع ذلك... ليتني أعلم إلى من ألجأ بشأنه. يطلب الإعلان الكتابة إلى عنوان معين في "**لندن**" - ولكنني لست واثقة بأنني أحب أن أقوم بشيء كهذا... أن أكتب إلى عدد من الناس في "**لندن**"... وما رأيك يا "**جيم**"؟ أجاب "**جيم**" بأنه جائع جدًّا وتأجلت المناقشة بناء على ذلك.

- 19 -

نظرت "**جويندا**" إلى "**وولتر فين**" عبر المكتب الماهوجني العريض. رأت رجلاً في الخمسين تقريبًا تبدو علامات التعب على وجهه المهذب الغريب الذي تجد صعوبة في أن تتذكر ما إذا كانت قد التقته من قبل بطريق المصادفة... رجل - بالتعبير العصري - مفتقر إلى الشخصية. وعندما تكلم

كان بطيئًا وحذرًا ومهذبًا بما أوحى لـ "**جويندا**" بأنه محام مقتدر تمامًا. استرقت نظرة في أرجاء حجرة مكتب الشريك الأكبر في المؤسسة. كانت مناسبة لـ "**ولتر فين**" تمامًا. قديمة الطراز بالتأكيد والأثاث متهالك وإن كان أصلاً من مواد متينة تحاكي طراز العصر الفيكتوري. كانت الصناديق المحتوية على الصكوك والوثائق مصطفة على الجدران، تحمل أسماء أعيان المقاطعات، من أمثال السير "**جون فافاسور**" والسيدة "**جيساب**" وغيرهما. كانت النافذة الكبيرة تطل على فناء خلفي مربع الشكل تحيط به جدران منزل مجاور يرجع تاريخه إلى القرن السابع عشر، ولم يكن زجاج هذه النافذة نظيفًا بالقدر الكافي. كما لم يكن هناك أي شيء جميل أو حديث في أي مكان، ولم يكن هناك شيء قذر أيضًا. كانت الحجرة غير منظمة بكل هذا العدد من الصناديق وصفوف الكتب القانونية الموضوعة على الأرفف بلا ترتيب - ولكنها كانت بالفعل حجرة شخص يعرف أين يضع يده على أي شيء يريده. توقفت حركة قلم "**ولتر فين**" وارتسمت على وجهه ابتسامته الرقيقة المتأنية. قال:

- أعتقد أن كل شيء واضح يا سيدة "**ريد**". وصية بسيطة تمامًا. متى تحبين أن تحضري لتوقيعها؟ فأخبرته "**جويندا**" في التوقيت الذي يراه مناسبًا وأن لا داعي إلى التعجل. ثم قالت:

- لدينا منزل هنا. "**جانب التل**". قال "**ولتر فين**" وهو يتأمل الملاحظات التي كان قد دونها:

- نعم. لقد ذكرت لي العنوان. ولم تلحظ "**جويندا**" أي تغيير في نبرة صوته الهادئة فقالت:

- إنه منزل ظريف جدًّا. ونحبه كثيرًا. فابتسم "**ولتر فين**" قائلاً:

- حقيقة؟ هل هو مطل على البحر؟ فقالت "**جويندا**":

- لا. أعتقد أن اسمه قد تغير. كان "**سانت كاثرين**" قبل ذلك. خلع السيد "**فين**" نظارته وقام بتلميعها بمنديل حريري وهو ينظر إلى المكتب. قال:

– آه. نعم. الذي على طريق "**ليهامبتون**"؟ رفع بصره إلى "**جويندا**" فرأت أن المعتادين ارتداء النظارات يبدون مختلفين دونها. بدت عيناه ذواتا اللون الرمادي الفاتح ضعيفتين وغير مركزتين إلى حد غريب، مما جعل وجهه كله يبدو وكأن الرجل غير موجود. ارتدى "**وولتر فين**" النظارة ثانية ثم قال بصوته القانوني المقتضب:

– أظن أنك قلت إنك كتبت وصية بمناسبة زواجك.

– نعم. ولكنني كنت قد أوصيت فيها بأشياء لعدد من أقاربي في "**نيوزيلندا**" وهم متوفون الآن؛ لهذا رأيت أنه من الأسهل أن أكتب وصية جديدة تمامًا – خاصة أننا نعتزم الإقامة بهذا البلد بصفة دائمة. أومأ "**وولتر فين**":

– نعم. وجهة نظر سليمة تمامًا. حسنًا. أظن أن كل شيء واضح تمامًا يا سيدة "**ريد**". ربما من المناسب أن تأتي يوم بعد غد؟ هل الساعة الحادية عشرة تناسبك؟

– نعم. هذا مناسب تمامًا. نهضت "**جويندا**" على قدميها ونهض "**وولتر فين**" أيضًا. قالت بالسرعة التي كانت قد تدربت عليها من قبل:

– لقد أتيت إليك خصيصًا لأنني أعتقد – أعني أنني أرى – أنك كنت تعرف أمي في وقت ما. قال "**ووالتر فين**" مضيفًا بعضًا من الدفء الاجتماعي إلى سلوكه:

– حقيقة؟ ماذا كان اسمها؟

– "**هاليداي**"... "**ميجان هاليداي**". أعتقد أنه قد قيل لي – إنك كنت خطيبًا لها في وقت ما؟ دقت ساعة الحائط. وشعرت "**جويندا**" فجأة بأن دقات قلبها أسرع من ذي قبل. كم كان وجه "**وولتر فين**" هادئًا. من الممكن أن يشبه منزلاً – جميع ستائره مسدلة. وهذا ما يعني منزلاً بداخله جثة هامدة. (يا لها من أفكار سخيفة تلك التي تراودك يا "**جويندا**"!) قال "**وولتر فين**" ولم يتغير صوته أو نبرة صوته:

– لا. لم أعرف والدتك قط يا سيدة "**ريد**". ولكنني خطبت ذات مرة

ولفترة قصيرة جداً "**هيلين كينيدي**" التي تزوجت العقيد "**هاليداي**" فيما بعد كزوجة ثانية له.

– آه. فهمت.. كم هذه حماقة مني. لقد خلطت بين الأمور. كانت هي "**هيلين**" زوجة أبي. كان كل هذا منذ زمن طويل قبل أن أستطيع أن أتذكر، كنت طفلة صغيرة عندما انهار زواج أبي الثاني. ولكنني سمعت من قال إنك كنت خطيب السيدة "**هاليداي**" عندما كانت في "**الهند**" فكان من الطبيعي أن أظن أنها أمي – بسبب ذكر "**الهند**" – أعني لأن والدي قد التقى بها في "**الهند**". قال "**وولتر فين**":

– سافرت "**هيلين كينيدي**" إلى "**الهند**" كي تتزوجني. ثم غيرت رأيها. وعلى متن السفينة التي استقلتها للعودة إلى الوطن التقت بوالدك. كان حديثه تقريراً لواقع خلا من كل مشاعر. ولم يزل لدى "**جويندا**" انطباع المنزل المُسْدَل الستائر. قالت:

– إنني آسفة. هل مسست مشاعرك؟ فابتسم "**وولتر فين**" بأسلوبه المتأني ورفعت الستائر وهو يقول:

– كان ذلك منذ تسعة عشر عاماً أو عشرين عاماً يا سيدة "**ريد**". ولا تعني متاعب وحماقات الشباب الكثير بعد انقضاء كل هذا الوقت. أنت إذن طفلة "**هاليداي**". تعلمين أن والدك و"**هيلين**" عاشا هنا في "**دلموث**" فترة من الزمن؟

– نعم؛ لهذا السبب أتينا إلى هنا. لم أتذكر المكان جيداً بالتأكيد، لكن عندما رأينا أن نقرر أين نقيم في "**إنجلترا**" أتيت إلى "**دلموث**" أولاً لأراها على الطبيعة وكيف تبدو فوجدت أنها بقعة خلابة وقررنا أن نستقر هنا وليس في أي مكان آخر. واعتبرت أن من حسن حظنا أننا جئنا إلى المنزل ذاته الذي عاش أهلي فيه منذ زمن طويل. قال "**وولتر فين**" مبتسماً مرة أخرى:

– أتذكر المنزل. قد لا تتذكرينني يا سيدة "**ريد**" ولكنني أتصور أنني كنت أداعبك في بعض الأحيان. ضحكت "**جويندا**":

– هل هذا صحيح؟ أنت صديق للعائلة إذن. لا أزعم أنني أتذكرك – ربما لأنني كنت في حوالي الثانية والنصف أو الثالثة من عمري. هل كنت قد عدت من "**الهند**" في إجازة أو شيء كهذا؟

– لا. غادرت "**الهند**" نهائيًا. كنت قد ذهبت إلى هناك لتجربة زراعة الشاي – ولكن الحياة هناك لم تناسبني. لقد جئت لأسير على خطى والدي وأكون محاميًا ريفيًا بعيداً كل البعد عن المغامرات. كنت قد اجتزت جميع امتحاناتي في المواد القانونية قبل سفري. وبناء على ذلك عدت ببساطة والتحقت بالمؤسسة وظللت بها حتى الآن. ثم ردد بصوت خافت بعد لحظة توقف:

– نعم. حتى الآن... رأت "**جويندا**" أن الاثني عشر عامًا ليست بالزمن الطويل جداً... ثم، وبتغيير في الأسلوب صافحها قائلاً:

– حيث إنه يبدو أننا صديقان قديمان ينبغي أن تأتي وزوجك لتناول الشاي مع والدتي يومًا ما. سأطلب منها أن تكتب إليك. وفي تلك الأثناء... الحادية عشرة يوم الخميس؟ غادرت "**جويندا**" المكتب ومنه إلى الدرج حيث كانت خيوط عنكبوت في زوايا بيت الدرج، وفي وسطها عنكبوت باهت اللون، لم يبد لها حقيقيًا. فلم يكن من النوعية الممتلئة بالسائل التي تقتنص الذباب وتلتهمه. كان أقرب إلى شبح عنكبوت، مثل "**وولتر فين**" في الواقع. قابل "**جايلز**" زوجته عند شاطئ البحر. سألها:

– حسنا؟

– كان هنا في "**دلموث**" في ذلك الوقت، عائداً من "**الهند**"؛ لأنه كان يداعبني. لكن من المستحيل أن يكون قد قتل أي إنسان. فهو هادئ ورقيق جداً. ودمث الخلق أيضًا. ولكنه من النوعية التي لا يمكنك أن تلحظ وجودها. من أمثال أولئك الأفراد الذين يحضرون الحفلات ولكنك لا تلحظ أبداً متى يرحلون. أعتقد أنه كان مستقيمًا إلى حد مبالغ فيه وبارًا بوالدته فضلاً على عدد من الفضائل الأخرى. أما من وجهة النظر النسائية فهو جامد

إلى حد غير محتمل. يمكنني أن أرى لماذا لم ينجح في كسب قلب "**هيلين**"؛ فهو شخصية ظريفة آمنة كزوج ولكنه مرفوض. فقال "**جايلز**":

- شيطان بائس وأعتقد أنه كان متيمًا بها فقط.

- لا أدري... ولا أظن ذلك حقًّا. في جميع الأحوال لن يكون هو القاتل الشرير الذي نسعى إلى التوصل إليه. لا يطابق فكرتي عن القاتل ألبتة.

- على الرغم من أنك لا تعرفين الكثير عن القتلة والجناة يا حبيبتي.

- ماذا تعني؟

- اتجه تفكيري إلى بعض الشخصيات الهادئة التي خدعت بعض المحققين وثبتت إدانتها في النهاية. لا أعتقد أن للقتلة نموذجًا خاصًّا بهم.

- لا أعتقد بحق أن "**وولتر فين**"... ثم توقفت "**جويندا**" متسائلة:

- ماذا هناك؟

- لا شيء. ولكنها تذكرت "**وولتر فين**" وهو يلمِّع نظارته والنظرة الغامضة الغريبة التي لاحت بعينيه عندما ذكرت "**سانت كاثرين**" أول مرة. قالت بغير اقتناع:

- ربما... كان متيمًا بها...

- 20 -

كان الرواق الخلفي بمنزل السيدة "**مونتفورد**" مكانًا مريحًا جدًّا. اشتمل على منضدة مستديرة عليها غطاء أنيق وعدد من المقاعد المجنحة وأريكة مريحة عند الجدار. وكان على رف المدفأة عدد من الكلاب المصنوعة من الصيني بين قطع زينة أخرى وصورة بالألوان للأميرتين "**أليزابيث**" و"**مرجريت روز**". وعلى جدار آخر كانت صورة للملك في زي البحرية وصورة أخرى للسيد "**مونتفورد**" مع مجموعة من صانعي المخبوزات والحلويات الآخرين. كما كانت هناك صورة مصنوعة من الأصداف وصورة أخرى لبحر أخضر اللون في "**كابري**". كانت هناك أشياء عديدة أخرى لا

شيء منها له صلة بالجمال أو بالحياة الراقية. ومع ذلك كانت النتيجة النهائية هي حجرة تنطق بالسعادة والمرح. يجلس الناس فيها ويستمتعون بوقتهم كلما سمحت ظروفهم بذلك. كانت السيدة "**مونتفورد**"، واسمها قبل الزواج "**باجيت**"، قصيرة القامة مستديرة القوام داكنة لون الشعر الذي تخلله قدر من الشيب. أما شقيقتها "**إديث باجيت**" فكانت طويلة القامة وسمراء ونحيلة القوام. ليس برأسها أي قدر من الشيب رغم كونها في حوالي الخمسين من العمر. قالت "**إديث باجيت**":

– تصوري الآن يا صغيرتي الآنسة "**جويني**". لابد لك من أن تقدريني لحديثي بهذا الأسلوب، ولكن الوضع يصيبني بالذهول. كنت تأتين إليّ بالمطبخ، وأنت طفلة فاتنة للغاية. كنت تطلبين "**وينيز**"، وكان ما تريدينه هو الزبيب – ولا أدري لماذا كنت تسمينه "**وينيز**" وكنت أعطيك الزبيب السلطاني دون سواه بسبب خلوه من البذور. دققت "**جويندا**" النظر إلى ذات القوام المعتدل والوجنتين المتوردتين والعينين السوداوين محاولة أن تتذكر – ولكنها لم تستطع استعادة أي شيء. بدأت تقول:

– أتمنى لو أنني يمكنني أن أتذكر...

– من غير المحتمل أن يمكنك. فلم تكوني سوى مخلوقة صغيرة جميلة جداً. في تلك الأيام لا يبدو أحد راغباً في العمل بمنزل به صغار. ولا أرى لذلك سبباً وجيهاً. فالأطفال هي التي تمنح المكان حياة. هذا هو إحساسي. على الرغم من أن إعداد وجبات الصغار من الأمور التي تسبب المتاعب. ولكن هذا راجع إلى خطإ المربية وليس الطفل؛ لأن المربية تصر على نظام معين. هل تتذكرين أي شيء عن "**لايوني**" يا آنسة "**جويني**"؟ معذرة ينبغي أن أقول يا سيدة "**ريد**"؟

– "**ليوني**"؟ هل كانت هي مربيتي؟

– فتاة سويسرية. لم تتحدث الإنجليزية جيداً، وكانت مرهفة المشاعر جداً. كانت تبكي كثيراً إذا قالت "**ليلي**" شيئاً يغضبها. كانت "**ليلي**" هي

الخادمة. "**ليلي أبوت**". فتاة صغيرة السن مدققة في كل شيء وهوائية الطباع قليلاً. كثيراً ما كانت تلعب معك وتجعلك تراقبينها من خلال السلالم. ارتعش جسد "**جويندا**" على نحو تلقائي خاطف. السلالم... ثم قالت فجأة:

– أتذكر "**ليلي**". هي التي وضعت عقدة أنشوطية حول رقبة الهرة.

– أتعجب من أنك تتذكرين هذا! كان ذلك في عيد ميلادك وكانت "**ليلي**" شديدة الحماس للاحتفال به. رأت أنه ينبغي أن يرتدي "**توماس**" تلك العقدة الأنشوطية. انتزعت العقدة من علبة الشوكولاتة. ولم يتقبلها "**توماس**". ففر إلى الحديقة وظل يحك جسده بالشجيرات حتى نزعها عنه. لا تحب الهررة مثل هذا العبث بها.

– كان هرًّا باللونين الأبيض والأسود.

– هذا صحيح. كان هرًّا ماهراً في صيد الفئران. سعلت "**إديث**"، ثم قالت:

– اعذريني على هذه الثرثرة يا سيدتي. لكن الكلام يعيد إلينا الأيام الماضية. كنت تريدين سؤالي عن شيء ما؟ فقالت "**جويندا**":

– أحب أن أسمعك تتحدثين عن الزمن القديم. هذا ما أحب أن أسمع عنه. نشأت لدى أقاربي في "**نيوزيلندا**" ومن المؤكد أنهم لم يخبروني بشيء عن والدي قط... ولا بزوجة أبي. كانت ظريفة... أليس كذلك؟

– كانت تحبك حبًّا شديداً. كانت تصطحبك إلى الشاطئ وتلعب معك في الحديقة. كانت هي صغيرة السن جدًّا أيضًا. مجرد فتاة. كنت أظن دائماً أنها تستمتع باللعب معك قدر استمتاعك به. فهي ابنة وحيدة. وأخوها الدكتور "**كينيدي**" كان يكبرها بسنوات وسنوات ودائماً ما كان مشغولاً بكتبه ودراسته. وعندما لم تكن بالمدرسة كانت تلعب وحدها... سألت الآنسة "**ماربل**" وكانت تجلس مستندة إلى الجدار:

– عشت طوال حياتك في "**دلموث**"... أليس كذلك؟

– نعم يا سيدتي. كانت لوالدي المزرعة التي خلف التل – اسمها

"**رايلاندز**" . لم يكن له بنين ولم تستطع أمي مواصلة الإشراف عليها بعد وفاته؛ لذلك باعتها واشترت المتجر الواقع عند نهاية الطريق السريع. نعم. عشت هنا طوال حياتي.

– وربما تعرفين كل شيء عن جميع أهل "**دلوث**" ؟

– حسنًا – كانت رقعة صغيرة آنذاك على الرغم من أن عددًا من المصطافين كانوا يأتون إلى هنا في فصل الصيف وفقًا لذاكرتي. ولكنهم كانوا من النوعية الهادئة الظريفة أولئك الذين اعتادوا المجيء في كل عام. ليسوا مثل المشاغبين الذين يفدون إلى هنا في هذه الأيام. كانوا من عائلات عريقة وكانوا يطلبون الحجرات نفسها عامًا بعد عام. فقال "**جايلز**" :

– أعتقد أنك عرفت "**هيلين كينيدي**" قبل أن تصبح السيدة "**هاليداي**" ؟

– علمت عنها وربما أكون قد رأيتها أيضًا. ولكنني لم أعرفها حق المعرفة حتى التحقت بالخدمة هناك. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– وأحببتها. التفتت "**إديث باجيت**" نحوها ثم قالت بأسلوب شابه قدر من التحدي:

– نعم. أحببتها يا سيدتي. بغض النظر عما يقوله أي إنسان. كانت ظريفة جدًّا معي دائمًا. وما كنت لأصدق أنها من الممكن أن تفعل ما فعلته. لقد ذهلت. على الرغم من أنه كانت هناك بعض الأقاويل... توقفت فجأة ورمقت "**جويندا**" بنظرة اعتذار. فقالت "**جويندا**" بقدر من الاندفاع:

– أريد أن أعرف. أرجو ألا تظني أن أي شيء مما تقولينه سوف يغضبني. فلم تكن هي أمي.

– هذا صحيح يا سيدتي.

– ولعلمك الخاص نحن مهتمون جدًّا بالاهتداء إليها. رحلت من هنا. ويبدو أنها قد غابت عن الأنظار كلية. لا نعلم أين تعيش حاليًّا، أو حتى ما إذا كانت على قيد الحياة. وهناك أسباب... ترددت قليلاً فقال "**جايلز**" مسرعًا:

– أسباب قانونية. لا ندري ما إذا كنا نفترض أنها توفيت أم ماذا.

– إنني متفهمة تمامًا يا سيدي. كان زوج ابنة عمي متغيبًا لفترة طويلة وكانت هناك متاعب كثيرة عند اتخاذ إجراءات اعتباره متوفيًا. كانت الظروف صعبة عليها. من المؤكد يا سيدي أنه لو كان هناك ما يمكنني أن أخبركم به ويساعدكم بطريقة أو بأخرى – فانا لا أعتبركم غرباءً. لازلت أعتز بالطريقة التي كانت السيدة "**ريد**" تطلب بها الزبيب وهي طفلة. فقال "**جايلز**":

– هذا جميل منك جدًا. وسأطرق الموضوع بطريق مباشر إذا كان هذا لا يضايقك. فهمت أن السيدة "**هاليداي**" غادرت المنزل فجأة.

– نعم يا سيدي. وكانت هذه صدمة شديدة لنا جميعًا ولـ "**العقيد**" على وجه الخصوص. لقد انهار تمامًا ذلك المسكين.

– سوف أسالك مباشرة. هل لديك فكرة عمَّن كان الرجل الذي هربت معه؟ هزت "**إديث باجيت**" رأسها ثم قالت:

– هذا هو السؤال الذي طرحه الدكتور "**كينيدي**" عليَّ – ولم أتمكن من الإجابة عنه. ولا "**ليلي**" أيضًا. و"**لايوني**" إذ كانت فتاة أجنبية لم تعرف شيئًا عن هذا الموضوع. فقال "**جايلز**":

– لم تعرفي لكن أليس باستطاعتك أن تخمني؟ لقد مضى زمن طويل على هذا الموضوع ولم تصبح هناك أهمية له حتى لو أخطأت التخمين. لابد أن كانت لديك بعض الشكوك بالتأكيد.

– حسنًا. كانت لدينا شكوكنا... لكن لم تكن سوى شكوك. وأنا شخصيًا لم أر شيئًا قط. ولكن "**ليلي**" التي كانت – كما سبق أن قلت – فتاة شديدة الذكاء – كانت لديها بعض الأفكار. ومنذ زمن طويل. كانت تقول لي دائمًا "انتبهي لكلامي. الرجل شديد الإعجاب بها. ليس عليك سوى أن تريه وهو ينظر إليها وهي تصب الشاي. وزوجته ترمقه بنظرات الحقد والشراسة".

– نعم. ومن كان... الرجل؟

– يؤسفني يا سيدي أنني لا أتذكر اسمه حاليًا. ليس بعد كل هذه السنين. كان اسمه النقيب "**إسديل**". لا. لم يكن ذلك... "**إيمري**"... لا. لديَّ إحساس بانه يبدأ بحرف "إ" أو ربما بحرف "هـ". اسم غريب قليلاً ولكنني لم أفكر فيه منذ سنين عديدة. كان هو وزوجته مقيمين في فندق "**رويال كلارينس**".

– كانا مصطافين؟

– نعم ولكنني أظن أنه... أو ربما كليهما كانا يعرفان السيدة "**هاليداي**". قبل ذلك. كانا يأتيان إلى المنزل على نحو متكدر. على أية حال رأت "**ليلي**" أنه كان شديد الإعجاب بالسيدة "**هاليداي**".

– ولم تحب زوجته ذلك.

– لا يا سيدي. لكن لعلمك الخاص لم أعتقد قط ولا للحظة واحدة أن خطأ ما كان يشوب هذه العلاقة. ومازلت لا أدري ماذا أعتقد. قالت "**جويندا**":

– هل كانا لا يزالان هنا بفندق "**رويال كلارنيس**" عندما رحلت "**هيلين**" زوجة أبي؟

– طبقًا لذاكرتي – رحلا تقريبًا في هذا التوقيت. قبل رحيلها بيوم واحد أو بعده بيوم واحد وأثار هذا التقارب الأقاويل. ولكنني لم أسمع شيئًا محددًا قط. كان متكتمًا لو كان له وجود. أثار رحيل السيدة "**هاليداي**" المفاجئ اهتمام الجميع فترة ثم نسوه. ولكن الناس كانوا يقولون إنها متقلبة الحالة المزاجية. ولا يعني هذا أنني قد لمست شيئًا من هذا القبيل. ما كنت سأقبل الرحيل معهم إلى "**نورفولك**" لو كنت قد ظننت فيها ذلك. ركز ثلاثتهم فيها أبصارهم لحظة قال "**جايلز**" بعدها:

– "**نورفولك**"؟ هل كانوا سيرحلون إلي "**نورفولك**"؟

– نعم يا سيدي، كانوا قد اشتروا منزلاً هناك. أخبرتني السيدة "**هاليداي**"

بذلك قبل أن تقع هذه الأحداث بحوالي ثلاثة أسابيع. سألتني عما إذا كنت سأذهب معهم عندما يرحلون وأكدت لها استعدادي لذلك. ذلك لأنني لم أبرح "**دلموث**" قط ورأيت أنني ربما أحب هذا التغيير - خاصة أنني كنت أحب هذه الأسرة. قال "**جايلز**" :

- لم أسمع قط عن أنهم اشتروا منزلاً في "**نورفولك**" .

- غريب أن تقول هذا يا سيدي لأن السيدة "**هاليداي**" بدت راغبة في تكتم هذا الموضوع. طلبت مني ألا أحدث به أحداً - وبناء على ذلك لم أفعل. ولكنها كانت راغبة في الرحيل من "**دلموث**"، منذ بعض الوقت. وكانت تلح على "**العقيد**" بالرحيل ولكنه كان يحب الحياة في "**دلموث**" . وأعتقد أنه كتب إلى السيدة "**فنديسون**" مالكة "**سانت كاثرين**" يسألها عما إذا كانت تفكر في بيعه. ولكن السيدة "**هاليداي**" كانت رافضة ذلك تماماً. بدت وكأنها قد تمردت على "**دلموث**" وأنها كانت تخشى البقاء بها. قيلت هذه الكلمات بأسلوب طبيعي تماماً إلا أنها سرعان ما شدت انتباه الأشخاص الثلاثة المستمعين من جديد. قال "**جايلز**" :

- لا تظنين أنها أرادت الذهاب إلى "**نورفولك**" حتى تكون قريبة من هذا... هذا الرجل الذي لا يمكنك أن تتذكري اسمه؟ بدت الكآبة واضحة على تعبيرات وجه "**إديث باجيت**" .

- حقيقة يا سيدي لا أحب أن أظن ذلك. ولا أعتقده ولا للحظة واحدة. كذلك لا أعتقد - وقد تذكرت الآن - أن هذا الرجل وزوجته قد أتيا من مكان ما في شمال البلاد. أعتقد أنهما يعيشان في "**نورثها مبتون**"، وأحبا المجيء إلى الجنوب لقضاء إجازاتهما لأن هذا المكان يتميز بالهدوء والطقس المعتدل. فقالت "**جويندا**" :

- كانت خائفة من شيء ما - أليس كذلك؟ أم من شخص ما؟ أعني زوجة أبي.

- لقد تذكرت الآن على ضوء حديثك هذا...

– نعم؟

– حضرت "**ليلي**" إلى المطبخ ذات يوم.. كانت تنظف السلالم – وقالت "اضطرابات!" كان لها أسلوبها الخاص في الحديث. فسألتها ماذا تعني فقالت إن السيدة أتت من الحديقة مع السيد إلى حجرة الاستقبال، وإذ كان الباب المؤدي إلى الرواق مفتوحًا سمعت "**ليلي**" ما كان يقال. سمعت السيدة "**هاليداي**" تقول: "أنا خائفة منك". وقالت "**ليلي**" إن صوتها كان ينطق بالجزع الشديد وإنها قالت أيضًا: "إنني أخاف منك منذ زمن طويل. فأنت مجنون. لست إنسانًا طبيعيًا. ارحل واتركني وشأني. ينبغي أن تتركني وشأني. أنا خائفة. أعتقد أنني دائمًا ما كنت خائفة منك في قرارة نفسي.." من المؤكد أنني لا يمكنني الآن أن أذكر نص ما أبلغتني به "**ليلي**" ولكن "**ليلي**" أخذت الأمر على محمل الجدية التامة ولهذا – بعدما حدث كل شيء – كانت... وتوقفت "**إديث باجيت**" عن الكلام فجأة وظهرت على وجهها علامات خوف شديد. استطردت بعد ذلك تقول:

– لم أقصد... أنا متأكدة من... معذرة يا سيدتي... لساني كثير الزلل.

فقال "**جايلز**" مترفقًا:

– أرجوك يا "**إديث**" أن تخبرينا بكل ما تعرفينه؛ لأنه من الأهمية بمكان أن نعرف. لقد مضى زمن طويل على كل هذا، ولكن لابد لنا أن نعرف. فقالت "**إديث**" بنبرة عاجزة:

– لا يمكنني أن أقول. فسألتها الآنسة "**ماربل**":

– ما هو ذلك الذي لم تصدقه "**ليلي**"... أو ذلك الذي ظنته؟ قالت "**إديث**" بنبرة اعتذار:

– كانت "**ليلي**" دائمة التفكير وتكوين الآراء ولكنني لم أكن لألتفت إليها قط. كانت كثيرة الذهاب إلى السينما وكان عقلها يتأثر بما تراه من أفلام. كانت في السينما في الليلة التي حدث فيها ذلك – والأكثر من هذا أنها اصطحبت معها "**لايوني**" وكان هذا خطأ جسيمًا، وقد قلت لها ذلك.

فقالت: "لا بأس. فالطفلة ليست متروكة بمفردها في المنزل. أنت في المطبخ والسيد والسيدة سوف يحضران لاحقًا وعلى أية حال لا تستيقظ الطفلة أبدا في أثناء الليل طالما قد خلدت إلى النوم". ولكن هذا كان خطأ وقلت لها ذلك على الرغم من أنني لم أعلم بأمر ذهاب "**لايوني**" معها إلا فيما بعد. ولو علمت لكنت قد ذهبت للاطمئنان إلى أن الطفلة – التي هي أنت يا آنسة "**جويندا**" – بخير لأنني لا يمكنني سماع أي شيء بالمطبخ عندما يكون الباب مغلقًا. توقفت "**إديث باجيت**" لحظة ثم واصلت حديثها قائلة:

– كنت مشغولة بكيٍّ بعض الأشياء، ومر المساء بسرعة. وأول شيء علمته كان أن الدكتور "**كينيدي**" حضر إلى المطبخ وسألني عن "**ليلي**" فأخبرته بأن هذه أمسية إجازتها وأنها ستعود في أية دقيقة، وحضرت فعلاً. أخذها إلى الطابق الأعلى وإلى حجرة السيدة. أراد أن يعرف ما إذا كانت السيدة قد أخذت معها ملابس وأية ملابس أخذت. بحثت "**ليلي**" في الحجرة وأخبرته، ثم أتت إليَّ. كانت متلهفة تمامًا. قالت: "لقد فعلتها. رحلت مع شخص ما. والسيد منهار تمامًا. يبدو وكأنه قد أصيب بسكتة دماغية. واضح أنها صدمة شديدة عليه. كم هو أحمق. كان لابد له أن يتوقع ذلك". قلت لها إنه لا ينبغي أن تتحدث هكذا فكيف لها أن تعلم أنها رحلت مع شخص آخر. قلت لها إنها ربما تلقت برقية من قريب مريض. ولكن "**ليلي**" لم تقتنع بكلامي وأخبرتني بأن السيدة قد تركت رسالة. سألتها من هو الرجل الذي رحلت معه فقالت: "لا أظن أنه السيد "**فين**" على الرغم من عينيه الناعستين وأسلوب ملاحقته لها مثل كلب وفي". فقلت لها: هل تظنين أنه "**النقيب**"

– أيًا كان اسمه؟" فقالت: "هو من أراهن عليه ما لم يكن شخصية أخرى مجهولة لنا" فقلت لها إنني لا أصدق أن السيدة "**هاليداي**" من الممكن أن تفعل شيئًا كهذا. فقالت: يبدو أنها قد فعلته. توقفت قليلاً ثم استطردت قائلة:

– كان كل هذا في أول الأمر لكن فيما بعد كنا بحجرة النوم. أيقظتني "ليلي" وقالت لي: "اسمعي ما سأقوله. كل ما قلته لك قبل ذلك خطأ. تلك الملابس. بحثت في خزانة ملابس السيدة لأن الطبيب طلب مني ذلك. ووجدت حقيبة سفر غائبة وأشياء ناقصة تكفي لملئها. ولكنها ليست أشياء متوافقة مع بعضها البعض" سألتها ماذا كانت تعني فقالت: "أخذت ثوب السهرة الرمادي والفضي ولكنها لم تأخذ معه حزام السهرة ولا الملابس الداخلية التي ترتدى معه. وأخذت حذاء السهرة الذهبي ولم تأخذ الحذاء الفضي الذي يلبس مع هذا الثوب. وأخذت الحلة التويد الخضراء التي لا ترتديها إلا في أواخر فصل الخريف ولكنها لم تأخذ القميص الذي ترتديه معها. وأخذت القمصان الدانتيل التي لا ترتديها إلا مع إحدى الحلل التي تذهب بها إلى المدينة ولم تأخذ أيًا من تلك الحلل. وكل شيء ناقص من ملابسها لا يدل على أي توافق مما اعتدناه في هندامها. هل تفهمين ما يعنيه هذا يا "إديث"؟ السيدة لم ترحل عن البيت. السيد قتلها". أزعجني ما سمعته منها. لم أستطع النوم، فجلست فوق الفراش وسألتها عما كانت تقوله. فقالت:

"تمامًا كما كتب في صحيفة "أخبار العالم" في الأسبوع الماضي. وجد السيد أنها على علاقة برجل ما فقتلها ووضع الجثة في الدرك الأدنى حيث دفنها تحت أرضيته. وما كان يمكنك أن تسمعي شيئًا لأنه أسفل الرواق الأمامي. هذا ما فعله. قام بعد ذلك بتعبئة حقيبة سفر حتى يبدو الأمر وكأنها رحلت. ولكنها هناك أسفل أرضية الدرك الأدنى. لم تترك هذا المنزل على قيد الحياة". حذرتها آنذاك من قول مثل هذه الأشياء البشعة ومع ذلك أعترف بأنني قد تسللت إلى الدرك الأدنى في صباح اليوم التالي ولكنني وجدته على حالته المعتادة، ولا علامات على تغيير موضع أي شيء أو على أن حفرًا قد أُجرى به – فذهب وأخبرت "ليلي" بأنها قد ارتكبت حماقة ولكنها تمسكت برأيها في أن السيد قد قتلها. وقالت:

"لا تنسي أنها كانت خائفة منه حتى الموت وقد سمعتها تقول له ذلك". فقلت لها: "في ذلك أنت تخطئين يا فتاتي؛ لأنه لم يكن السيد قط الذي قالت له ذلك؛ لأنك عندما قلت لي ذلك نظرت من النافذة فرأيت السيد قادمًا أسفل التل ومعه مضارب الجولف. بناء على ذلك من غير الممكن أن يكون السيد هو الذي كان مع السيدة في حجرة الاستقبال، بل كان رجلاً آخر". دوت هذه الكلمات مذهلة في حجرة الجلوس البسيطة المريحة. وقال "**جايلز**" بصوت خافت:

- كان رجلاً آخر...

- 21 -

كان الـ "**رويال كلارينس**" أقدم فندق بالبلدة. وكان ذا واجهة رقيقة الاستدارة وكان ذا جو قديم، يقدم الخدمات المعقولة لنوعية العائلات التي تأتي لقضاء شهر على شاطئ البحر. كانت الآنسة "**ناراكوث**" القابعة خلف مكتب الاستقبال امرأة ممتلئة القوام في السابعة والأربعين من العمر ذات أسلوب قديم الطراز في تصفيف الشعر. تجاوبت فورًا مع "**جايلز**" الذي قيمته دقة نظراتها بأنه أحد "علية القوم" وقام "**جايلز**" بما له من سرعة بديهة وقدرة على الإقناع بنسج رواية مناسبة تمامًا. قال إنه قد تراهن مع زوجته بشأن ما إذا كانت جدتها قد نزلت بفندق "**رويال كلارينس**" منذ ثمانية عشر عامًا. وإن زوجته قد ادعت أنه لن يمكن البت في هذا الأمر أبدًا لأن السجلات القديمة يتم التخلص منها بعد زمن معين وبأنه أجابها بأن ما تقوله هذا هراء وأن مؤسسة كهذه لابد أن تحتفظ بسجلاتها لمدة مائة عام. فأجابت المرأة:

- ليس إلى هذا الحد تمامًا يا سيد "**ريد**". ولكننا نحتفظ بسجلات عن زائرينا لأننا نفضل الاتصال بهم. ومن بينهم أسماء مثيرة للاهتمام جدًّا فمثلاً نزل الملك لدينا هنا عندما كان لا يزال أمير مقاطعة "**ويلز**" وكذلك الأميرة "**أوليمار**" أميرة "**هولشتاين ريتز**" اعتادت أن تأتي إلى هنا كل شتاء برفقة

وصيفتها. كما أننا استضفنا عدداً من أبرز الروائيين أيضًا والسيد "**دوفيري**" الرسام العالمي.

وتجاوب "**جايلز**" معها بما يليق من الاهتمام والاحترام، وفي الوقت المناسب أُخرج السجل الخاص بالعام المطلوب وأصبح أمامه. وبعد أن قامت المرأة بإطلاعه على مختلف الأسماء المشهورة من نزلاء الفندق قام بتقليب الصفحات إلى شهر آب (أغسطس). واهتدى إلى القيد الذي كان يريده:

النقيب "**ريتشارد إرسكاين**" وحرمه - أنستيل مانور" **دييث**"- "**نورثمبرلاند**" 27 تموز (يوليو) - آب (أغسطس).

- هل تسمحين لي بكتابة هذه المعلومة؟

- بالتأكيد يا سيد "**ريد**". وهاك الورق والحبر - آه معك قلمك. أستاذنك، لابد لي أن أعود إلى مكتبي بالمدخل. تركته مع السجل المفتوح وبدأ "**جايلز**" العمل. لدى عودته إلى "**جانب التل**"، وجد "**جويندا**" بالحديقة منحنية فوق حافة العشب. اعتدلت رامقة إياه بنظرة استفهام:

- أي قدر من التوفيق؟

- نعم. أعتقد أنني توصلت إلى ما نريده. قرأت "**جويندا**" ما بالورقة بصوت خافت:

"**أنستيل مانور**" **ديث**" "**نورثمبر لاند**". ثم قالت:

- نعم. قالت "**إديث باجيت**" إنهما من "**نورثمبرلاند**". وأتساءل عما إذا كانا لا يزالان يعيشان هناك.

- ينبغي أن نذهب ونرى.

- نعم. من الأفضل أن نذهب... متى؟

- بأسرع ما يمكننا. غدا؟ نذهب بالسيارة فهذا يتيح لك رؤية المزيد من "**إنجلترا**".

- ولو افترضنا أنهما قد توفيا... أو رحلا وأن غيرهما يشغل المسكن؟ هز "**جايلز**" كتفيه:

– في هذه الحالة نعود ونواصل عملنا وفقًا لمصادرنا الأخرى. بهذه المناسبة... كتبت إلى "**كينيدي**" وطلبت منه أن يرسل إليّ الخطابين اللذين أرسلتهما "**هيلين**" بعد رحيلها – لو كانا لا يزالان بحوزته – مع نموذج لخط يدها. فقالت "**جويندا**" :

– أتمنى أن يمكننا الاتصال بخادمتها الأخرى – "**ليلي**" – تلك التي علقت الشريط بعنق "**توماس**" .

– غريب أنك تتذكرين هذا فجأة يا "**جويندا**" .

– نعم. وأتذكر "**توماس**" أيضًا. كان أسود ذا بقع بيضاء وكانت له ثلاث صغار جميلات.

– من؟ "**توماس**" ؟

– نعم. كان اسمه "**توماس**" لكن تبين أنه أنثى... "**توماسينا**" . لكن بشأن "**ليلي**" ... أتساءل عما عسى أن يكون قد حدث لها. يبدو أن "**إديث باجيت**" قد فقدت الاتصال بها كلية. لم تكن من أهل هذه المنطقة وبعد الذي حدث في "**سانت كاثرين**" اتخذت لها مسكنًا في "**توركويني**" . كتبت مرة أو اثنتين ثم قطع الاتصال. ذكرت "**إديث**" أنها سمعت أن "**ليلي**" قد تزوجت ولكنها لا تعرف من تزوجت. لو تمكنّا من الوصول إليها لأمكننا أن نعلم الكثير منها.

– ومن "**لايوني**" ، الفتاة السويسرية؟

– ربما ولكنها أجنبية وقد لا تكون قد فهمت الكثير مما كان يجري. لا أتذكرها ألبتة. أشعر بأن "**ليلي**" هي التي من الممكن أن تفيدنا. كانت هي الخادمة الذكية... "**جايلز**" ما رأيك في أن نعلن مرة أخرى... عن "**ليلي**" ... اسمها "**ليلي أبوت**" ؟ فقال "**جايلز**" :

– نعم. قد نحاول ذلك. ومن الضروري أن نذهب إلى الشمال غدًا ونرى ما يمكن أن نكتشفه بشأن آل "**إريسكاين**" .

- 22 -

قالت السيدة "**فين**" مخاطبة كلب صيد لاهثًا تواقًا إلى قطعة كعك:

- انزل يا "**هنري**". ثم قالت مخاطبة الآنسة "**ماربل**":

- كعكة صغيرة أخرى وهي لا تزال ساخنة؟

- أشكرك. إنها لذيذة جداً. لديك طاهية ممتازة.

- ليست "**لويزا**" بالطاهية السيئة. ضعيفة الذاكرة مثلهن جميعًا ولا تنوع في البودنج الذي تصنعه. كيف حال "**دوروثي يارد**" في هذه الأيام؟ تعاني التهاب العصب الوركي. أعتقد أن له علاقة كبيرة بالحالة العصبية.

أسرعت الآنسة "**ماربل**" تفيدها عن حالة صديقتهما الصحية. اعتبرت نفسها سعيدة الحظ أن اهتدت بين معارفها الكثيرات في أنحاء "**إنجلترا**" إلى واحدة تعرف السيدة "**فين**" وكانت هذه قد كتبت إلى صديقتها السيدة "**إلينور**" تخبرها فيها بأن الآنسة "**ماربل**" موجودة حاليا في "**دلموث**" وتطلب منها استضافتها على فنجان شاي أو شيء من هذا القبيل.

كانت "**إلينور فين**" امرأة طويلة القامة قوية الشخصية ذات عينين رماديتين ثاقبتين وشعر أبيض وبشرة بيضاء ووردية أشبه ببشرة الأطفال الصغار تستر واقع أن لا رقة طفولية فيها بأي قدر كان.

تحدثتا عن آلام "**دوروثي**" أو أوهامها المرضية ثم انتقلتا إلى الحديث عن حالة الآنسة "**ماربل**" الصحية وعن أجواء "**دلموث**" والحالة العامة المتردية لغالبية أفراد الجيل الأصغر سنًا. قالت السيدة "**فين**":

- لا يقبلون على الطعام كالأطفال. فسألتها الآنسة "**ماربل**":

- لديك أكثر من ابن واحد؟

- لي ثلاثة أبناء. أكبرهم "**جيرالد**" في "**سنغافورة**". يشغل مركزًا مرموقًا ببنك "الشرق الأقصى" هناك. و"**روبرت**" بالجيش، متزوج من فتاة تنتمي إلى طائفة الروم الكاثوليك. تعرفين ما يعنيه هذا أن الأبناء سوف يتلقون نشأة كاثوليكية. لا أعرف ماذا سيكون رأي والد "**روبرت**" في ذلك. فزوجي كان

ينتمي إلى الكنيسة الإنجيلية ومتمسك بتعاليمها إلى أقصى الحدود.
و"روبرت" قليل الاتصال بي جداً في هذه الأيام. تغضبه بعض الأمور التي قلتها له بدافع غيرتي على مصلحته الخاصة. فأنا مؤمنة بضرورة أن أكون صادقة وأن أقول ما أعتقده تحديداً. فزواجه في رأيي سوء حظ شديد. قد يتظاهر بأنه سعيد في حياته الزوجية - ولكنني لا أشعر بأنه راض أبداً.

- وابنك الأصغر ليس متزوجاً على حد اعتقادي؟ ابتسمت السيدة "فين":

- لا. "وولتر" يعيش معي في البيت. هو رقيق الصحة إلى حد ما وكان كذلك منذ طفولته... وكان عليّ أن أرعاه صحياً بكل عناية. سيعود بعد قليل. لا يمكنني أن أشرح لك مدى تقديره وبرِّه بي. أنا امرأة سعيدة الحظ جداً لأن يكون لي مثل هذا الابن. سألت الآنسة "ماربل":

- ولم يفكر في الزواج قط؟

- يقول دائماً إنه لا يمكنه الارتباط بفتاة من النوعية العصرية. لا تعجبه مثل هؤلاء الفتيات. هو وأنا مشتركان في العديد من الصفات حتى أنه - من المؤسف - أنه لا يقضي خارج البيت أوقاتاً كثيرة كما ينبغي. يقرأ لي الشعر في المساء ونلعب البيكيت (الورق) في كل ليلة. "وولتر" محب لحياة البيت جداً. فقالت الآنسة "ماربل":

- كم هذا جميل. وهل كان يعمل بالمؤسسة دائماً؟ أخبرني أحدهم بأن لك ابنا سافر إلى "سيلان" كزارع للشاي لكن ربما أنه قد أخطأ فيما قاله لي.

علت وجه السيدة "فين" لمحة تقطيب مفاجئ. قدمت لضيفتها قطعة من كعكة الجوز ثم قالت:

- كان هذا عندما كان شاباً حديث السن جداً. إحدى تلك النزوات الشبابية. فالصبي دائماً ما يتوق إلى أن يرى العالم. وواقع الأمر أن كانت هناك فتاة وراء هذه المغامرة. يمكن للفتيات أن يسببن القلق للشباب.

- آه. هذا صحيح. أتذكر أن ابن أخي...

واصلت السيدة "فين" حديثها متجاهلة ابن شقيق الآنسة "ماربل". تولت

الحديث مستمتعة بالفرصة المتاحة لها لتقص ذكرياتها على إحدى صديقات "**دوروثي**" الشديدات التعاطف.

– فتاة غير مناسبة أبدًا... كما هو الحال دائمًا، لا أعني أنها ممثلة أو شيء من هذا القبيل. هي أخت طبيب هذه المنطقة – أليق بها أن تكون ابنته على ضوء فارق السن بينهما. ولم يكن لدى هذا الرجل المسكين أدنى فكرة عن تنشئتها. ليس لدى الرجال مثل هذه الخبرات. نشأت جامحة تمامًا. ارتبطت في بادئ الأمر بعلاقة بشاب من العاملين بعيادة أخيها – مجرد كاتب لديه – وشخصية غير مُرضية تمامًا أيضًا. اضطروا إلى التخلص منه. ثم أعادت الكرة ثانية. على أية حال أعتقد أن هذه الفتاة "**هيلين كينيدي**" كانت جميلة جدًا. لم أظن ذلك لأنني دائمًا ما ظننت أنها كانت تصبغ شعرها. إلا أن ابني "**وولتر**" المسكين وقع في غرامها رأسًا على عقب. وكما قلت لم تكن مناسبة قط. لا مال ولا تطلعات كما أنها لم تكن من نوعية الفتيات التي تتمناها الواحدة منا زوجة لإبنها. ومع ذلك ما الذي يمكن لأم أن تفعله؟ عرض "**وولتر**" عليها الزواج ورفضته. ثم عنت له هذه الفكرة السخيفة أن يذهب إلى "**الهند**" ويصبح زارعًا للشاي. قال زوجي: "دعيه يذهب" على الرغم من أنه لم يكن مستريحًا لهذه الفكرة قط، خاصة أنه كان يتطلع إلى أن يكون "**وولتر**" معه في المؤسسة بعد أن كان قد تخرج في كلية الحقوق مجتازًا جميع الاختبارات والامتحانات في المواد القانونية. ومع ذلك هذا ما حدث. القلاقل التي تسببها هؤلاء الفتيات!

– آه... أعرف. ابن أخي... ومرة أخرى واصلت السيدة "**فين**" حديثها متجاهلة ابن شقيق الآنسة "**ماربل**".

– بناء على ذلك سافر ابني الحبيب إلى "**آسام**" أو إلى "**بنجالور**"، لا أستطيع أن أتذكر جيدًا بعد كل هذه السنوات. وشعرت بقلق شديد لأنني كنت أعلم أن صحته لا تحتمل ذلك. ولم يمض على سفره إلى هناك عام، وكان موفقًا في عمله هناك تمامًا أيضًا؛ ذلك لأن "**وولتر**" يتقن كل ما يقوم به

ويخلص فيه بما يفوق تصور أي إنسان. ولكن هذه الفتاة العابثة غيرت رأيها وكتبت تقول له إنها تريد الزواج منه بعد ما حدث. هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها قائلة:

- يا إلهي!

- حملت معها متاع زواجها واشترت تذكرة السفر ثم... ماذا تظنين كانت الخطوة التالية؟

- لا يمكنني أن أتصور! وانحنت الآنسة "**ماربل**" نحو الأمام في حالة إصغاء تام.

- أقامت علاقة عاطفية برجل متزوج. على متن السفينة في الطريق إلى هناك. رجل متزوج وله ثلاثة أبناء على حد علمي. على أية حال كان "**وولتر**" في الميناء لاستقبالها. وأول ما قالته له إنها لا يمكنها أن تتزوجه بعد كل هذا. ألا تعتبرين هذا عملاً شريراً؟

- أعتبره كذلك بالتأكيد. وربما يكون قد حطم ثقة ابنك بالطبيعة البشرية.

- كان ينبغي أن يكشف له هذا عن حقيقتها. ولكن هذه النوعية من الفتيات يمكنها الإفلات من عواقب أي شيء تفعله. قالت السيدة "**ماربل**" بقدر من التردد:

- ولم يرفض هذا التصرف من جانبها؟ بعض الرجال يظهرون غضباً عارماً في مثل هذه الظروف.

- دائماً ما تمتع "**وولتر**" بقدر هائل من التحكم في الذات. ومهما غضب أو تضايق من أي شيء فإنه لا يظهر هذا لغيره.

رمقتها الآنسة "**ماربل**" بنظرات التأمل. ثم بعد تردد ألقت إليها باقتراح من قبيل المجسّ:

- ربما لأن هذا السلوك قد أصابه في العمق؟ فكثيراً ما يدهش المرء أمام الأبناء. ثورة مفاجئة من أحدهم كان يعتبر غير مبال ألبتة. طبيعة حسّاسة لا

تستطيع التعبير عن ذاتها حتى يضغط عليها بقدر يفوق القدرة على الاحتمال.

– غريب جداً أنك تقولين هذا يا آنسة "ماربل". أتذكر جيداً. "**جيرالد**" و"**روبرت**" كلاهما حاد الطباع وعلى استعداد للصراع. وهذا ميل طبيعي بالنسبة إلى الأصحاء من الشباب...

– نعم. طبيعي جداً.

– وحبيبي "**وولتر**" هادئ دائماً وصبور. وذات يوم أمسك "**روبرت**" بنموذج الطائرة الذي كان قد صنعه بنفسه بعد أيام من العمل – فهو صبور جداً وماهر في الأعمال اليدوية – و"**روبرت**" – الذي كان يتمتع بروح معنوية مرتفعة ولكنه كان مهملاً أيضاً – كسر الطائرة. وعندما دخلت عليهما الحجرة كان "**روبرت**" مطروحاً على الأرض و"**وولتر**" يهاجمه بالمِسْعَر(1). كان قد أفقده الوعي بالفعل – وكل ما أمكنني أن أفعله هو أن أجذب "**وولتر**" بعيداً عنه بينما ظل هو يردد:

"لقد فعل هذا متعمداً... لقد فعل هذا متعمداً... ولابد أن أقتله". تعلمين... كنت جزعة جداً. فالأولاد يتأثرون بمثل هذه الأمور بعمق. فقالت الآنسة "**ماربل**" وقد بدت عليها علامات التفكير العميق:

– نعم. هذا صحيح. عادت بعد ذلك إلى الموضوع السابق:

– وبذلك فسخت الخطبة أخيراً. وماذا حدث للفتاة؟

– عادت إلى البلاد. وكانت لها علاقة عاطفية أخرى في طريق العودة. وفي هذه المرة تزوجت الرجل وكان أرمل وله طفلة. الرجل الذي تتوفى عنه زوجته حديثاً دائماً ما يكون هدفاً سهلاً – كان في حالة حزن شديد. تزوجته واستقرا هنا في منزل على الجانب الآخر من البلدة – اسمه "**سانت كاثرين**" – ملاصق للمستشفى. لم يدم الزواج بالتأكيد... هجرته في غضون عام ورحلت مع رجل آخر. هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها قائلة:

---

(1) المِسْعَر: قضيب حديدي لتقليب النار وإذكائها.

- يا إلهي! كم كان ابنك سعيد الحظ لأنه لم يرتبط بها!
- هذا ما أقوله له دائماً.
- وهل تخلى عن زراعة الشاي لأن حالته الصحية لا تمكنه من مواصلة العمل بالمشروع؟ ظهرت علامات تقطيب باهتة على ملامح السيدة "**فين**". قالت:
- لم تكن الحياة هناك مناسبة له تماماً. عاد إلى البلاد بعد مجيء الفتاة بستة أشهر. قالت السيدة "**ماربل**":
- لابد أنه كان موقفاً غريباً بعض الشيء بما أن الفتاة تعيش في هذه المنطقة... في ذات البلدة. فقالت السيدة "**فين**":
- كان "**وولتر**" مدهشاً. تصرَّف وكأن شيئاً لم يحدث. وكان من الواجب أن أفكر (بل وقلت ذلك بالفعل) في أنه من الأفضل أن يكون هناك انفصال تام؛ لأن اللقاء كان من الممكن أن يكون صعباً على كلا الطرفين. لكن "**وولتر**" أصر على أن يُبقي على صداقته لها. اعتاد أن يزورها بالمنزل بطريقة بعيدة عن كل تكليف ويداعب الطفلة... والشيء الغريب أن هذه الطفلة عادت إلى هنا الآن بعد أن كبرت وتزوجت. وحضرت إلى مكتب "**وولتر**" لتكتب وصيتها منذ أيام. أصبح اسمها الآن "**ريد**".
- السيد "**ريد**" وزوجته؟ أعرفهما. شابان ظريفان جداً. تصوري هذا... وهي الطفلة التي تتحدثين عنها...
- الطفلة من الزوجة الأولى التي توفيت في "**الهند**". مسكين ذلك "**العقيد**" - لقد نسيت اسمه... "**هالويي**" أو شيء كهذا. كان منهاراً تماماً عندما هجرته تلك الوقحة. السبب في جذب أسوإ النساء لأفضل الرجال أمر صعب فهمه!
- والشاب الذي كان متورطاً معها في علاقة قبل ذلك؟ كاتب - أعتقد أنك قد قلت - يعمل بمكتب ابنك. ما الذي ألم به؟
- بدأ مشروعاً خاصاً به ونجح فيه. يشرف على عدد كبير من الرحلات

بالسيارات وله شركة سياحة برية اسمها شركة "**النرجس**" للرحلات لصاحبها "**أفليك**". فقالت الآنسة "**ماربل**":

- "**أفليك**"؟

- "**جاكي أفليك**". شاب قذر غير مهذب. أتصور أنه مصمم على التقدم نحو الأمام طوال الوقت. وربما لهذا السبب أقام علاقة بـ"**هيلين كينيدي**" في بادئ الأمر فهي أخت الطبيب... ورأى أن هذه العلاقة من الممكن أن ترتقي بوضعه الاجتماعي.

- و"**هيلين**" هذه لم تعد قط بعد ذلك إلى "**دلموث**"؟

- لا. وهذا أفضل. ربما تكون قد سلكت طريق الشرور الآن. كنت مشفقة على الدكتور "**كينيدي**". فلا ذنب له. كانت زوجة أبيه الثانية فتاة رقيقة تصغره بأعوامٍ كثيرة. وورثت "**هيلين**" عنها الجموح كما هو واضح. دائمًا ما ظننت.. توقفت السيدة "**فين**" عن الكلام ثم قالت:

- ها هو "**وولتر**".

كانت أذنها - بصفتها أمه - قد ميزت أصواتًا معينة بالرواق. فتح الباب ودخل "**وولتر فين**".

- هذه هي الآنسة "**ماربل**" يا بني... دق الناقوس حتى يكون لنا قدر من الشاي الطازج.

- لا تقلقي يا أمي فقد تناولت قدحًا. ولكنها قالت مخاطبة الخادمة التي جاءت لتأخذ إبريق الشاي:

- نريد شايًا طازجًا وقدرًا من الكعك يا "**بياتريس**".

- سمعًا وطاعة يا سيدتي. قال "**وولتر فين**" بابتسامة بطيئة عذبة:

- أمي تدللني بأكثر مما ينبغي. تأملته الآنسة "**ماربل**" وهي تجيبه بمجاملة مناسبة:

- شاب رقيق هادئ حييّ قليل الثقة بذاته غير محدد الشخصية. من نوعية الشبان المخلصين الذين تتجاهلهم النساء ولا يتزوجنهم إلا لأن الرجل الذي

تحبه الواحدة منهن لا يبادلها المشاعر ذاتها. "وولتر" الذي هناك دائمًا. "وولتر" المسكين... حبيب أمه... "وولتر فين" الذي هاجم أخاه الأكبر، وهو صغير، بالمسْعَر وحاول أن يقتله...

تساءلت الآنَسة "ماربل".

- 23 -

بدا المكان كئيبًا. منزل أبيض قبالة خلفية من التلال كئيبة الشكل. أدّى ممر ملتف إلى طريق متخلل شجيرات وأعشاب كثيفة. قال "جايلز" مخاطبًا "جويندا":

– لماذا أتينا. وما الذي في إمكاننا أن نقوله؟

– لقد وضعت الخطة.

– نعم – ووفقًا للظروف. من دواعي حسن الحظ أن أحد أقارب أنسباء الآنسة "ماربل" يعيش في مكان قريب من هنا... ولكن الفرق بعيد بين أن تقوم بزيارة اجتماعية لشخص ما ثم ما تلبث أن تسأل مضيفك عن علاقاته العاطفية الماضية.

– وبعد كل هذا الزمن الطويل. وربما لا يتذكرها أيضًا.

ربما لا يتذكرها. وربما لم تكن بينهما علاقة عاطفية أصلاً.

– "جايلز" – هل ترى أننا نعرِّض أنفسنا لسلوك أحمق؟

– لا أدري... هذا ما أشعر به أحيانًا. ولا أدري لماذا نهتم بكل هذا. ما أهمية هذا الآن؟

– بعد كل هذا الزمن... نعم. أعلم... لقد قالت السيدة "ماربل" والدكتور "كينيدي": "اتركا الأمر وشأنه". لماذا لا نأخذ بهذه النصيحة يا"جايلز"؟ ما الذي يدفعنا إلى مواصلة البحث؟ هي؟

– هي؟

– "هيلين". ألهذا أتذكر؟ هل ذاكرتي الطفولية هي الصلة الوحيدة لها

بالحياة – وبالحقيقة؟ هل "**هيلين**" هي التي تستغلني – وإياك – حتى تظهر الحقيقة وتعلن؟

– تعنين لأنها توفيت بطريقة عنيفة؟

– نعم. يقولون – تقول الكتب – إنهم لا يستطيعون أن يستريحوا أحيانا...

– أرى أنك خيالية يا "**جويندا**".

– ربما أكون كذلك. على أية حال لنا أن نختار. هذه زيارة اجتماعية ليست إلا. ولا حاجة بها إلى أن تكون أكثر من ذلك – ما لم نُرِد نحن لها ذلك. هز "**جايلز**" رأسه:

– سوف نواصل السعي. لا يسعنا سوى ذلك.

– نعم. أنت محق. ومع ذلك يا "**جايلز**" أشعر بأنني خائفة قليلاً...

- 24 -

قال العقيد "**إريسكاين**":

– تبحثان عن منزل – أليس كذلك؟ قدَّم إلى "**جويندا**" طبق شطائر تناولت "**جويندا**" واحدة منها وهي تنظر إليه.

كان "**ريتشارد إريسكاين**" رجلاً قصير القامة، يبلغ طوله حوالي 160 سنتيمتراً، أبيض الشعر ومتعب العينين. وكان صوته خفيضاً عذباً مشوباً بقدر من التشدق. لم يكن به شيء يميزه وإن كانت "**جويندا**" قد رأت أنه يتمتع بجاذبية ملحوظة. لم يكن في مثل وسامة وحسن مظهر "**وولتر فين**" لكن بينما الكثيرات قد لا يلقين بنظرة ثانية في اتجاه "**فين**" لا يفوتهن الالتفات إلى "**إريسكاين**". "**فين**" غير محدد الشخصية أما "**إريسكاين**" فعلى الرغم من هدوئه يتمتع بشخصية قوية. تحدث عن الأمور العادية بأسلوب عادي لكن كان هناك شيء ما – ذلك الشيء الذي تعرفه النساء فوراً ويتفاعلن معه بأسلوب أنثوي بحت. بطريقة لاوعيية تقريباً، عدَّلت

"**جويندا**" وضع جونلتها ورفعت يدها إلى شعرها ولمست شفتيها. منذ تسعة عشر عامًا كان من الممكن أن تقع "**هيلين كينيدي**" في غرام هذا الرجل. وجدت "**جويندا**" نفسها واثقة بذلك تمامًا.

رفعت بصرها لتجد أن عيني مضيفتها عليها بالكامل فاحمر وجهها تلقائيًا. كانت السيدة "**إريسكاين**" تتحدث مع "**جايلز**" ولكنها كانت تراقب "**جويندا**" أيضًا بنظرات التقييم والريبة في الوقت ذاته. كانت "**جانيت إريسكاين**" امرأة طويلة القامة عميقة الصوت – يكاد صوتها يحاكي عمق صوت الرجال – رياضية البنية ترتدي حلة من التويد ذات جيبين كبيرين. بدت أكبر سنًا من زوجها ولكن "**جويندا**" رأت أنها ربما لا تكون كذلك. كان بوجهها قدر من الشراسة يدل – في تقدير "**جويندا**" – على أنها لم تكن سعيدة تمامًا في حياتها الزوجية. قالت محدثة نفسها في صمت:

– أراهن على أنها نكدة الطباع. ولكنها قالت مواصلة حديثها بصوت مسموع:

– البحث عن منزل من الأمور المحبطة. الوصف الذي يذكره وكلاء العقارات دائمًا ما يكون براقًا مغريا وعلى الطبيعة يجد المرء الوضع مختلفًا تمامًا.

– تفكران في الاستقرار في هذه المنطقة؟

– حسنا – إنها أحد الأماكن التي فكرنا فيها؛ لأنها قريبة من "**هاردياننز وول**" ودائمًا ما كان "**جايلز**" مفتونا بـ"**هاردياننز وول**". أرى أن الأمر قد يبدو لكما غريبًا بعض الشيء – ولكن أي مكان في "**إنجلترا**" تقريبًا سيكون مناسبًا لنا. وطني أنا هو "**نيوزيلندا**" وليست لي أية روابط هنا. و"**جايلز**" كان يقضي إجازاته مع عدد من العمات في أماكن مختلفة ولهذا ليست لديه ارتباطات معينة أيضًا. الشيء الوحيد الذي لا نريده هو أن نكون على مقربة شديدة من "**لندن**". نريد حياة الريف الحقيقية. ابتسم "**إريسكاين**":

كل هذه المنطقة ريفية تمامًا. فهي معزولة بالكامل. جيراننا قليلون ومتباعدون.

استشفت "**جويندا**" موجة كآبة تحتية في ذلك الصوت الجميل. أحست فجأة بحياة وحدة ووحشة - بأيام شتاء قصيرة معتمة وأصوات رياح تدوي في المداخن - والستائر مسدلة - وباحتباس مع تلك المرأة ذات العينين الجشعتين التعستين، وبقلة عدد الجيران وبالتباعد ما بينهم.

بهتت الرؤية بعد ذلك وعاد الصيف ثانية والنوافذ الفرنسية مفتوحة على الحديقة ورائحة الورد وأصوات الصيف تتدفق إلى داخل الحجرة. قالت:

- إنه منزل قديم - أليس كذلك؟ أومأ "**إريسكاين**" قائلاً:

- اسمه الملكة "**آن**". وقد عاش أهلي بهذه المنطقة مدى ثلاثمائة عام تقريبًا.

- منزل رائع. لابد أن تكون فخوراً به.

- إنه سيئ المنظر حاليًّا. ارتفاع قيمة الضرائب تصعّب علينا صيانة أي شيء على الوجه اللائق. إلا أن الأبناء قد خرجوا إلى الدنيا الآن وبذلك يكون الأسوأ قد انقضى.

- كم لك من الأبناء؟

- شابان. أحدهما بالجيش والآخر أنهى دراسته الجامعية بجامعة "**أكسفورد**" مؤخراً وسوف يلتحق بإحدى مؤسسات النشر.

اتجهت نظرته إلى الرف ما فوق المدفأة. وتبعتها عينا "**جويندا**". رأت صورة فوتوغرافية للابنين وهما في حوالي الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، رأت أنها ربما تكون قد التقطت لهما منذ سنوات قليلة. وكان بتعبيرات وجه الرجل فخر ودفء مشاعر. قال:

- إنهما ولدان مثاليان وإن كانت هذه هي شهادتي أنا. فقالت "**جويندا**":

- يبدوان غاية في التهذيب. فقال "**إريسكاين**":

- نعم. أعتقد أنهما يستحقان ما حصلا عليه فعلاً. أعني التضحية التي بذلت من أجلهما. فقالت "**جويندا**":

- أعتقد أنه من المفترض دائماً أن يضحي المرء بالكثير.

– نعم. في بعض الأحيان... استشفت مرة أخرى نبرة الحزن في صوته ولكن السيدة "**إريسكاين**" قاطعت تفكيرها في هذه المرة قائلة بصوت سلطوي عميق:

– وتبحثان بالفعل عن منزل في هذه البقعة من العالم؟ يؤسفني قول إن لا علم لي بأي منزل مناسب ألبتة في هذه المنطقة. وهنا حدثت "**جويندا**" نفسها في صمت قائلة:

– وحتى لو علمت فلن تخبريني. امرأة عجوز حمقاء تشعر بالغيرة؛ لأنني أتحدث مع زوجها ولأنني شابة وأتمتع بقدر من الجاذبية. قال "**إريسكاين**":

الأمر متوقف على مدى السرعة التي تريدان بها الاهتداء إلى منزل مناسب. فقال "**جايلز**" بنبرة مرحة:

– لا سرعة أبدًا في الواقع. كل ما فيّ الأمر هو أننا نريد أن نتأكد من العثور على شيء يعجبنا إلى حد ما؛ لأننا حاليًا نعيش في منزل في "**دلموث**" – على الساحل الجنوبي.

استدار العقيد "**إريسكاين**" بعيداً عن مائدة الشاي وتوجه ليأتي بعلبة سجائر من فوق منضدة قريبة من النافذة. قالت السيدة "**إريسكاين**" بصوت غير معبّر وعيناها مستقرتان على مؤخر رأس زوجها:

– "**دلموث**". فقال "**جايلز**":

– بقعة صغيرة رائعة. هل سبق لك الذهاب إليها؟ خيم الصمت لحظة قالت السيدة "**إريسكاين**" بعدها بذات الصوت الخالي من أي تعبير:

– قضينا هناك بضعة أسابيع في الصيف منذ سنوات طويلة. لم ترقنا تماما. بدت هادئة بأكثر مما ينبغي. فقالت "**جويندا**":

– نعم. هذا ما نشعر به تمامًا هناك؛ لهذا نفضل مكانًا أكثر حركة ونشاطًا.

عاد "**إريسكاين**" ومعه علبة السجائر. قدمها إلى "**جويندا**". قال:

– ستجدان هذه البقعة كثيرة النشاط بما يكفي.

شاب صوته قدر من الكآبة. رفعت "**جويندا**" نظرها نحوه وهو يشعل لها

سيجارتها ثم سألته بطريقة مباشرة:

– هل تتذكر "**دلوث**" جيداً؟ التوت شفتاه بينما خمنت أنه تقلُّص ألم مفاجئ. وأجاب بصوت ملتبس قليلاً:

– نعم. أتذكر هذه البقعة جيداً جداً. فقد أقمنا هنا في – فندق "**رويال جورج**" – لا. فندق "**رويال كلارينس**".

– نعم. ذلك الفندق الظريف قديم الطراز. منزلنا قريب منه جداً. اسمه "**جانب التل**" ولكن اسمه كان فيما سبق "**سانت ماري**" أليس كذلك يا "**جايلز**"؟ فقال "**جايلز**":

– "**سانت كاثرين**".

في هذه المرة لم يكن هناك مجال لإخفاء ردة الفعل. أشاح "**إريسكاين**" بوجهه بعيداً بطريقة حادة وتقعقع[1] قدح زوجته فوق طبقه، فقالت فجأة:

– ربما تحبان أن تريا الحديقة.

– آه – نعم. بكل سرور.

خرجوا إلى الحديقة وكانت تعكس عناية فائقة بها من حيث التنسيق والتهذيب وكثرة الأنواع والفصائل التي احتوت عليها. استنتجت "**جويندا**" أن العناية بالحديقة كانت مهمة العقيد "**إريسكاين**" أساساً؛ ذلك لأن وجهه أشرق ثانية عندما كان يحدثها عن أنواع الورد والنباتات العشبية وبدا واضحاً أن العناية بالحديقة كانت هوايته المفضلة. عندما انصرفا أخيراً وكانا في طريق عودتهما بالسيارة سأل "**جايلز**" متردداً:

– هل أسقطته؟ وأومأت "**جويندا**" ناظرة إلى إصبعها ثم أدارت خاتم الزواج عليه بذهن شارد. قالت:

– عند مجموعة الورد الأحمر الثانية.

– ولو فرض أنه لم يمكنك الاهتداء إليه ثانية؟

– حسنا – ليس هذا خاتم خطبتي الحقيقي وإلا ما كنت قد غامرت به.

---

(1) تقعقع الكوب: أصدر صوتاً عند قلقلته واضطرابه.

- يسرني أن أسمع منك ذلك.
- إنني أعتز جداً بذلك الخاتم. هل تتذكر ما قلته لي وأنت تطوق به إصبعي؟ زمردة خضراء لأنني خالبة اللب مثل هرة صغيرة خضراء العينين.
فقال "**جايلز**":
- يخيل إليّ أن أسلوب تدليلنا لابد أن يبدو غريبًا لأناس من جيل الآنسة "**ماربل**" على سبيل المثال.
- إنني لأتساءل عما عسى أن تكون فاعلة الآن - هذه العجوز العزيزة. هل تجلس مستمتعة بدفء الشمس؟
- لابد أنها تقوم بشيء ما معين - لو صحت معرفتي لها! تبحث هنا أو تتجسس هناك أو تطرح بعض الاستفسارات. أرجو ألا تبالغ في طرح الأسئلة في أحد هذه الأيام.
- أمر طبيعي جداً - أعني بالنسبة إلى سيدة مسنة. ولن يكون هذا ملحوظًا جدًا بالنسبة إليها، على العكس مما لو فعلنا نحن ذلك. انتبه وجه "**جايلز**" مرة أخرى. قال:
- لهذا السبب لا أحب... ثم توقف عن الكلام لحظة قال بعدها:
- ما يضايقني هو أن تقومي أنت بذلك. لا يمكنني احتمال إحساس أن أبقى بالبيت وأكلفك أنت بالقيام بهذه المهمة البغيضة. مررت "**جويندا**" إصبعًا على وجنته المهمومة. قالت:
- أعلم يا حبيبي - أعلم جيداً. لكن لابد لك أن تعترف بأن المهمة شائكة وأن الحديث مع رجل عن علاقات عاطفية ماضية ضرب من الوقاحة - ولكنها وقاحة من النوعية التي يمكن للمرأة الإفلات منها إذا استخدمت ذكاءها. وأنا مصممة على أن أكون ذكية.
- أعلم أنك ذكية جداً. ولكن - لو كان "**إريسكاين**" هو الرجل الذي نبحث عنه... فقالت "**جويندا**" بنبرة تأمل:
- لا أعتقد أنه هو.

– تعنين أننا نبحث في الموقع الخطإ؟

– ليس تمامًا.. أعتقد أنه كان يحب "**هيلين**" ولا شك في ذلك. ولكنه مهذب يا "**جايلز**"، مهذب بدرجة كبيرة. ليس من النوعية التي يمكنها أن تقتل أو تخنق.

– ليست لديك خبرة كافية بالنوعية التي من الممكن أن تقتل أو تخنق يا"**جويندا**" أليس كذلك؟

– هذا صحيح. لكن لدي غرائزي النسائية.

– أعتقد أن هذا ما تقوله ضحايا القاتل دائمًا. لا يا "**جويندا**". دعك من المزاح وكوني حذرة – أرجوك.

– بالتأكيد. أشعر بالأسف نحو هذا الرجل – بسبب زوجته المتسلطة. أراهن على أنه عاش حياة بائسة.

– امرأة غريبة... مخيفة بشكل ما.

– نعم. هي كذلك. هل لحظت كيف ظلت تراقبني طوال الوقت؟

– أرجو لخطتنا أن تتم بنجاح.

- 25 -

في صباح اليوم التالي تمّ تتنفيذ الخطة.

اتخذ "**جايلز**" له موقعًا يتيح له رؤية الباب الخارجي لـ"**أنستيل مانور**" مسكن آل "**إريسكاين**". في حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف أخبر "**جويندا**" بأن كل شيء قد جرى على خير ما يرام، وأن السيدة "**إريسكاين**" قد غادرت المنزل بسيارة "**أوستن**" صغيرة وكان واضحًا أنها كانت متوجهة إلى بلدة السوق على بُعد خمسة كيلومترات من هناك، وأن الأجواء أصبحت صافية ومواتية.

قادت "**جونيدا**" السيارة حتى الباب الخارجي وقرعت الناقوس ثم طلبت مقابلة السيدة "**إريسكاين**" وأُخبرت بأنها ليست بالبيت. سألت بعد ذلك

عن العقيد "**إريسكاين**" وكان بالحديقة. اعتدل واقفًا من العمل بأحد أحواض الزهور عندما اقتربت "**جويندا**". قالت:

– إنني آسفة تمامًا لإزعاجك. ولكنني أعتقد أن خاتمًا قد سقط مني في مكان ما هنا بالأمس. أنا متأكدة من أنه كان بإصبعي عندما خرجنا إلى هنا بعد تناول الشاي. فهو واسع قليلاً ولم أحتمل فكرة فقده لأنه خاتم خطبتي.

بدأ البحث فورًا. سارت "**جويندا**" في أماكن الأمس ذاتها وحاولت أن تتذكر أين وقفت وأية زهور أو ورد لمسته. وظهر الخاتم بجوار أحد أحواض الورد. وأمعنت "**جويندا**" في التعبير عن ارتياحها.

– والآن هل لي أن أقدم لك مشروبًا يا سيدة "**ريد**"؟ كأس جعة أو نبيذًا؟ أم أنك تفضلين قهوة أو مشروبًا ساخنًا؟

– لا أريد شيئًا – لا – حقيقة – سيجارة فقط – شكرًا لك.

جلست فوق مقعد مستطيل وجلس "**إريسكاين**" بجوارها. ظلاً يدخنان في صمت بضع دقائق وكان قلب "**جويندا**" يخفق بسرعة. لم يكن أمامها بديل عن الخوض في الموضوع فورًا. قالت:

– أود أن أطرح عليك سؤالاً. قد تعتبر ذلك قمة الوقاحة مني ولكنني محتاجة بشدة إلى أن أعرف – وربما تكون الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يخبرني. أعتقد أنك كنت على علاقة غرامية بزوجة أبي في وقت ما. أدار نحوها وجهًا ناطقًا بالدهشة وقال:

– بزوجة أبيك؟

– نعم. "**هيلين كينيدي**" التي أصبحت "**هيلين هاليداي**" فيما بعد.

– فهمت.

كان الرجل هادئًا تمامًا. اتجهت نظراته نحو المرج الواقع تحت أشعة الشمس بينما شرد ذهنه. احترقت السيجارة بين إصبعيه. وعلى الرغم من الهدوء الذي بدا عليه أحست "**جويندا**" باضطراب شديد يعتمل بداخل ذلك الشكل البشري المتوتر الذي لمس ذراعها. قال "**إريسكاين**" وكأنه

يجيب عن سؤال طرحه على نفسه:

– علمت ذلك من خطابات ربما. ولم تجب "**جويندا**" بشيء. فقال:

– لم أكتب إليها الكثير – خطابين أو ربما ثلاثة. أخبرتني بأنها مزقتها – ولكن الفتيات لا يمزقن الخطابات أبداً – أليس كذلك؟ وبذلك وقعت في يدك وتريدين أن تعرفي.

– أريد أن أعرف المزيد عنها. كنت مولعة بها جداً على الرغم من أنني كنت طفلة صغيرة جداً عندما تركت المنزل.

– هل تركت المنزل؟

– ألم تعرف؟ التقتت عيناه بعينيها بدهشة هادئة. قال:

– ليست لديَّ أخبار عنها – منذ ذلك الصيف الذي قضيته في "**دلموث**".

– لا تعلم. إذن... أين هي الآن؟

– وكيف لي أن أعرف؟ كان هذا منذ سنوات. كل هذا انتهى أمره – وأصبح في طي النسيان.

– في طي النسيان؟ ابتسم ساخراً:

– لا. ربما لم يصبح في طي النسيان... أنت حادة الذكاء يا سيدة "**ريد**". ولكن أخبريني عنها. لم تتوف – أليس كذلك؟ هبت فجأة نسمة باردة أثلجت عنقيهما وتجاوزتهما. قالت "**جويندا**":

– لا أعرف ما إذا كانت قد توفيت أم لا. لا أعرف عنها شيئاً. ظننت أنك ربما تعرف. ثم استطردت قائلة بينما كان يهز رأسه:

– غادرت "**دلموث**" في ذلك الصيف على نحو مفاجئ في مساء أحد الأيام دون أن تخبر أحداً. ولم تعد إلى المنزل ثانية.

– وتظنين أنني ربما أكون قد تلقيت أخباراً منها؟

– نعم. هز رأسه.

– لا. لم أتلق منها كلمة واحدة. لكن من المؤكد أن أخاها الطبيب – الذي يعيش في "**دلموث**" – يعرف أخبارها. أم أنه قد توفي أيضاً؟

– لا . إنه على قيد الحياة . ولكنه لا يعرف عنها شيئًا أيضًا . يعتقد الجميع أنها قد رحلت بصحبة رجل . أدار رأسه لينظر إليها وقد لاحت بعينيه علامات عمق الأسى :

– ظنوا أنها قد رحلت معي؟

– حسنا . كان هذا أحد الاحتمالات .

– هل كان ذلك ممكنًا؟ لا أعتقد . ولم يكن ممكنًا قط . أم أننا كنا أحمقين– أحمقين يقظي الضمير أضعنا على نفسينا فرصتنا للسعادة . لم تنطق "جويندا" بشيء . فأدار "إريسكاين" رأسه ثانية لينظر إليها .

– ربما من الأفضل أن تعرفي كل شيء عن هذه العلاقة . واقع الأمر أنه ليس هناك الكثير جدًا لتعرفيه ولكنني لا أحب أن تسيئي الظن بـ"هيلين" . التقينا على متن سفينة متجهة إلى "الهند" . وكان أحد ابنيّ مريضًا وزوجتي ستلحق بي بالباخرة التالية . كانت "هيلين" مسافرة إلى "الهند" لتتزوج رجلاً في الغابات أو الأدغال أو شيء من هذا القبيل . لم تكن تحبه . كان مجرد صديق قديم لها ظريف وطيب القلب وكانت هي تريد التخلص من وجودها في بيت عائلتها؛ إذ لم تتوفر لها السعادة به . أحب كل منا الآخر . توقف عن الحديث لحظة ثم استطرد قائلاً :

– عبارة خاوية معتادة . لكن لم يكن هذا هو الحال بالنسبة إلينا . لم تكن علاقة الحب العادية التي تحدث على متن السفن . كانت علاقة عميقة وجادة . تحطم كلانا على أثرها . ولم يكن ثمة ما يمكن فعله . لم أستطع أن أخذل "جانيت" ولا الولدين . وكان هذا رأي "هيلين" أيضًا . لو أن الأمر كان يتعلق بـ"جانيت" وحدها – لكن كان هناك الولدان أيضًا . كانت العلاقة ميئوسًا منها . اتفقنا على أن نفترق وأن نحاول أن ننسى . أطلق ضحكة مقتضبة لا مرح فيها ولا مزح :

– ننسى؟ لم أنْسَ قط – ولا للحظة واحدة . أصبحت الحياة لي جحيمًا متقدًا . ولم يمكنني قط أن أكف عن التفكير في "هيلين" . . . ولم تتزوج

الشاب الذي كانت قد سافرت إلى "**الهند**" كي تتزوجه. في آخر لحظة لم يمكنها مواجهة الأمر. عادت إلى وطنها "**إنجلترا**" وفي طريقها إلى هناك التقت بذلك الرجل الآخر – والدك – على حد اعتقادي. كتبت إليّ بعد بضعة أشهر وأخبرتني بما فعلت. كان تعساً جداً بسبب وفاة زوجته – هكذا أخبرتني – وأنه قد كانت هناك طفلة. ظنت أنه يمكنها إسعاده وأن هذا أفضل شيء يمكنها أن تفعله. كتبت إليّ من "**دلموث**". بعد ذلك بثمانية أشهر توفي والدي وأتيت إلى هذا المكان. تقدمت بأوراقي وعدت إلى "**إنجلترا**". أردنا بضعة أسابيع إجازة حتى يمكننا الانتقال إلى هذا المنزل. اقترحت زوجتي عليّ الذهاب إلى "**دلموث**". كان أحد أصدقائنا قد ذكر لنا أنه مكان جميل وهادئ. لم تعلم زوجتي بالتأكيد بأمر "**هيلين**" – ولك أن تتصوري حجم التجربة. أن ألتقيها ثانية، وأن أرى الرجل الذي ارتبطت به بالزواج. تلى ذلك فترة صمت قال "**إريسكاين**" بعدها:

– ذهبنا إلى هناك وأقمنا بفندق "**رويال كلارينس**" وكان هذا خطأ. رؤية "**هيلين**" ثانية كانت بمثابة الجحيم... بدت سعيدة بما يكفي على وجه العموم – اجتنبت أن تكون معي بمفردها... لم أعلم ما إذا كانت لا تزال تحبني أم أنها كفت عن حبي... ربما تكون قد شفيت من هذه التجربة. أعتقد أن زوجتي شكّت في وجود شيء ما... فهي امرأة شديدة الغيرة – ودائماً ما كانت كذلك. هذا كل ما في الأمر. ثم رحلنا من "**دلموث**"... فقالت "**جويندا**" مقاطعة:

– يوم 17 آب (أغسطس).

– هل كان هذا هو التاريخ؟ ربما. لا أستطيع أن أتذكر تحديداً. فقالت "**جويندا**":

– كان يوافق يوم سبت.

– نعم. أصبت. أتذكر أن "**جانيت**" قالت إنه ربما يكون يوم زحام للسفر شمالاً – ولكنني لا أظن أنه كان كذلك...

– أرجوك يا عقيد "إريسكاين" أن تحاول أن تتذكر متى كانت آخر مرة رأيت فيها زوجة أبي " هيلين"؟ ارتسمت على وجهه ابتسامة تنطق بالتعب وهو يقول:

– لست محتاجًا إلى أن أبذل جهدًا كبيرًا. رأيتها في المساء السابق على رحيلنا – على الشاطئ. كنت قد تمشيت إلى هناك بعد العشاء – وكانت هي هناك. ولم يكن هناك أحد سوانا. تمشيت معها إلى منزلها ومشينا في الحديقة.

– في أية ساعة؟

– لا أدري... ربما كانت الساعة التاسعة.

– وودع كل منكما الآخر؟

– نعم. ودع كل منا الآخر. ضحك مرة أخرى. قال:

– ليس بنوعية الوداع التي تظنينها. كان وداعًا مقتضبًا كئيبًا. قالت "هيلين" عندئذ: "أرجوك أن تمضي الآن. امضِ مسرعًا. كنت أفضل ألا..." وصمتت عند هذا القول وأما أنا – فمضيت فقط.

– عائدًا إلى الفندق؟

– نعم. نعم. بعد فترة. مشيت مسافة طويلة إلى داخل البلدة قبل أن أعود. قالت "جويندا":

– تحديد التواريخ صعب بعد طول هذه السنوات وإن كنت أعتقد أن ذلك كان في الليلة ذاتها التي رحلت فيها – بلا عودة.

– فهمت. وحيث إنني وزوجتي رحلنا عن المنطقة في اليوم التالي تناقل الناس شائعة أنها قد هربت معي. يا لها من عقول ساحرة التي لهؤلاء الناس! فقالت "جويندا" صراحة:

– في جميع الأحوال لم ترحل عنِ المنطقة معك؟

– يا إلهي – لا. لم يكن هناك أبدًا أي شك في هذا.

– لماذا إذن تظن أنها رحلت؟ قطب "إريسكاين" وتغير أسلوبه إلى مزيد من

الاهتمام. قال:

– يمثل هذا مشكلة. ألم تترك أي مبرر؟ فكرت "جويندا" ثم عبَّرت عن اعتقادها الخاص:

– لا أظن أنها تركت أية رسالة ألبتة. هل تظن أنها رحلت مع شخص آخر؟

– لا. لم تفعل ذلك بكل تأكيد.

– تبدو واثقًا تمامًا بذلك.

– نعم. أنا واثق كل الثقة.

– لماذا رحلت إذن؟

– لو كانت قد رحلت – فجأة – على هذا النحو – فأنا لا أرى سوى سبب محتمل واحد: أنها كانت تهرب مني أنا.

– منك أنت؟

– نعم. ربما كانت خائفة من أن أحاول رؤيتها ثانية وإزعاجها. فلابد أن تكون قد رأت أنني لم أزل – متيمًا بها... نعم. لابد أن هذا كان هو السبب. فقالت "جويندا":

– ولكن هذا لا يفسر سبب عدم عودتها ثانية. أخبرني – هل قالت "هيلين" لك شيئًا عن والدي؟ إنها كانت مهمومة بسببه؟ أو خائفة منه؟ أو أي شيء كهذا؟

– خائفة منه؟ لماذا؟ آه... لقد فهمت. تظنين أنه ربما كان غيوراً. هل كان رجلاً غيوراً؟

– لا أدري. فقد توفي وأنا بعد طفلة صغيرة.

– آه. فهمت. لا – عندما أستعيد الأحداث – أرى أنه قد بدا طبيعيا وظريفًا دائمًا. كان شديد الولع بـ"هيلين" وفخوراً بها. لا أرى أكثر من هذا. لا. أنا الذي كنت أغار منه.

– بَدَوا لك سعيدين معًا إلى حد معقول؟

– نعم. هكذا بَدَوا. وكنت مسروراً بذلك ولكن رؤية ذلك كانت مؤلمة

لي... لا. لم تتحدث "**هيلين**" عنه معي قط. وكما سبق أن ذكرت لك أننا لم نكن معًا بمفردنا قط بحيث يمكننا تبادل الأسرار. ولكن الآن وقد طرقت هذا الموضوع، أتذكر بالفعل أنني كنت أظن أن "**هيلين**" مهمومة...

– مهمومة؟

– نعم. كنت أظن أن ذلك ربما كان بسبب زوجتي – ولكن الأمر كان يتجاوز ذلك. رمق "**جويندا**" بنظرة حادة أخرى:

– هل كانت خائفة من زوجها؟ هل كان يغار عليها من الرجال الآخرين؟

– يبدو أنك ترى غير ذلك.

– الغيرة شيء غريب. من الممكن أن تستتر أحيانًا بحيث يتعذر معرفتها أو الشك في وجودها. لكن من الممكن أن تكون مخيفة... مخيفة جدًا...

– شيء آخر أود أن أعرفه... وتوقفت "**جويندا**" عن الكلام إذ وصلت سيارة أمام المنزل فقال العقيد "**إريسكاين**":

– آه... لقد عادت زوجتي من مهمة التسوّق.

وفي غضون لحظة واحدة تحوّل إلى شخصية مختلفة. أصبحت نبرته سلسة لكن رسمية وغابت التعبيرات من وجهه، وفضحت رعشة طفيفة توتره. أتت السيدة "**إريسكاين**" بخطى سريعة حول زاوية المنزل وتوجه زوجها نحوها. قال:

– لقد سقط من السيدة "**ريد**" أحد خواتيمها بالحديقة أمس. فقالت السيدة "**إريسكاين**" على نحو مفاجئ:

– حقيقة؟ فقالت "**جويندا**":

– صباح الخير... نعم. لحسن الحظ أنني وجدته.

– أنت سعيدة الحظ جدًا.

– هذا صحيح. ما كنت لأحب أن أفقده. حسنا. لابد أن أمضي الآن. لم تعلق السيدة "**إريسكاين**" بشيء وأما العقيد "**إريسكاين**" فقال:

– سوف أصطحبك إلى سيارتك. وبدأ يتبع "**جويندا**" في سيرها بالشرفة

عندما أتى صوت زوجته حاداً:

- "**ريتشارد**" - بعد إذن السيدة "**ريد**" - لك مكالمة هاتفية مهمة - فأسرعت "**جويندا**" تقول:

- لا باس من ذلك. أرجو ألا تهتم.

وأسرعت إلى نهاية الشرفة ثم انعطفت حول جانب المنزل إلى الممر ثم توقفت. فقد أوقفت السيدة "**إريسكاين**" سيارتها بطريقة جعلت "**جويندا**" تشك في إمكانية الخروج بسيارتها على الممر. ترددت قليلاً ثم عادت إلى الشرفة ببطء.

توقفت عن السير فجأة بالقرب من الباب المؤدي إلى داخل المنزل. ترامى إلى أذنيها صوت السيدة "**إريسكاين**" عميقًا ومدويًا يقول بوضوح تام:

- لا يهمني ما تقوله. لقد رتبت أنت لهذا اللقاء - بالأمس. حددت الموعد مع هذه البنت بحيث تأتي إلى هنا في أثناء تغيبي عن البيت. أنت هكذا دائماً - ولا تتغير أبداً - ضعيف أمام أية فتاة جميلة. لن أحتمل مزيداً من هذا. أحذرك من أنني لن أحتمل مزيداً. قاطعها صوت "**إريسكاين**" عندئذ... بهدوء وشبه يأس:

- أحيانا يا "**جانيت**" - أظن أنك قد فقدت صوابك بحق.

- لست أنا فاقدة الصواب بل أنت! لا يمكنك ترك النساء وشأنهن.

- تعلمين أن لا صحة لما تقولين يا "**جانيت**".

- إنها الحقيقة! حتى منذ زمن بعيد - في ذلك المكان الذي تأتي منه هذه الفتاة "**دلموث**". هل تجرؤ على أن تخبرني بأنك لم تكن لتحبَّ تلك المرأة "**هاليداي**" الشقراء؟

- ألا يمكنك أن تنسي شيئًا قط؟ لماذا تصرين على مواصلة الحديث عن تلك الأمور. إنك تثيرين أعصابك ببساطة و...

- أنت الذي تثير أعصابي! وتسحق فؤادي... ولن أحتمل ذلك. وأُحذرك من أنني لن أحتمله! تخطط لمواعيد غرامية! تسخر مني في غيابي! إنك لا

تحبني. سوف أنهي حياتي! سألقي بنفسي فوق إحدى الصخور، أتمنى الموت.

ـ "جانيت" "جانيت" ـ بحق الله...

صمت الصوت العميق وتطاير صوت نشيج صار إلى الخارج. عادت "جويندا" إلى الممر سيراً على أطراف الأصابع. ترددت لحظة ثم قرعت ناقوس الباب الخارجي. قالت:

ـ أتساءل عما إذا كان هناك من يستطيع تحريك هذه السيارة قليلاً؛ لأنني لا أستطيع الخروج بسيارتي على الممر.

عادت الخادمة إلى المنزل ثم أتى رجل من مكان كان إسطبلاً للخيل. لمس قبعته محييًا "جويندا" وركب السيارة "الأوستين" وقادها إلى داخل الفناء. ركبت "جويندا" سيارتها وقادتها مسرعة في طريق عودتها إلى الفندق حيث كان "جايلز" ينتظرها. قال محييًا إياها:

ـ لقد طال غيابك. هل حصلت على شيء؟

ـ نعم. أصبحت أعرف كل شيء عن الموضوع الآن. إنه مؤثر جدًا. كان الرجل يحب "هيلين" من كل قلبه. روت أحداث تلك الفترة الزمنية خاتمة قولها:

ـ أعتقد بحق أن السيدة "إريسكاين" فاقدة الصواب إلى حد ما. بدت فاقدة العقل تمامًا. أفهم الآن ما كان يعنيه بالغيرة. لابد أنها تسبب مشاعر بشعة. على أية حال أصبحنا نعلم الآن أن "إريسكاين" ليس بالرجل الذي هرب بصحبة "هيلين" وأنه لا يعلم شيئًا عن وفاتها. كانت على قيد الحياة في ذلك المساء عندما تركها. فقال "جايلز":

ـ نعم. هذا ما يقوله على الأقل. رمقته "جويندا" بنظرات الاستياء ولكنه قال مرددًا بتأكيد:

ـ هذا ما يقوله هو.

- 26 -

انحنت الآنسة "**ماربل**" على الشرفة خارج النافذة الفرنسية حيث تعاملت مع بعض اللبلاب النامي بغير نظام. لم يسفر جهدها عن أكثر من انتصار محدود حيث ظل اللبلاب أسفل السطح مسيطرًا كالعادة وإن كان حوض الزهور المجاور قد عرف خلاصًا مؤقتًا منه. ظهرت السيدة "**كوكر**" بحجرة الاستقبال:

– معذرة يا سيدتي ولكن الدكتور "**كينيدي**" قد حضر. يريد أن يعرف حتى متى سوف يتغيب السيد "**ريد**" وزوجته عن المنزل. أخبرته بأنه لا يمكنني أن أحدد موعد عودتهما لكن ربما أنت تعرفين. هل أطلب منه أن يحضر إلى هنا؟

– نعم. أرجوك يا سيدة "**كوكر**". ظهرت السيدة "**كوكر**" بعد قليل وبصحبتها الدكتور "**كينيدي**". عرفته الآنسة "**ماربل**" بنفسها بقدر من الاهتمام:

– وقد رتبت مع "**جويندا**" العزيزة أن آتي إلى هنا وأقتلع الحشائش من الحديقة في أثناء غيابهما. أعتقد أنك تعلم أن صديقيَّ الشابين يعانيان عدم عناية "**فوستر**" البستاني الكافية بالحديقة. فهو يأتي مرتين أسبوعيًّا ويتناول عددًا كبيرًا من أقداح الشاي ويتحدث كثيرًا ولا يؤدي عملاً يذكر حسب تقديري. فقال الدكتور "**كينيدي**" بقدر من شرود الذهن:

– نعم. جميعهم سواء... جميعهم سواء.

رمقته الآنسة "**ماربل**" بنظرات التقييم. رأت أنه أكبر سنًّا مما تصورته على ضوء وصف آل "**ريد**" له. وأنه يبدو مسنًّا قبل الأوان. كما بدا أيضًا مهمومًا وتعسًا. وقف هناك وأصابعه تتحسس خط فكّه الطويل. قال:

– لقد خرجا. هل تعلمين متى يعودان؟

– لن يتغيبا طويلاً. ذهبا لزيارة بعض الأصدقاء في شمال "**إنجلترا**". يبدو الشبان لي قلقين كثيري الحركة والانتقال إلى هنا وإلى هناك. فقال الدكتور "**كينيدي**":

– نعم. نعم. هذا صحيح تمامًا. صمت قليلاً ثم قال بشيء من التردد:

– لقد كتب الشاب "**جايلز ريد**" إليّ خطابا طلب فيه موافاته ببعض الأوراق – أو – الخطابات، إذا أمكنني العثور عليها... تردد قليلاً فقالت الآنسة "**ماربل**" بهدوء:

– خطابات أختك؟ رمقها بنظرة ماكرة سريعة:

– أنت مطلعة على أسرارهما إذن؟ أنت قريبة لهما؟ فقالت الآنسة "**ماربل**":

– مجرد صديقة. وقد نصحتهما قدر إمكاني لكن نادرًا ما يعمل الناس بنصيحة غيرهم... إنها مشكلة ربما ولكن هذا لا يغير من الواقع شيئًا... سألها بنبرة تنطق بالفضول:

– وبماذا نصحتهما؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" بحزم:

– أن يتركا الفتنة نائمة. جلس الدكتور "**كينيدي**" متثاقلاً فوق مقعد بدائي غير مريح. قال:

– نصيحة حكيمة. إنني معجب بـ"**جويني**". كانت طفلة صغيرة ظريفة. وقد كبرت لتصبح شابة جميلة. يؤسفني أنها تتخذ مسارًا نحو المتاعب. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– هناك أنواع كثيرة من المتاعب.

– ماذا؟ نعم – نعم. هذا صحيح تمامًا. تنهد ثم قال:

– كتب "**جايلز ريد**" إليّ يسأل عما إذا كان يمكنني تسليمه خطابي أختي اللذين بعثت بهما إليّ بعد رحيلها من هنا – مع نموذج معتمد لخط يدها. صوّب نحوها نظرة حادة ثم قال:

– تفهمين ما يعنيه هذا؟ أومأت الآنسة "**ماربل**". قالت:

– أعتقد ذلك.

– إنهما يعودان إلى فكرة أن "**كلفين هاليداي**" عندما قال إنه قد خنق زوجته لم يقل سوى الحقيقة لا أكثر منها ولا أقل. يعتقدان أن الخطابين

اللذين كتبتهما "**هيلين**" بعد رحيلها لم يكتبا بواسطتها- وأنهما مزيفان. يعتقدان أنها لم تغادر هذا المنزل وهي على قيد الحياة. قالت الآنسة "**ماربل**" بنبرة رقيقة:

- وأنت، ألست واثقًا بذلك تمامًا بعد انقضاء كل هذا الزمن؟ لم يزل الدكتور "**كينيدي**" ناظرًا نحو الأمام:

- كنت آنذاك. بدا واضحًا تمامًا أن تلك كانت هلوسة من جانب "**كلفين**". ولم تكن هناك جثة. حقيبة سفر وملابس مختفية - ماذا غير ذلك كان لي أن أظن؟

- وكانت شقيقتك في الآونة الأخيرة تبدي اهتمامًا برجل معين؟ نظر "**كينيدي**" إليها مليًّا بعينين تنطقان بعمق الآلام. قال:

- كنت أحب أختي لكن ينبغي أن أعترف بأنه قد كان هناك رجل في حياتها دائمًا. هناك نساء مجبولات على ذلك النحو - وهو مفروض عليهن. فقالت الآنسة "**ماربل**":

- بدا كل شيء واضحًا لك آنذاك. ولكنه لا يبدو على ذات القدر من الوضوح الآن. لماذا؟ قال "**كينيدي**" بنبرة صريحة:

- لأنني لا يمكنني أن أصدق أنه لو كانت "**هيلين**" لا تزال على قيد الحياة ألاّ تتواصل معي طوال هذه السنين. وعلى ذات النسق، لو كانت قد توفيت فمن الغريب ألا أخطر بوفاتها. حسنا... نهض وأخرج من جيبه لفافة قائلاً:

- إليك أفضل ما يمكنني القيام به. الخطاب الأول الذي تلقيته من "**هيلين**" لابد أن أكون قد مزقته. لم يمكنني العثور على أثر له. ولكنني احتفظت بخطابها الثاني - الذي ذُكر فيه عنوان مكتب البريد المراد الاحتفاظ لديه بالخطابات التي ترد باسمها. وإليك أيضًا - لأغراض المقارنة - العينة الوحيدة لخط يد "**هيلين**" التي أمكنني الاهتداء إليها وهي عبارة عن قائمة لأبصال وأشياء من هذا القبيل للزراعة. صورة لأمر توريد ما كانت قد احتفظت بها. يبدو لي أن الخط الذي كتب به أمر التوريد والخط الذي حرر به الخطاب

متشابهان تمامًا ولكنني لست خبير خطوط. أترك هذين هناك لـ"**جايلز**" و"**جويندا**" لدى عودتهما. ربما لا تجدين ضرورة لإرسالهما إليهما.

– لا. أعتقد أنهما يتوقعان أن يعودا غداً – أو يوم بعد غد. أوما الطبيب ثم نهض موجهًا نظرات شاردة عبر الشرفة ثم ما لبث أن قال:

– تعلمين ما الذي يقلقني؟ لو كان "**كلفين هاليداي**" قد قتل زوجته فعلاً فلابد أن يكون قد أخفى الجثة أو تخلص منها بطريقة أو بأخرى – وهذا يعني أن قصته لي كانت رواية متقنة التأليف – وأنه كان قد أخفى حقيبة سفر ممتلئة بالملابس حتى يؤكد فكرة أن "**هيلين**" قد رحلت – وأنه كان أيضاً قد رتّب لأن تصلني خطابات منسوبة إليها من خارج البلاد... وهذا ما يعني في واقع الأمر أنه ارتكب جريمته بهدوء تام مع سابق الإعداد لها. كانت "**جويني**" الصغيرة طفلة ظريفة. وكان يسيء إليها أن يكون والدها مصاباً بجنون الارتياب، لكن أن يكون والدها قاتلاً متعمداً، فهذا ما يسيء إليها أضعافًا مضاعفة. التفَّ حول نفسه نحو النافذة الفرنسية المفتوحة إلا أن الآنسة "**ماربل**" سرعان ما حالت دون رحيله بسؤال سريع طرحته عليه.

– من الذي كانت أختك تخاف منه يا دكتور "**كينيدي**"؟ استدار نحوها ثانية مدققًا النظر إليها:

– تخاف منه؟ لا أحد على حد علمي.

– كنت أتساءل فقط... أرجوك أن تسامحني لو كنت قد طرحت أسئلة غير حكيمة – لكن كان هناك شاب أليس كذلك – أعني، علاقة ما تورطت فيها وهي بعد صغيرة السن جدًّا؟ أعتقد أن اسمه "**أفليك**".

– آه... ذلك؟ علاقات سخيفة تمر بها غالبية البنات. شاب غير مرغوب فيه، متذبذب – ومن المؤكد أنه لم يكن لائقا بطبقتها الاجتماعية، ليس أبداً. ثم واجه متاعب هنا فيما بعد.

– كنت أتساءل فقط عما إذا كان من الممكن أن يكون – منتقمًا. ابتسم الدكتور "**كينيدي**" بارتياب ثم قال:

– لا أعتقد أن كان لهذه العلاقة أثر عميق لديه. وعلى أية حال – كما سبق أن قلت – واجه بعض المتاعب هنا وغادر المنطقة بلا عودة بعد ذلك.

– أي نوع من المتاعب؟

– لا شيء إجرامي. مجرد حماقات وأفعال طيش. أفشى أسرار صاحب عمله.

– وكان صاحب عمله هذا هو السيد "**وولتر فين**"؟بدا الدكتور "**كينيدي**" دهشًا إلى حد ما.

– نعم. نعم. لقد ذكرتني الآن. كان يعمل بالفعل لدى مؤسسة "**فين وتشمان**". ليس بمقتضى عقد ثابت لكن كمجرد كاتب عادي.

– كمجرد كاتب عادي؟ هكذا كانت الآنسة "**ماربل**" تتساءل وقد انحنت مرة أخرى فوق اللبلاب بعد انصراف الدكتور "**كينيدي**"...

- 27 -

قالت السيدة "**كيمبل**":

– لا أعلم. اضطر زوجها إلى أن يتكلم مدفوعًا بموجة غضب. أزاح قدحه إلى الأمام متسائلاً:

– فيمَ تفكرين يا "**ليلي**"؟ أسرعت السيدة "**كيمبل**" تسري عنه غضبه ثم بدأت تتحدث في الموضوع المتعلق بها:

– أفكر في هذا الإعلان. يقول بوضوح "**ليلي أبوت**"، وهي أنا و(التي كانت تعمل خادمة في "**سانت كاثرين**" في "**دلوث**"). وهذه أنا أيضًا.

أومأ السيد "**كيمبل**" موافقًا على ما قالت.

– بعد كل هذه السنوات – لابد أنك تتفق معي في أنه أمر غريب يا"**جيم**".

– نعم.

– حسنا – ماذا عساي أن أفعل يا "**جيم**"؟

- انسي الموضوع.
- لنفترض أنه ينطوي على مبلغ مالي؟
سمع صوت غرغرة والسيد "**كيمبل**" يشرب قدح الشاي الخاص به حتى يقوي نفسه لمواجهة المجهود الذهني الذي يتطلبه الاشتراك في حديث طويل. دفع بالقدح إلى الأمام واستهل ملاحظاته بطلب المزيد من الشاي ثم بدأ يتكلم:
- شكوت كثيراً في وقت من الأوقات بسبب ما حدث في "**سانت كاثرين**". لم أهتم كثيراً بالموضوع لأنني اعتبرته حماقة - وثرثرة نسائية. ربما لم يكن كذلك. ربما شيء ما قد حدث بالفعل. وفي هذه الحالة يكون للإعلان صلة بالشرطة ولا داعي إلى أن تتورطي في مثل هذه الأمور. لقد انتهى كل شيء وانقضى عليه زمن طويل. أليس كذلك؟ اتركي هذا الأمر وشأنه يا عزيزتي.
- من السهل جداً أن تقول ذلك لكن ربما يكون لهذا الإعلان صلة بمال ترك لي بموجب وصية. ربما كانت السيدة "**هاليداي**" على قيد الحياة طوال هذه السنوات وتوفيت الآن وتركت لي شيئًا ما بموجب وصية. فقال السيد "**كيمبل**":
- تركت لك شيئًا ما في وصيتها؟ ولماذا؟
- حتى لو كان للأمر علاقة بالشرطة... أنت تعلم جيداً أن هناك مكافأة مجزية تُدفع في بعض الأحيان لمن يمكنه الإدلاء بمعلومات تؤدي إلى القبض على قاتل.
- وما الذي بإمكانك أن تدلي به؟ كل ما تعرفينه هو من تأليفك.
- هذا هو رأيك الخاص. ولكنني كنت أفكر في... رمقها السيد "**كيمبل**" بنظرة ازدراء ولكنها استطردت تقول:
- كنت أفكر في الموضوع منذ أن رأيت الإعلان الأول في الصحف. ربما أكون قد أخطأت فهم بعض التفاصيل. تلك الفتاة "**لايوني**" كانت غبية مثل

سائر الأجانب. لم تستطع فهم ما يقال لها على الوجه الصحيح - وكانت معرفتها باللغة الإنجليزية متدنية تماماً. لو كانت لم تعني ما ظننت أنها كانت تعنيه... كنت أحاول أن أتذكر اسم ذلك الرجل... لو كان هو الذي رأته... هل تتذكر تلك الصورة التي حدثتك عنها؟ "العاشق الخفي" مثيرة دائماً. توصلوا إليه في النهاية عن طريق سيارته. دفع لعامل محطة الخدمة خمسين ألف دولار في مقابل أن ينسى أنه قد زود سيارته بالوقود في تلك الليلة. لا أعلم كم يساوي هذا المبلغ بالجنيه الإنجليزي... وكان الآخر هناك أيضاً والزوج فاقد الصواب لشدة الغيرة. كان الجميع متيمين بها وفي النهاية...

دفع السيد "كيمبل" مقعده إلى الخلف بصوت احتكاك. نهض على قدميه بسلطة بطيئة مدوية. وتمهيداً لمغادرة المطبخ أصدر إنذاراً - إنذار رجل متمتع بقدر من الدهاء على الرغم من عدم وضوحه عادة.

- تخلي عن التفكير في هذا الموضوع كلية وإلا من المحتمل أن تندمي. غادر المطبخ ولبس حذاءه (حيث إن "ليلي" كانت شديدة الاهتمام بنظافة أرضية مطبخها) وغادر البيت.

واصلت "ليلي" جلوسها إلى المنضدة وذهنها الأحمق النشط يحاول أن يفهم ما وراء الموضوع. من المؤكد أنه لا يمكنها مخالفة رأي زوجها، لكن، ومع كل ذلك... كان "جيم" ضيق التفكير متمسكًا بالتقاليد بعناد. تمنت لو أنه قد كان هناك شخص آخر تستشيره - شخص لديه علم بموضوع المكافآت والأعمال الشرطية وما يعنيه كل هذا. من المؤسف أن تضيع فرصة قد تنطوي على مبلغ لا بأس به.

حلمت باقتناء عدد من الأجهزة الكهربائية والمنزلية وقطع الأثاث الحديثة الثمينة وبعض الملابس الغالية أيضاً. واصلت أحلامها بشغف وجشع وقصر نظر. ما الذي قالته "لايوني" على وجه التحديد منذ تلك السنوات؟ ثم عنت لها فكرة ما. نهضت وأحضرت المحبرة والريشة وإضمامة ورق الكتابة.

قالت محدثة نفسها:

"أعلم ما سوف أفعله. سأكتب إلى الطبيب شقيق السيدة "**هاليداي**". سوف يخبرني بما ينبغي أن أفعله- أعني إذا كان لا يزال على قيد الحياة. على أية حال ضميري مثقل لأنني لم أخبره قط بما قالته "**لايوني**"، ولا بشيء عن السيارة".

كانت هناك فترة صمت تام باستثناء صوت حركة ريشة "**ليلي**" على الورقة. نادراً ما كتبت خطاباً؛ لهذا وجدت مشقة في صياغة هذا الخطاب. ومع ذلك تمت كتابته أخيراً. وضعته بداخل مظروف وألصقته. ولكنها أحست بأنها أقل رضا مما كانت تتوقع. احتمال بنسبة عشرة إلى واحد لأن يكون الطبيب قد توفي أو انتقل من "**دلموث**".

هل هناك شخص غيره؟ والآن ما اسم ذلك الرجل – لو أنها يمكنها فقط أن تتذكره...

- 28 -

كان "**جايلز**" و"**جويندا**" قد انتهيا تواً من تناول فطورهما في صباح اليوم التالي لعودتهما من "**نورثمبرلاند**" عندما أخبرتهما الخادمة بقدوم الآنسة "**ماربل**". دخلت إليهما شبه معتذرة.

– إنني آسفة لمجيئي في هذه الساعة المبكرة على غير عادتي. ولكن هناك شيئاً ما أريد إيضاحه. قالت "**جويندا**" وهي تجذب مقعداً من أجلها:

– نحن غاية في السرور لرؤيتك. تفضلي قدح قهوة.

– آه – لا. شكراً. لا أريد شيئاً ألبتة. تناولت فطوراً كافياً. سأوضح لكما شيئاً ما. أتيت إلى هنا في أثناء غيابكما على ضوء ما تفضلتما بالسماح لي به؛ لكي أقتلع الحشائش الضارة من الحديقة. فقالت "**جويندا**":

– عطف ملائكي منك.

– وقد تبينت فعلياً أن يومين في الأسبوع ليسا كافيين لهذه الحديقة. على أية حال أظن أن "**فوستر**" يستغلكما. كثرة من أقداح الشاي وكثرة من

الثرثرة. وجدت أنه لا يمكنه تدبير يوم إضافي لكما؛ لهذا أخذت على عاتقي استخدام رجل آخر ليوم واحد أسبوعيًا - هو يوم الأربعاء - اليوم، في الواقع.

رمقها "**جايلز**" بنظرات الفضول إذ كان دهشًا إلى حد ما. ربما كانت الآنسة "**ماربل**" حسنة النية فيما فعلته وإن شابه مذاق طفيف من التدخل في شؤون الغير. ولم يكن مثل هذا التدخل من خصالها. قال بنبرة متباطئة:

- أعلم أن "**فوستر**" كبير السن جدًا بما يتنافي مع قدرته على القيام بالأعمال الشاقة.

- يؤسفني يا سيد "**ريد**" أن أخبرك بأن "**مانينج**" يكبره سنًا أيضًا. أخبرني بأنه في الخامسة والسبعين ولكنني رأيت أن استخدامه لأيام مفردة قليلة قد يكون مفيداً لأنه كان منذ سنوات عديدة يعمل بمنزل الدكتور "**كينيدي**". واسم الشاب الذي خطبت "**هيلين**" له هو "**أفليك**" بهذه المناسبة. قال "**جايلز**":

- يا آنسة "**ماربل**" لقد عبت عليك فكريًا. أنت نابغة. هل تعلمين أنني قد حصلت من الدكتور "**كينيدي**" على نماذج لخط يد "**هيلين**"؟

- أعلم. كنت هنا عندما أحضرها.

- سوف أبعث بها اليوم بالبريد. حصلت على عنوان أحد خبراء الخطوط في الأسبوع الماضي. قالت "**جويندا**":

- دعونا نذهب إلى الحديقة ونلتقي بـ"**مانينج**".

كان "**مانينج**" رجلاً عجوزا منحني الظهر شديد النحول، يعاني من الآلام الروماتيزمية، ذا نظرات مشوبة بالمكر. كان يسرع إيقاع العمل الذي يقوم به بدرجة ملحوظة مع اقتراب مستخدميه منه.

- صباح الخير يا سيدي. صباح الخير يا سيدتي. أخبرتني السيدة بأنكما محتاجان إلى مساعدة إضافية في أيام الأربعاء وهو أمر يسرني أن أقدمه. تبدو هذه الحديقة مهملة إلى حد مخجل.

- من المؤسف أنها قد تركت تتدهور بالتدريج مدى سنوات.

– هذا صحيح. أتذكر هذه الحديقة منذ أيام السيدة "**فنديسون**". كانت مثل صورة رائعة الجمال؛ إذ كانت هذه السيدة مهتمة جداً بها.

استند "**جايلز**" إلى أسيطينة[1] وقطفت "**جويندا**" بعض الورد. أما الآنسة "**ماربل**" فتراجعت إلى الخلف قليلاً لتنحني فوق اللبلاب. واستند "**مانينج**" العجوز إلى مجرفته. أصبح المشهد مهيئا لحوار صباحي ممتد عن الأزمنة القديمة وعن العناية بالحدائق في الزمن الماضي الجميل. قال "**جايلز**" من قبيل التشجيع على الكلام:

– يخيل إليّ أنك تعرف غالبية الحدائق المنتشرة في هذه البقعة.

– أعرف هذا المكان جيداً. وما كان يروق الناس. السيدة "**بول**" التي تعيش عند "**النياجرا**" كان لها سياج من الطَّقْسوس[2] كان يتم تقليمه على هيئة سنجاب. رأيت أن هذا سخفا. الطاووس شيء والسنجاب شيء آخر. ثم كان هناك العقيد "**لامبارد**" وكان مولعا بشجيرات البغونية[3] والأحواض أصبحت غير عصرية الآن. لا أحب أن أذكر لكم كم من مرة طلب مني ملء الأحواض بالتربة في غضون الأعوام الستة الماضية. يبدو أن الناس قد فقدوا إعجابهم بأنواع نباتات إبرة الراعي وبأنواع النباتات الدقيقة الأخرى التي تزرع على حواف الأحواض.

– وقد عملت بحديقة الدكتور "**كينيدي**" أليس كذلك؟

– كان هذا منذ زمن طويل. يزيد على تسعة عشر أو عشرين عاماً. وقد انتقل إلى منزل آخر الآن. وحل محله الدكتور "**برنت**" الشاب. لديه أفكار غريبة – أقراص بيضاء صغيرة وما إلى ذلك. يقول إنها فيتامينات.

– أعتقد أنك تتذكر الآنسة "**هيلين كينيدي**" أخت الطبيب.

– نعم. أتذكر الآنسة "**هيلين**" جيداً. فتاة جميلة ذات شعر أصفر طويل.

---

(1) أسيطينة: أسطوانة. أو بكرة للدحرجة.

(2) الطَّقْسوس: شجر دائم الخضرة من الفصيلة الصنوبرية.

(3) البغونية: عُشب استوائي.

كان الطبيب يقدرها جداً. عادت وأقامت في هذا المنزل بعد أن تزوجت ضابطا بالجيش من "**الهند**" . قالت "**جويندا**" :

- نعم. نعرف هذا.

- سمعت في مساء السبت أنك وزوجك تربطكما صلة قرابة بها. كانت جميلة مثل صورة الآنسة "**هيلين**" عندما عادت من المدرسة. وممتلئة مرحًا أيضًا. تريد أن تذهب إلى كل مكان: حفلات الرقص ومباريات التنس وكل ذلك. وكان عليّ تخطيط ملعب التنس ولم يكن مستخدمًا مدى حوالي عشرين عامًا. وكانت الأعشاب والشجيرات متشابكة عليه بدرجة لا تصدق. اضطررت إلى تقليم الشجيرات واقتلاع الأعشاب وأحضرت قدراً كبيراً من الدهان الأبيض، وقمت بتخطيط الملعب ووضع علاماته. اقتضى ذلك مني جهداً جباراً وفي النهاية كاد ألا يستخدم أبداً. دائمًا ما كنت أرى غرابة فيما جرى. سأل "**جايلز**" :

- وما هو الشيء الغريب الذي حدث؟

- ما حدث لشبكة التنس. جاء شخص ما في إحدى الليالي ومزقها إلى أشرطة رفيعة. حقد. كان هذا حقداً قذراً.

- لكن من كان من الممكن أن يفعل شيئًا كهذا؟

- هذا ما أراد الطبيب أن يعرفه. كان غاضبًا جدًّا لما حدث - ولا ألومه على ذلك. كان قد دفع ثمن الشبكة توًّا. ولكن أحداً منا لم يمكنه أن يعرف من الذي فعل ذلك. وقال إنه لن يشتري شبكة أخرى وكان محقًّا في ذلك أيضًا لأن من مزقها بدافع الحقد في المرة الأولى سوف يمزقها بدافع الحقد ثانية. أما الآنسة "**هيلين**" فقد أُحبطت بدرجة كبيرة. لم يحالفها الحظ قط. لازمها سوء الحظ في الشبكة أولاً ثم في إصابة قدمها. سألت "**جويندا**" :

- إصابة قدمها؟

- نعم. سقطت فوق مكشطة أو شيء كهذا وجرحت قدمها. لم تبدُ الإصابة أكثر من كشط طفيف ولكنها لم تشف بسهولة. وكان الطبيب

مهمومًا جدًّا بشأنها. كان يتعهدها بالعلاج ولكنها لم تتحسن. أتذكر أنني سمعته يقول: "لا يمكنني أن أفهم ما حدث - لابد أن كان بالمكشطة تلوث ما. لكن من الذي أتى بالمكشطة إلى وسط الممر؟" لأنها كانت هناك عندما سقطت الآنسة "**هيلين**" فوقها في طريقها إلى داخل البيت في ليلة مظلمة. اضطرت الفتاة المسكينة إلى الكف عن الذهاب إلى حفلات الرقص والبقاء بالبيت رافعة قدمها إلى أعلى. بدا الأمر وكأن لا نصيب لها سوى سوء الحظ في الحياة. رأى "**جايلز**" أن الفرصة متاحة فسأل بأسلوب عابر:

- هل تتذكر شابًا يدعى "**أفليك**"؟

- تعني "**جاكي أفليك**"؟ الذي كان يعمل بمكتب "**فين ووتشمان**"؟

- نعم. ألم يكن صديقًا للآنسة "**هيلين**"؟

- لم يكن هذا سوى هراء. وضع الطبيب نهاية لهذه الصداقة وكان محقًّا في ذلك أيضًا. لم يكن منتميًا إلى طبقة اجتماعية معقولة هذا الشاب. وكان من النوعية العنيفة التي ينتهي بها الأمر إلى إيذاء ذاتها. ولكنه لم يمكث بالمنطقة طويلاً. أقحم نفسه في بعض المتاعب. وتخلصت المنطقة من وجوده بها. لا نحب أن يعيش أمثاله في "**دلموث**"؛ ليذهبوا إلى مكان آخر ويمارسوا فيه حيلهم. سألت "**جويندا**":

- هل كان موجودًا بالمنطقة عندما وقع حادث تمزيق الشبكة؟

- أفهم ما ترمين إليه. ولكنه لا يقدم على فعل شيء غير معقول كهذا. كان هذا الشاب ماكرًا وذكيًا لكن الذي مزق الشبكة فعل ذلك بدافع الحقد.

- هل كان هناك أي إنسان يحمل عداءً للآنسة "**هيلين**" يجعله يحقد عليها؟ ضحك البستاني العجوز بصوت خافت. قال:

- ربما حقدت عليها بعض الفتيات. ولا مبرر لذلك من جانب الآنسة "**هيلين**"؛ لذلك أرى أن هذا حدث من شخصية حمقاء حاقدة. سألت "**جويندا**":

- هل تضايقت "**هيلين**" كثيرًا بسبب موضوع "**جاكي أفليك**"؟

– لا أظن أن الآنسة "**هيلين**" كانت تهتم كثيراً بأي من هؤلاء الشبان. كل ما في الأمر هو أنها كانت تحب أن تستمتع بوقتها. وبعضهم كان مخلصاً لها تماماً – فالسيد "**وولتر فين**" كان يتبعها أينما ذهبت.

– لكن لم يكن لديها أدنى اهتمام به؟

– لا. كانت تضحك فقط. هذا كل ما كانت تفعله. سافر إلى بلاد خارجية ولكنه عاد فيما بعد. يشغل الآن أعلى منصب في المؤسسة. ولم يتزوج قط. ولا ألومه. فالنساء تسبب متاعب كثيرة في حياة الرجال. سألت "**جويندا**":

– هل أنت متزوج؟

– دفنت زوجتين. وليست لديّ أسباب للشكوى. أصبحت أدخن غليوني في هدوء عندما أريد ذلك.

في فترة الصمت التي تلت قوله هذا التقط مجرفته ثانية. عاود "**جايلز**" و"**جويندا**" السير بالممر نحو المنزل وتخلت الآنسة "**ماربل**" عن عملها في تهذيب اللبلاب لتنضم إليهما. قالت "**جويندا**":

– يا آنسة "**ماربل**". لا تبدين على ما يرام. هل هناك أي شيء؟

– لا شيء يا عزيزتي. توقفت السيدة العجوز عن الكلام لحظة ثم قالت بنوع غريب من الإصرار:

– لا تروقني تلك الواقعة الخاصة بشبكة التنس، وتمزيقها إلى شرائط... حتى عندئذ... توقفت عن الكلام ثانية ورمقها "**جايلز**" بنظرات الفضول. بدأ يقول:

– لا أستطيع أن أفهم تماما...

– ألا تفهم؟ يبدو الأمر واضحاً ببشاعة أمام عيني. لكن ربما من الأفضل ألا تفهمه. وربما أكون مخطئة على أية حال. والآن أخبراني بنتيجة رحلتكما إلى "**نورثمبلاند**". أحاطاها علماً بما أسفرت عنه جهودهما وأصغت الآنسة "**ماربل**" إليهما باهتمام شديد. قالت "**جويندا**" بعد ذلك:

– الموضوع كله مأساوي جداً. مأساوي تماماً في الواقع.

– نعم. هذا صحيح. يا للعذاب... يا للعذاب...

– هذا ما شعرت به. لابد أن هذا الرجل يعاني كثيراً.

– الرجل؟ آه نعم. نعم، بكل تأكيد.

– لكنك كنت تعنين...

– حسنا – نعم. كنت أفكر فيها هي – في الزوجة. ربما تكون غارقة في حبها له، وتزوجها هو لأنها كانت مناسبة له أو من قبيل الإشفاق عليها أو لأي من تلك المبررات المعقولة والإنسانية التي لدى الرجال عادة والظالمة ببشاعة على أرض الواقع. قال "**جايلز**" مقتبساً بصوت خافت:

"أعرف مائة أسلوب للحب

وكل منها يجعل الحبيب يندم"

استدارت الآنسة "**ماربل**" نحوه:

– نعم. هذا صحيح. والغيرة كما تعلم لا تخضع للأسباب. فهي أعمق منها بكثير. تقوم على أساس العلم بأن لا تبادل لحب المرء... وبناء على ذلك يظل هذا المرء ينتظر وينتظر ويتوقع... أن يتجه المحبوب إلى إنسان آخر. وهو ما لابد أن يحدث. بناء على ذلك جعلت السيدة "**إريسكاين**" هذه الحياة جحيماً لزوجها وهو في ظل عدم قدرته على أن يفعل شيئاً جعل الحياة جحيماً لها. ولكنني أظن أن معاناتها هي الأكثر قسوة. ومع كل ذلك يمكنني قول إنه مولع بها حقاً. فصاحت "**جويندا**":

– هذا مستحيل.

– يا عزيزتي. أنت حديثه السن جداً. لم يهجر زوجته قط وهذا يعني شيئاً ما.

– بسبب الأبناء. ومراعاة لواجبه. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– الأبناء، ربما. لكن ينبغي أن أعترف بأنه لا يبدو لي أن الرجال حريصون جداً على مراعاة واجبهم نحو زوجاتهم – أما العمل العام فهو شأن آخر. ضحك "**جايلز**":

– كم أنت ساخرة مدهشة يا آنسة "**ماربل**".

– يا عزيزي السيد "**ريد**" أرجو أن أكون مخطئة في رأيي. وهناك دائمًا الأمل في الطبيعة البشرية. قالت "**جويندا**" بنبرة المستغرق في التفكير:

– مازلت أشعر بأنه من غير الممكن أن يكون "**وولتر فين**" هو الذي وراء الموضوع، مع ثقتي أيضا بعدم تورط "**إريسكاين**" فيه. واقع الأمر أنني أعلم ذلك. قالت الآنسة "**ماربل**":

– ليس شعور المرء دليلاً يعوّل عليه دائمًا. الأناس الأقل احتمالاً هم من يقترفون الأفعال. هذا ما حدث في قريتي الصغيرة عندما اكتشف أن أمين صندوق نادي أعياد الميلاد قد راهن بكل المبلغ المتوفر لديه بالخزينة على جواد معين. كان يعترض على سباقات الخيل وعلى أي نوع من المراهنات والمقامرات. كان والده وكيل حلبة سباق خيل وكان يسيء معاملة والدته – وبناء على ذلك كان مستقيمًا تمامًا على الصعيد الفكري. ولكن تصادف ذات يوم، في أثناء قيادته سيارته بالقرب من منطقة السوق، أن شاهد تدريب عدد من الخيل. فاستبدت به الفكرة فورا – حب السباق كان يجري في عروقه. قال "**جايلز**" بجد:

– يبدو تاريخ كل من "**وولتر فين**" و"**ريتشارد إريسكاين**" فوق مستوى الشك. لكن من الممكن ارتكاب جريمة قتل من قبيل ممارسة الهواية. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– الأمر المهم هو أنهما كانا هنا في موقع الحادث. كان "**وولتر فين**" هنا في "**دلموث**". والسيد "**إريسكاين**" وبشهادته هو لابد أنه كان بصحبة "**هيلين هاليداي**" قبل وفاتها بزمن قصير جدًا – ولم يعد إلى الفندق الذي ينزل به لبعض الوقت في تلك الليلة.

– ولكنه كان صريحًا تمامًا بشأن ذلك. فقد... قطعت "**جويندا**" كلامها فجأة فقد كانت الآنسة "**ماربل**" تمعن في النظر إليها. قالت الآنسة "**ماربل**":

– ما أريد تأكيده هو أهمية التواجد في موقع الحادث. نظرت إلى الواحد منهما تلو الآخر ثم قالت:

– لا أعتقد أنكما من الممكن أن تواجها صعوبة في الاهتداء إلى عنوان "ج. ج. **أفليك**" . بصفته مالكًا لشركة النقل السياحي سيكون الأمر غاية في السهولة. أومأ "**جايلز**" قائلاً:

– سأبحث عن عنوان هذه الشركة في دليل الهاتف. أترين أن من الواجب أن نذهب ونقابله؟

انتظرت الآنسة "**ماربل**" دقيقتين قبل أن تقول:

– إذا ذهبتما إليه فينبغي عليكما توخي بالغ الحذر. تذكرا ما قاله عنه هذا البستاني العجوز، إنه ذكي وماهر. أرجو أن تكونا حذرين تمامًا.

- 29 -

كان لشركة "**جاكي أفليك**" للنقل السياحي رقما هاتف بدليل التليفونات: عنوان مكتب في "**إكسيتير**" وعنوان خاص في أطراف البلدة. تم تحديد موعد للقاء في اليوم التالي. وفي اللحظة ذاتها التي كان "**جايلز**" و"**جويندا**" يستقلان السيارة في طريقهما إلى هناك لحقت بهما السيدة "**كوكر**" قائلة:

– اتصال هاتفي من الدكتور "**كينيدي**" يا سيدي. أسرع "**جايلز**" لإجابة الهاتف ورفع السماعة.

– "**جايلز ريد**" هنا.

– صباح الخير. تلقيت الآن خطابًا غريبًا من امرأة تدعى "**ليلي كيمبل**" . كدحت ذهني لأتذكر من تكون. ظننتها إحدى مريضاتي في بادئ الأمر – وبذلك لم يمكنني معرفة من هي. إلا أنني أتصور أنها كانت إحدى العاملات بالمنزل الذي تعيشان فيه في وقت من الأوقات. كانت تعرف في ذلك الزمن باسم جارية الردهة. أكاد أتذكر أن اسمها "**ليلي**" وإن كان لا يمكنني أن أتذكر لقبها.

– كانت هناك فتاة تدعى "**ليلي**" . تتذكرها "**جويندا**" لأنها ربطت أنشوطة

بعنق الهرة.

- لابد أن "جويندا" تتمتع بذاكرة قوية جداً.

- هذا صحيح.

- حسنا. أحب أن أتحدث معك بشأن هذا الخطاب - ليس عبر الهاتف. هل ستكونان بالبيت لو أنني مررت بكما؟

- إننا في طريقنا الآن إلى "إكسيتير". يمكننا المرور بك إذا كنت تفضل هذا يا سيدي. ستكون في طريقنا.

- حسنا. هذا مناسب تماما. وعندما وصلا إلى هناك قال الطبيب:

- لا أحب كثرة الحديث عن كل هذه الأمور عبر الهاتف. فأنا مقتنع تماما بوجود عمليات تنصت على الخطوط. ها هو خطاب المرأة. نشر الخطاب فوق المنضدة. كان مكتوبا على ورق مسطر رخيص بيد غير متعلمة.

"سيدي العزيز (هكذا كتبت "ليلي")،

أكون شاكرة لك لو أنك نصحتني بشأن هذا الإعلان الذي قصصته من إحدى الصحف. ظللت أفكر فيه وأناقش الأمر مع السيد "كيمبل" ولكنني لا أعرف ما هو أفضل ما يمكن فعله بشأنه. هل تعتقد أن له علاقة بمال أو مكافأة لأنني محتاجة إلى المال ولكنني لا أحب أن أتورط في علاقة مع الشرطة أو أي شيء كهذا؟ فكرت طويلاً في تلك الليلة التي رحلت السيدة "هاليداي" فيها ولا أعتقد يا سيدي أنها رحلت لأن الملابس المفترض أنها قد أخذتها معها ليست صحيحة ولا متوافقة. ظننت في بادئ الأمر أن السيد قد قتلها ولكنني الآن لست واثقة بذلك تماما بسبب السيارة التي رأيتها من النافذة. سيارة فاخرة وقد رأيتها من قبل ولكنني لا أريد أن أقدم على شيء قبل الرجوع إليك أولاً لمعرفة ما إذا كان الإعلان صحيحا وليس من جانب الشرطة لأنني لم أتعامل مع الشرطة من قبل ولن يحب السيد "كيمبل" لي ذلك. يمكنني أن أحضر لمقابلتك يا سيدي - لو أذنت لي بذلك - يوم الخميس المقبل، حيث إنه يوم السوق ولن يكون السيد "كيمبل" بالبيت.

سأكون شاكرة لك إذا سمحت لي بذلك" .

خادمتك "ليلي كيمبل"

قال "**كينيدي**" :

– وصل على عنواني القديم في "**دلوث**" وأُرسل إليَّ على عنواني الحالي بالتالي. القصاصة المرفقة هي إعلانكما. قالت "**جويندا**" بابتهاج:

– رائع. لا تظن "**ليلي**" هذه أن والدي هو الذي فعل ذلك. ونظر إليها الدكتور "**كينيدي**" بعينين مشفقتين مرهقتين. قال بنبرة حانية:

– شهادة لصالحك يا "**جويندا**" . آمل أن تكوني محقة في ذلك. والآن هذا ما أرى أنه من الأفضل أن نفعله. سأرد على خطابها وأطلب منها أن تأتي إلى هنا يوم الخميس. الربط بين خطوط السكك الحديدية جيد جداً. بتغيير المسار عند اتجاه "**دلوث**" من الممكن أن تصل إلى هنا بعد الرابعة والنصف بقليل. إذا حضرتما في وقت مناسب من بعد ظهر ذلك اليوم فسوف نتمكن من التعامل معها معاً. قال "**جايلز**" :

– فكرة رائعة. ثم نظر إلى ساعة يده وقال:

– هيا بنا يا "**جويندا**" . ينبغي أن نسرع. ثم قال موضحاً:

– لأننا على موعد مع السيد "**أفليك**" صاحب شركة النقل السياحي. وقد أخبرنا بأنه كثير المشاغل. قطب "**كينيدي**" قائلاً:

– "**أفليك**" ؟ بالتأكيد. شركة "**ديفون للسياحة**" . ولكن هذا الاسم يبدو مألوفاً لي. فقالت "**جويندا**" :

– "**هيلين**" .

– يا إلهي – ليس ذلك الشاب؟

– نعم. هو.

– ولكنه كان فاراً بائساً. لقد كبر في العالم إذن؟ فقال "**جايلز**" :

– هلاً أخبرتني بشيء يا سيدي. لقد حرصت على إنهاء علاقة بينه وبين "**هيلين**" . هل كان ذلك بسبب وضعه الاجتماعي فقط؟ رمقه الدكتور

"كينيدي" بنظرة جافة:

– أنا عتيق الطراز يا أيها الشاب. في الفكر الحديث جميع الرجال سواء. وهذا متسق على الصعيد المعنوي بلا شك. ولكنني ممن يؤمنون بواقع أن هناك حالة حياة يولد المرء فيها – وأؤمن بأن المرء يكون أسعد حالاً إذا ما ظل بها. وفضلاً على ذلك رأيت أن ذلك الشاب لم يكن مناسبًا وقد ثبت لي ذلك.

– ما الذي فعله تحديداً؟

– لا يمكنني أن أتذكر ذلك الآن. ولكن الأمر كان يتعلق بمحاولة المتاجرة بمعلومة حصل عليها من خلال عمله لدى "فين". معلومة خاصة تتعلق بأحد عملاء المكتب.

– هل كان شديد التأثر بشأن الاستغناء عنه؟ صوب "كينيدي" إليه نظرة حادة ثم أجاب باقتضاب:

– نعم.

– ألم يكن هناك أي سبب آخر لعدم رضاك عن صداقته لأختك؟ ألم تر مثلاً أنه غريب في أي جانب؟

– حيث إنك طرقت هذا الموضوع سوف أجيبك بصراحة. بدا لي، وبخاصة بعد أن تم الاستغناء عنه في وظيفته، أنه يبدي علامات معينة على معاناته حالة مزاجية غير متوازنة. هوس اضطهاد أولي في الواقع. لكن لا يبدو أن نجاحه التالي في الحياة يؤيد هذه الملاحظة.

– ومن الذي أنهى خدمته؟ "وولتر فين"؟

– ليست لديَّ أدنى فكرة عما إذا كان "وولتر فين" هو الذي أوصى بذلك. لكن المؤسسة هي التي استغنت عن خدمته.

– وشكا من أنه كان ضحية؟ أومأ "كينيدي" وقال "جايلز":

– فهمت... حسنا. ينبغي أن نقود السيارة بسرعة الريح. إلى اللقاء يوم الخميس يا سيدي.

- 30 -

كان المنزل حديث البناء، بلون البلح عميق التجويف ذا نافذة عملاقة استقبلا من خلال رواق فسيح بحجرة مكتب شغل نصف مساحتها مكتب كبير مكسو بالكروميوم. قالت "**جويندا**" متمتمة لـ"**جايلز**" بنبرة متوترة:

– لا أدري بحق ماذا كان بإمكاننا أن نفعل دون الآنسة "**ماربل**". نعتمد عليها في كل منعطف. أولاً أصدقاؤها في "**نورثمبرلاند**" والآن الرحلة السنوية لنادي البنين تحت رعاية صديقتها زوجة الكاهن.

رفع "**جايلز**" يده مشيراً إليها بالصمت عندما فتح الباب ودخل "**جاكي أفليك**" منه مسرعًا. كان قوي البنية في منتصف العمر يرتدي حلة من نسيج ذي تربيعات جريئة بعض الشيء، وعيناه داكنتان تنطقان بالدهاء ووجهه أحمر طيب الملامح. بدا مطابقًا للفكرة الشعبية عن المصنِّف الناجح.

– السيد "**ريد**"؟ صباح الخير. أهلاً بك. قدَّم "**جايلز**" "**جويندا**" التي شعرت بأن يدها أخذت في قبضة شديدة الحماس.

– وما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك يا سيد "**ريد**"؟ جلس "**أفليك**" خلف مكتبه العملاق وقدم لهما سجائر من علبة من الأبنوس.

فتح "**جايلز**" موضوع رحلة نادي البنين. قال إن أصدقاء له يشرفون على العرض وإنه يريد أن يرتب لجولة مدتها يومين في "**ديفون**". أجابه "**أفليك**" فوريًا وبأسلوب رجال الأعمال – عارضًا الأسعار ومقدمًا الاقتراحات. ولكن قدراً من الحيرة كان باديًا على وجهه، ثم قال:

– حسنا يا سيد "**ريد**". كل شيء واضح بما يكفي وسوف أرسل إليك الشروط للحصول على تعزيزك إياها. ولكن هذا عمل مكتبي بحت. على الرغم من أنني فهمت من أحد العاملين معي أنك طلبت موعدًا خاصًا بعنواني الخصوصي.

– هذا صحيح يا سيد "**أفليك**". هناك في الواقع أمران كنت أريد مقابلتك بشأنهما. انتهينا من أحدهما. والآخر شأن خاص بحت. فزوجتي –هنا –

شديدة الحرص على التواصل مع زوجة أبيها التي لم ترها منذ سنوات عديدة، ونتساءل عما إذا كان يمكنك مساعدتنا.

– حسنا – لو أخبرتني باسم السيدة – أفهم أنني أعرفها؟

– كنت تعرفها ذات مرة. اسمها "**هيلين هاليداي**" وكان اسمها قبل الزواج "**هيلين كينيدي**". جلس "**أفليك**" ساكنًا تمامًا. رفع عينيه إلى أعلى وأمال مقعده ببطء إلى الخلف.

– "**هيلين هاليداي**"... لا أذكرها... "**هيلين كينيدي**"... قال "**جايلز**":

– هي من "**دلموث**". قال بعد فترة تفكير:

– تذكرتها. بالتأكيد. وأشرق وجهه سعادة:

– "**هيلين كينيدي**" الصغيرة! نعم. أتذكرها. ولكن هذا كان منذ زمن طويل. منذ عشرين عامًا تقريبًا.

– ثمانية عشر.

– حقيقة؟ الوقت يمضي مسرعًا. لكن يؤسفني أنك ستشعر بخيبة الأمل يا سيد "**ريد**". فلم أر "**هيلين**" منذ ذلك الحين. ولم أسمع عنها أيضًا. فقالت "**جويندا**":

– يا إلهي. كم هذا مخيب للأمل. كنت آمل في أن تتمكن من مساعدتنا.

– ما الخطب؟ وانتقلت نظرته من الواحد إلى الأخرى:

– مشاجرة؟ تركت البيت؟ موضوع يتعلق بمال؟ فقالت "**جويندا**":

– رحلت – فجأة – من "**دلموث**" – منذ ثمانية عشر عامًا – مع شخص ما. فقال "**أفليك**" بنبرة إعجاب:

– وتظنان أنها من الممكن أن تكون قد رحلت معي أنا؟ ولماذا؟ تحدثت "**جويندا**" بجرأة قائلة:

– لأننا سمعنا أنك – وهي – كنتما ذات مرة معجبين كل بالآخر.

– أنا و"**هيلين**"؟ آه – لكن لم يكن في علاقتنا أي شيء. مجرد صداقة بين ولد وبنت. لم يأخذها أي منا على محمل الجد. فلم نجد تشجيعًا على

ذلك. بدأت "**جويندا**" تقول:

– لابد أنك تعتبرنا غاية في الوقاحة. ولكنه سرعان ما قاطعها قائلا:

– وما الذي حدث؟ لست من النوعية الحساسة. تريدان الاهتداء إلى فتاة معينة وتظنان أنه يمكنني مساعدتكما. اطلبا مني أي شيء أو اطرحا أي استفسار – فليس لديَّ شيء أخفيه. نظر إليها بعد ذلك متأملاً ثم قال:

– أنت إذن ابنة "**هاليداي**"؟

– نعم. هل كنت تعرف والدي؟ هز رأسه.

– ذهبت إلى البيت ذات مرة لرؤية "**هيلين**" عندما كنت في "**دلموث**" لأداء بعض الأعمال. كنت قد علمت أنها قد تزوجت وأنها تعيش هناك. كانت مهذبة للغاية – ولكنها لم تطلب مني أن أبقى حتى العشاء. ولكنني لم ألتق والدك قط. تساءلت "**جويندا**" عما إذا كان قد شاب صوته قدر من الألم عندما قال:

"ولكنها لم تطلب مني أن أبقى حتى العشاء؟".

– هل بدت سعيدة – لو كنت تتذكر؟ هز "**أفليك**" كتفيه قائلا:

– سعيدة بما يكفي. ولكن هذا منذ زمن طويل. كنت سأتذكر لو أنها بدت تعسة. ثم أضاف بما بدا فضولاً طبيعيًا تمامًا:

– هل تعنيان أن تقولا إنكما لم تسمعا عنها شيئًا منذ ثمانية عشر عامًا؟

– لا شيء.

– ولا خطابات؟ فقال "**جايلز**":

– كان هناك خطابان ولكن لدينا سبب يدفعنا إلى الاعتقاد أنها لم تكتبهما. شابت صوت "**أفليك**" نبرة لهو وهو يقول:

– تظنان أنها لم تكتبهما؟ يبدو الأمر وكأنه لغز بفيلم سينمائي.

– هكذا يبدو الأمر لنا.

– وماذا عن أخيها – الطبيب – ألا يعلم أين هي؟

– لا.

– فهمت. لغز عادي. أليس كذلك؟ لماذا لا تنشران إعلانًا بالصحف؟

– فعلنا ذلك. قال "**أفليك**" بنبرة عابرة:

– يبدو الأمر وكأنها قد توفيت. ربما لم يكن من الممكن أن تعلما. ارتعشت "**جويندا**":

– تشعرين بالبرد يا سيدة "**ريد**"؟

– لا. اقشعر بدني لفكرة أن تكون "**هيلين**" قد توفيت. فأنا لا أحب أن أعرف أنها قد توفيت.

– أنت محقة في ذلك. فأنا لا أحب هذه الفكرة أيضًا. كانت لها ملامح مذهلة. قالت "**جويندا**" بشيء من الاندفاع:

– كنت تعرفها. تعرفها من قرب. أما أنا فليست لي عنها سوى ذكرى طفولية. كيف كانت تبدو؟ ماذا كان شعور الآخرين نحوها؟ ماذا كان شعورك أنت تجاهها؟ ظل ينظر إليها بعض الوقت ثم قال:

– سأكون صادقًا معك يا سيدة "**ريد**". لك أن تصدقي أو لا تصدقي. كنت مشفقًا على تلك الطفلة. رمقته بنظرة حائرة:

– مشفق؟

– تمامًا. هكذا كانت – عائدة من المدرسة توًّا. تتوق إلى قدر من الترفيه مثل أية فتاة أخرى. وكان هناك ذلك الأخ المتوسط العمر المتشدد بأفكاره عما يمكن للفتاة أن تفعله وما لا يمكنها أن تفعله. لا ترفيه ألبتة كان لتلك الطفلة. حسنا – اصطحبتها معي قليلاً – أريتها قدراً من الحياة. لم أكن شديد الاهتمام بها كما لم تكن هي شديدة الاهتمام بي في الواقع. كل ما في الأمر أنها كانت تحب متعة الجرأة. ثم اكتشف بعد ذلك أننا كنا نتقابل فوضع نهاية لذلك. لا ألومه حقًّا. فهي من طبقة اجتماعية تفوق طبقتي. لم نكن مخطوبين أو شيء من هذا القبيل. كنت أعتزم الزواج في وقت ما – لكن بعد أن أكبر قليلاً. وكنت أعتزم المثابرة والاهتداء إلى زوجة تساعدني على التقدم في حياتي. لم يكن لـ"**هيلين**" أي مال ولم يكن زواجنا متوافقًا

من أي جانب. كنا صديقين فقط مع قدر ضئيل من المغازلة.

– لكن لابد أن تكون قد غضبت عندما تدخل الطبيب... توقفت "**جويندا**" عن الكلام وقال "**أفليك**":

– أعترف بأنني تكدرت. لا يمكنك أن تتخيلي إحساس من يقال له إنه ليس مناسبًا بما يكفي. لكن لا جدوى من الاستسلام للإحساس المرهف. فقال "**جايلز**":

– ثم – فقدت وظيفتك. لم يبد وجه "**أفليك**" سعيدًا جدًا.

– لقد فصلت من عملي بمؤسسة "**فين وونشمان**". ولديَّ فكرة واضحة عمن كان مسؤولاً عن ذلك. قال "**جايلز**" بنبرة المتسائل:

– حقيقة؟ ولكن "**أفليك**" هز رأسه قائلاً:

– لن أقول أي شيء. لدي أفكاري الخاصة. كنت ضحية مكيدة – وهذا كل ما في الأمر – ولديَّ فكرة واضحة تمامًا عمن فعل بي ذلك – ولماذا. لعبة قذرة. التجسس على رجل ونصب الشرك له – ومراقبته. لقد كان لي أعدائي

– هذا صحيح ولكنني لم أتح لهم قط فرصة الإيقاع بي. دائمًا ما جازيت عن الخير خيرًا. وأنا لا أنسى. توقف عن الكلام وفجأة تغير أسلوبه إلى سابق حالته وأصبح لطيفًا مرة أخرى.

– بناء على ذلك يؤسفني ألا أستطيع تقديم أية مساعدة. قدر من اللهو جمع بيني وبين "**هيلين**" – كان هذا كل شيء. لم يكن لعلاقتنا أي قدر من العمق. نظرت "**جويندا**" إليه مليًا. روايته واضحة بما يكفي – لكن هل هي حقيقية؟ هكذا تساءلت. شيء ما لم يبد متسقًا – صعد إلى السطح بذهنها ما كان ذلك الشيء. قالت:

– ومع ذلك راجعتها عندما أتيت إلى "**دلموث**" فيما بعد. ضحك:

– لقد اصطدتني في ذلك يا سيدة "**ريد**". نعم. ذهبت إليها. أردت لها أن ترى أنني لست مهزومًا أو محتاجًا لأن محاميًا متجهمًا فصلني من العمل بمكتبه. كنت قد بدأت مشروعي ونجحت فيه وكنت أقود سيارة فاخرة

وكنت قد هيأت لنفسي مستقبلاً عظيمًا.

– أتيت لرؤيتها أكثر من مرة واحدة – أليس كذلك؟ تردد لحظة قال بعدها:

– مرتان – ربما ثلاث مرات. مجرد مرور بها. ثم أوما فجأة منهيًا اللقاء بقوله:

– يؤسفني عدم إمكاني مساعدتكما. نهض "**جايلز**":

– ينبغي أن نعتذر إليك عن استهلاك هذا القدر من وقتك.

– لا بأس. تحدثنا عن الزمن القديم من قبيل التغيير. فُتح الباب وأطلت منه امرأة أسرعت تعتذر:

– آسفة – لم أعلم أن لديك أحدًا.

– تفضلي بالدخول يا عزيزتي – تفضلي بالدخول. أقدم لكما زوجتي. وهذان هما السيد "**ريد**" وزوجته.

صافحتهما السيدة "**أفليك**" وكانت امرأة طويلة القامة نحيلة القوام مكتئبة الطلعة ترتدي ثيابًا أنيقة على غير المتوقع. قال "**أفليك**":

– كنا نتحدث عن الزمن الماضي. الأيام القديمة السابقة على لقائي بك يا"**دوروثي**". ثم وجه حديثه إلى ضيفيه قائلاً:

– التقيت بـ"**دوروثي**" في رحلة بحرية. لا تنتمي إلى هذا البلد. فهي ابنة عم اللورد "**بولترهام**". تحدث بافتخار – وتورد وجه المرأة النحيلة خجلاً. قال "**جايلز**":

– ظريفة جدًا هذه الرحلات. وقال "**أفليك**":

– وتعليمية جدًا. لم يكن لي أي تعليم يمكنني الحديث عنه. فقالت السيدة "**أفليك**":

– دائمًا ما أقول لزوجي إنه ينبغي أن نذهب في إحدى هذه الرحلات البحرية اليونانية.

– لا وقت لذلك. أنا رجل كثير المشاغل. فقال "**جايلز**":

– وينبغي ألا نعطلك عن مباشرة أعمالك. إلى لقاء وشكرًا لك. أنا في

انتظار العرض الخاص بالرحلة.

رافقهما "**أفليك**" حتى الباب. ألقت "**جويندا**" بنظرة من فوق كتفها. رأت السيدة "**أفليك**" واقفة في مدخل باب حجرة المكتب ونظراتها ثابتة على ظهر زوجها بما يوحي بحالة ترقب غير مستحب غريب. ودع "**جايلز**" و"**جويندا**" الرجل ثانية وتوجها نحو سيارتهما. قالت "**جويندا**":

– لقد تركت كوفيتي. فقال "**جايلز**":

– تتركين شيئًا ما دائمًا.

– لا تبدو معانيًا. سأذهب وأحضرها. عادت إلى المنزل عدوًا ومن خلال باب حجرة المكتب المفتوح سمعت "**أفليك**" يقول بصوت عال:

– لماذا تحبين المجيء والدخول عليّ بمكتبي؟ لا تمييز أبدًا.

– أنا آسفة يا "**جاكي**". لم أعرف. من هؤلاء ولماذا أغضباك إلى هذا الحد؟

– لم يغضباني. أنا... كف عن الكلام عندما رأى "**جويندا**" واقفة بمدخل الباب.

– يا سيد "**أفليك**" هل تركت لديك كوفية؟

– كوفية؟ لا يا سيدة "**ريد**". ليست هنا.

– كم أنا حمقاء. لابد أن تكون بالسيارة. وخرجت ثانية. كان "**جايلز**" قد غير اتجاه السيارة. وكانت ليموزين صفراء كبيرة متألقة بالكروميوم تقف موازية للرصيف. قال "**جايلز**" معلقًا:

– سيارة. فقالت "**جويندا**":

– سيارة فاخرة. هل تتذكر يا "**جايلز**" ما قالته "**إديث باجيت**" عندما روت لنا ما كانت "**ليلي**" قد قالته؟ لقد راهنت "**ليلي**" على الكابتن "**إريسكاين**" وليس على الرجل الغامض صاحب السيارة الفاخرة. ألا ترى أن الرجل الغامض صاحب السيارة الفاخرة هو "**جاكي أفليك**"؟ فقال "**جايلز**":

– نعم. وفي خطابها إلى الطبيب ذكرت "**ليلي**" سيارة فاخرة. نظر كل إلى الآخر.

– كان هناك – في موقع الحادث، طبقًا لتعبير الآنسة "**ماربل**" – في تلك الليلة. إنني أتطلع بصبر نافد إلى يوم الخميس حتى أسمع ما ستقوله "**ليلي كيمبل**".

– ولو افترضنا أنها تراجعت ولم تأت قط؟

– آه – سوف تأتي. لو كانت هذه السيارة الفاخرة قد كانت هناك في تلك الليلة.

– تعتقدين أنه كان خطرًا أصفر هكذا؟

– تبديان إعجابكما بحافلتي؟ أفزعهما سماع صوت السيد "**أفليك**" اللطيف فجأة. كان الرجل مستندًا إلى السياج الأنيق التقليدي الواقع خلفهما. قال الرجل:

– اسمها الحوذان[1] الصغير. دائمًا ما أحببت أن يكون لي شيء كهذا. ملفتة للنظر – أليست كذلك؟ فقال "**جايلز**":

– بكل تأكيد. فقال "**أفليك**":

– كما أنني معجب بالزهور مثل النرجس والحوذان وغيرها – أحبها جميعًا. هذه هي كوفيتك يا سيدة "**ريد**". انزلقت خلف المنضدة. إلى اللقاء وقد سررت بزيارتكما. سألت "**جويندا**":

– هل تعتقد أنه سمعنا ونحن نصف سيارته بالخطر الأصفر؟ بدا "**جايلز**" على قدر من عدم الارتياح. قال:

– لا أعتقد ذلك. فقد بدا ودودًا جدًّا – أليس كذلك؟

– نعم – ولكنني لا أعتقد أن هذا يعني الكثير... يا "**جايلز**". تلك المرأة زوجته إنها خائفة منه. رأيت وجهها.

– ماذا؟ هذا الرجل المرح الظريف؟

– ربما لا يكون على هذا القدر من المرح والظرف في حقيقته. يا "**جايلز**" لا أرى أن السيد "**أفليك**" يعجبني... بل وأتساءل منذ متى ظل خلفنا

---

(1) الحوذان: عشب ذو زهر أصفر.

يصغي إلى ما كنا نقوله... ما الذي قلناه تحديدًا؟ فقال "**جايلز**":

- لم نقل الكثير. ومع ذلك ظل على حالة من عدم الارتياح.

- 31 -

قال "**جايلز**" متعجبًا:

- أمر غريب. كان في تلك اللحظة قد فتح خطابًا وصله ببريد ما بعد الظهيرة وظل يتأمل محتوياته بدهشة تامة.

- ما الأمر؟

- إنه تقرير خبراء الخطوط. فسألت "**جويندا**" بشغف:

- ولم تكتب هذا الخطاب من خارج البلاد؟

- هذا ما يحيرني يا "**جويندا**". إنه بخط يدها. نظر كل منهما إلى الآخر. قالت "**جويندا**" غير مصدقة:

- لم يكن هذان الخطابان مزيفين إذن. كانا حقيقيين. ورحلت "**هيلين**" من المنزل في تلك الليلة. وكتبت من خارج البلاد. ولم تخنق قط. قال "**جايلز**" متأنيًا:

- هذا ما يبدو. ولكنه محير تمامًا. أكاد لا أفهم شيئًا. في الوقت الذي يشير كل شيء فيه إلى اتجاه مختلف تمامًا.

- ربما يكون الخبراء مخطئين؟

- ربما يخطئون لكن يبدو أنهم واثقون. "**جويندا**"، إنني لا أفهم أي شيء من هذا. هل كنا نستعرض حماقتنا؟

- وكل هذا بسبب سلوك سخيف من جانبي بالمسرح؟ "**جايلز**"- لنذهب إلى الآنسة "**ماربل**". لدينا وقت كاف قبل موعدنا مع الدكتور "**كينيدي**" في الرابعة والنصف. إلا أن ردة فعل الآنسة "**ماربل**" كانت مختلفة عما توقعاه. قالت إن هذا ظريف جدًا. فسألتها "**جويندا**":

- لكن يا عزيزتي الآنسة "**ماربل**" ما الذي تعنينه بقولك هذا؟

– ما أعنيه يا عزيزتي هو أن شخصًا ما ليس على مستوى الذكاء الذي كان من المفترض أن يكونه.

– لكن كيف – ومن أي جانب؟ فأجابت الآنسة "**ماربل**" مومئة برضا:

– أخطأ. فسأل "**جايلز**":

– لكن كيف؟

– من المؤكد يا عزيزي السيد "**ريد**" أنك ترى كيف أن هذا يضيق المجال.

– لو صدقنا أن "**هيلين**" كتبت هذه الخطابات فعلاً – فهل تعنين أنها قد قتلت مع ذلك؟

– ما أعنيه هو أنه يهم شخص ما أن يكون الخطابان بخط يد "**هيلين**".

– فهمت... على الأقل أظن أنني فهمت. لابد أن كانت هناك ظروف ممكنه معينة أجبرت "**هيلين**" فيها على كتابة هذين الخطابين بالتحديد... وهذا يضيق المجال. لكن أية ظروف تلك تحديداً؟

– يا سيد "**ريد**". لا أرى أنك تفكر بجد. الموضوع غاية في البساطة. بدا "**جايلز**" متحيراً ومتمرداً:

– ليس واضحاً أمامي – أؤكد لك ذلك.

– لو أنك فكرت قليلاً... قالت "**جويندا**" مقاطعة:

– هيا بنا يا "**جايلز**". سوف نتأخر. تركا الآنسة "**ماربل**" تبتسم بمفردها. قال "**جايلز**":

– هذه المرأة العجوز تحيرني أحيانًا. لا أعرف ما الذي كانت تعنيه. وصلا إلى منزل الدكتور "**كينيدي**" في توقيت مناسب وفتح الطبيب لهما الباب بنفسه. قال:

– أعطيت مدبرة المنزل إجازة بعد ظهر اليوم. بدا لي أن هذا أفضل. تقدمهما إلى حجرة الجلوس حيث كانت صينية شاي بأقداح وأطباق وخبز وزبد وكعك مجهزة. قال مخاطبًا "**جويندا**":

– قدح شاي بداية طيبة يوحي للسيدة "**كيمبل**" بجو من الارتياح وكل

ذلك. فقالت "**جويندا**" :

– أنت محق تماماً.

– والآن ماذا عنكما؟ هل تفضلان أن أعرفها بكما فوراً أم أن ذلك قد يحبطها؟ قالت "**جويندا**" :

– القرويون متشككون جداً. أرى أنه من الأفضل أن تستقبلها بمفردك. وقال "**جايلز**" :

– وهذا ما أراه أنا أيضاً. فقال الدكتور "**كينيدي**" :

– لو أنكما انتظرتما بالحجرة المجاورة وتركنا الباب الفاصل بين هاتين الحجرتين مفتوحاً قليلاً لأمكنكما متابعة ما يجري. وأعتقد سوف يمكنكما سماع ما تريدانه من معلومات. قالت "**جويندا**" :

– أرى أن هذا تنصتاً ولكنني لن أهتم. قال الدكتور "**كينيدي**" وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة:

– لا أعتقد أن في ذلك مساساً بأي مبدإٍ أخلاقي. لا أعد بالمحافظة على السرية تحت أي ظرف – على الرغم من استعدادي لتقديم النصائح إذا طُلبت مني. نظر إلى ساعة يده ثم قال:

– من المقرر أن يصل القطار إلى "**وودليه رود**"، في الرابعة والنصف وخمس دقائق. لابد أن يكون على وشك الوصول الآن. ثم تستغرق السيدة خمس دقائق في صعود التل. أخذ يذرع الحجرة ذهاباً وعودة بقلق وبدا وجهه مرهقاً واضح التجاعيد. قال:

– لا أفهم ما يعنيه كل هذا. لو كانت "**هيلين**" لم تغادر ذلك المنزل قط، ولو كان خطاباها إليّ مزيفين، ولو كان "**كلفين**" المسكين لم يقتلها فما الذي حدث؟ فقالت "**جويندا**" :

– قتلها شخص آخر.

– لكن يا بنتي العزيزة لو كان شخص آخر قد قتلها فلماذا كان "**كلفين**" مصمماً على أنه هو الذي فعل ذلك؟

– لأنه ظن أنه فعل ذلك. وجدها فوق الفراش وتصور أنه هو الذي فعل بها ذلك. وهذا أمر ممكن الحدوث – أليس كذلك؟ حكّ الدكتور "**كينيدي**" أنفه بضيق، ثم قال:

– وكيف لي أن أعرف؟ لست طبيبًا نفسانيًّا. هل هذا بفعل الصدمة؟ هل كان مصابًا بحالة عصبية فيما سبق؟ نعم. أعتقد أن هذا ممكن. لكن من الذي كان يرغب في أن يقتل "**هيلين**"؟ قالت "**جويندا**":

– نشك في أحد ثلاثة أفراد.

– ثلاثة أفراد؟ أي ثلاثة أفراد؟ ليس لأي إنسان أي سبب ممكن لأن يقتل "**هيلين**" – ما لم يكن فاقداً صوابه كلية. لا أعداء لها. الجميع يحبونها. توجه إلى درج المكتب وبحث في محتوياته.

– عثرت على هذه منذ أيام – وأنا أبحث عن خطابيها.

رفع صورة فوتوغرافية باهته لتلميذة طويلة القامة ترتدي ملابس التدريبات الرياضية، شعرها مصفف إلى الخلف ووجهها مشرق. و"**كينيدي**" – أصغر سنًّا سعيد الطلعة – واقفًا بجوارها ممسكًا بكلب صيد صغير. قال بنبرات غير واضحة:

– ظللت أفكر فيها طويلاً في الآونة الأخيرة. لم يتجه ذهني إليها قط مدى سنوات – تمكنت من أن أنساها تقريبًا... أما الآن فأصبحت أفكر فيها طوال الوقت. وأنتما السبب في كل ذلك. بدت كلماته شبه محمّلة بالاتهام. قالت "**جويندا**":

– رأيي أنها هي السبب فيه. استدار نحوها بحركة خاطفة:

– ماذا تعنين؟

– ما قلته بالضبط. ولا يمكنني التفسير. لكن لسنا نحن السبب في الواقع بل "**هيلين**" ذاتها.

ترامت إلى سمعهم صيحة آلة بخارية كئيبة خافتة. خرج الدكتور "**كينيدي**" إلى الشرفة وتبعاه. رأوا سحابة دخان تتراجع ببطء فوق الوادي.

قال "**كينيدي**" :

ـ هكذا يمضي القطار.

ـ داخلاً المحطة؟

ـ لا. مغادراً إياها. صمت قليلاً ثم قال:

ـ ستصل في أية لحظة الآن. ومرت الدقائق ولم تات "**ليلي كيمبل**".

نزلت "**ليلي كيمبل**" من القطار في "**دلموث**" وسارت على الجسر إلى الجانب الذي ينتظر فيه القطار المحلي الصغير. كان هناك عدد قليل من الركاب ـ لا يزيد عددهم على ستة. وكان وقت الركود من النهار وفي جميع الأحوال كان ذلك يوم السوق في "**هلتشستر**". انطلق القطار متخذاً مساره في وادٍ ملتف. كانت هناك ثلاث محطات قبل نهاية الخط.

نظرت "**ليلي كيمبل**" من النافذة بعينين لم تريا جمال الريف بل رأتا بدلاً من ذلك الأثاث الفاخر والرياش الجميل اللذين كانت تتوق إلى شرائهما بمال المكافأة المرتقبة. كانت الوحيدة التي ستغادر القطار في محطة "**ماتشينجز هولت**" الصغيرة. سلّمت تذكرتها ومرت من خلال مكتب قطع التذاكر. وعلى مسافة قصيرة على الطريق كانت لافتة مكتوب عليها إلى "**وودليه كامب**" تشير إلى مدق[1] مؤدٍّ إلى أعلى تل منحدر.

سارت "**ليلي كيمبل**" على المدق وصعدت التل برشاقة. التف الطريق حول جانب غابة، وعلى الجانب الآخر منها ارتفع التل بانحدار شديد مكسواً بالخلنج[2] والوزال[3] خرج شخص ما من بين الأشجار وفزعت "**ليلي كيمبل**". قالت:

ـ يا إلهي لقد أفزعتني. لم أتوقع مقابلتك هنا.

ـ فاجأتك ـ أليس كذلك؟ ولدي مفاجأة أخرى لك.

---

(1) مدق: طريق ترابي غير مُعبَّد.

(2) الخلنج: نبات ذو أوراق منقطة مبرقشة.

(3) الوزال: نبات ذو الوان زاهية.

كانت البقعة وسط الأشجار مهجورة موحشة. لا أحد هناك ليسمع صيحة أو صراعًا. واقع الأمر أنه لم تكن هناك صيحة وأما الصراع فسرعان ما انتهى. انزعجت حمامة تسكن الغابة فطارت إلى خارجها...

- 32 -

سأل الدكتور "كينيدي" مضطربًا:

– ماذا عسى أن يكون قد أصاب المرأة؟ أشارت عقارب الساعة إلى الخامسة إلا عشر دقائق.

– هل من الممكن أن تكون قد ضلت طريقها وهي قادمة من المحطة؟

– لقد أعطيتها توجيهات واضحة. على أية حال الأمر غاية في البساطة. تتجه شمالاً عند مغادرة المحطة ثم تتخذ أول طريق إلى اليمين، كما قلت إنها مسيرة بضع دقائق لا أكثر. قال "جايلز":

– ربما تكون قد عدلت عن المجيء.

– هذا ما يبدو. فقالت "جويندا":

– أو فاتها القطار. فقال "كينيدي" بتأن:

– لا. أرى أنه من المحتمل أن تكون قد قررت عدم المجيء بعد كل ذلك. ربما يكون زوجها قد تدخل في الموضوع. هؤلاء القرويون غير جديرين بالاعتماد عليهم. وبدأ يذرع الحجرة ذهابًا وعودة. توجه بعد ذلك إلى الهاتف وطلب رقمًا:

– ألو – هل هذه المحطة؟ أنا الدكتور "كينيدي". كنت أنتظر راكبة بقطار الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة. امرأة قروية في منتصف العمر. هل سألت امرأة عن الطريق إلى منزلي؟ أو – ما هو رأيك؟ كان الآخران على مقربة كافية بحيث سمعا نبرة صوت الحمّال الوحيد المتأنية الخافتة وهو يقول:

– لا أعتقد أن كان بين الركاب أي أحد لك يا دكتور. لم يكن هناك أي غرباء بقطار الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة. الركاب الثلاثة الوحيدون من أهل

المنطقة ومعروفون لي. قال الدكتور "**كينيدي**" :

– لابد أن تكون قد تراجعت عن رأيها إذن. حسنًا. في وسعي أن أقدم إليكما شايًا. الغلاية معدة. سأذهب وأعد الشاي. عاد حاملاً إبريق شاي وجلسوا جميعًا. قال بنبرة أكثر مرحًا:

– ليس هذا سوى عقبة مؤقتة.

– لدينا عنوانها. ربما نذهب إليها ونلتقي بها. دق ناقوس الهاتف ونهض الطبيب ليجيبه:

– الدكتور "**كينيدي**"؟

– نعم.

– أنا المفتش "**لاست**"، مركز شرطة "**لونجفورد**". هل كنت تتوقع وصول امرأة تدعى "**ليلي كيمبل**" – السيدة "**ليلي كيمبل**" إلى بيتك بعد ظهر اليوم؟

– نعم. لماذا؟ هل وقع حادث ما؟

– ليس ما يمكن اعتباره حادثًا على وجه التحديد. لقد توفيت. وجدنا خطابًا منك مع الجثة؛ لهذا السبب أتصل بك هاتفيًا. هل يمكنك الحضور إلى مركز شرطة "**لونجفورد**" بأسرع ما يمكنك؟

– سوف أحضر فورًا.

-33-

قال المفتش "**لاست**" :

– والآن لنحاول توضيح الأمر. انتقلت نظرته من "**كينيدي**" إلى "**جايلز**" و"**جويندا**" اللذين كانا قد ذهبا مع الطبيب. كانت "**جويندا**" شاحبة الوجه تمامًا تقف مشابكة يديها معًا. قال المفتش:

– كنت تتوقع وصول هذه المرأة بالقطار الذي يغادر "**دلموث**" في الرابعة وخمس دقائق ويصل إلى "**وودليه بولتون**" في الرابعة وخمس وثلاثين دقيقة؟

أومأ الدكتور "**كينيدي**". نظر المفتش "**لاست**" إلى الخطاب الذي كان قد وجده مع جثة المرأة. كان واضحًا تمامًا: هكذا كتب الدكتور "**كينيدي**":

"عزيزتي السيدة "**كيمبل**"،

يسرني أن أقدم لك نصيحتي قدر إمكاني. كما ترين من عنوان هذا الخطاب لا أعيش في "**دلموث**" حاليًا. إذا أمكنك أن تستقلي القطار الذي يغادر "**كومبليه**" في الساعة الثالثة والنصف ثم تركبي في "**دلموث**" قطار "**لونزبري بيي**" إلى "**وودليه بولتون**" تجدين أن منزلي يبعد بمقدار مسيرة بضع دقائق عن محطة القطار. اتجهي يسارًا عند مغادرة المحطة ثم اتخذي أول طريق إلى اليمين. منزلي عند آخره إلى اليمين. واسمي على الباب الخارجي".

المخلص "جيمس كينيدي"

– ليس هناك احتمال لأن تكون قد أتت بقطار سابق؟ بدا "**كينيدي**" دهشًا وهو يردد:

– بقطار سابق؟

– لأن هذا ما فعلته. غادرت "**كومبليه**" ليس في الثالثة والنصف بل في الواحدة والنصف – ولحقت بقطار الثانية وخمس دقائق من "**دلموث**" ونزلت ليس في "**وودليه بولتون**" بل في "**ماتشينجز هولت**" المحطة السابقة لها.

– لكن هذا غريب!

– هل كانت تطلب منك استشارة طبية يا دكتور؟

– لا. فقد تقاعدت عن ممارسة المهنة منذ سنوات.

– هذا ما كنت أظنه. كنت تعرفها جيدًا؟ هز "**كينيدي**" رأسه:

– لم أرها منذ حوالي عشرين عامًا.

– ولكنك عرفتها حالًا؟ ارتعشت "**جويندا**" ولكن لم يكن للجثث تأثير على الأطباء وأجاب "**كينيدي**" باتزان:

– في ظل هذه الظروف يصعب القول ما إذا كنت قد عرفتها أم غير ذلك.

أعتقد أنها مخنوقة؟

- نعم. مخنوقة. تم العثور على الجثة على مسافة قريبة من المدق المؤدي من "**ماتشينجز هولت**" إلى "**وودليه كامب**". عثر عليه متنزه قادم من المعسكر في حوالي الرابعة إلا عشر دقائق. يحدد طبيب جهاز الشرطة زمن الوفاة ما بين الثانية والربع والثالثة. من المعتقد أنها قد قتلت بعد مغادرتها المحطة بزمن قصير. لم ينزل من القطار أحد غيرها في محطة "**ماتشينجز هولت**". كانت هي الوحيدة التي نزلت بالمحطة. صمت المفتش لحظة ثم قال:

- والآن - لماذا نزلت في محطة "**ماتشينجز هولت**"؟ هل أخطأت المحطة؟ لا أظن ذلك. على أية حال كانت مبكرة ساعتين عن موعدها معك ولم تأت بالقطار الذي أشرت عليها به على الرغم من أن خطابك كان معها. والآن - ماذا كان شأنها معك يا دكتور؟ وضع الدكتور "**كينيدي**" يده في جيبه وأخرج خطاب "**ليلي**" إليه.

- أحضرت هذا معي. القصاصة المرفقة هي إعلان بالصحيفة المحلية بواسطة السيد والسيدة "**ريد**" - هنا. قرأ المفتش "**لاست**" خطاب السيدة "**كيمبل**" والقصاصة المرفقة به ثم نظر من "**كينيدي**" إلى "**جايلز**" ثم "**جويندا**".

- هل لي أن أعرف القصة وراء كل ذلك؟ ترجع إلى زمن طويل على حد تقديري؟ فقالت "**جويندا**":

- ثمانية عشر عامًا. رُويت القصة بكل ما حولها من إضافات وتفاصيل. وكان المفتش "**لاست**" مصغيًا جيدًا. ترك كلا من الشخصيات الثلاثة الماثلة أمامه تتحدث بأسلوبها الخاص. كان "**كينيدي**" واقعيًا جافًا و"**جويندا**" غير متسقة إلى حد ما وإن كانت لروايتها قدرات تصورية. وربما كان إسهام "**جايلز**" هو الأكثر قيمة. فقد كان حديثه واضحًا ومحددًا وبقدر أقل من تحفظ "**كينيدي**" واتساق يفوق مثيله في حديث "**جويندا**". استغرق هذا الموضوع طويلاً. تنهد المفتش "**لاست**" بعد ذلك مجملاً الرواية في الآتي:

- كانت السيدة "**هاليداي**" هي أخت الدكتور "**كينيدي**" وزوجة أبيك

ياسيدة "**ريد**". اختفت من المنزل الذي تعيشان فيه حاليًا منذ ثمانية عشر عامًا. وكانت "**ليلي كيمبل**" ولقبها قبل الزواج "**أبوت**" تعمل خادمة (جارية رواق) بالمنزل آنذاك. لسبب ما تميل "**ليلي كيمبل**" بعد طول هذه المدة إلى نظرية أن كانت هناك خيانة. أفترض في ذلك الوقت أن السيدة "**هاليداي**" قد رحلت مع رجل (غير معلوم الهوية). وتوفي السيد "**هاليداي**" بمصحة للأمراض العقلية منذ خمسة عشر عامًا ولم يزل تحت تأثير وهم بأنه قد خنق زوجته - لو كان هذا وهمًا. توقف قليلاً ثم قال:

- جميع هذه الوقائع مثيرة للاهتمام ولكنها غير مترابطة. يبدو أن النقطة الحاسمة هي: هل السيدة "**هاليداي**" على قيد الحياة أم متوفاة؟ لو كانت متوفاة فمتى توفيت؟ وما الذي كانت "**ليلي كيمبل**" تعرفه؟

- يبدو من ظاهر الأمور أنها لابد كانت تعرف شيئًا مهمًّا. من الأهمية بحيث قتلت حتى لا تبوح به. فصاحت "**جويندا**":

- لكن كيف كان يمكن لأي أحد أن يعرف أنها كانت ستبوح به - غيرنا؟ حوّل المفتش "**لاست**" نظرته إليها مفكرًا:

- نقطة مهمة يا سيدة "**ريد**"، أن تستقل قطار الثانية وخمس دقائق بدلاً من قطار الرابعة وخمس دقائق من "**دلموث**". لابد أن كان هناك سببًا لذلك. كذلك نزولها في المحطة السابقة لـ "**وودليه بولتون**". ما السبب؟ يبدو لي ممكنًا أن تكون قد كتبت إلى شخص آخر - بعدما كتبت إلى الطبيب - مقترحة لقاء في "**وودليه كامب**"، وربما كانت تعتزم بعد ذلك اللقاء، إذا لم تحصل منه على النتيجة المرضية، أن تواصل الذهاب إلى الدكتور "**كينيدي**" وتطلب نصيحته. من الممكن أن كانت لديها شكوك في شخص معين وربما تكون قد كتبت إلى ذلك الشخص منوهة بما تعرفه ومقترحة لقاءً. فقال "**جايلز**":

- عملية ابتزاز. قال المفتش "**لاست**":

- لا أعتقد أنها اعتبرته كذلك. كانت جشعة وآملة فقط - ومشوشة

الذهن عما يمكنها الحصول عليه من هذا الموضوع. سوف نري – وربما يكون باستطاعة الزوج أن يخبرنا بالمزيد. قال السيد "**كيمبل**" متثاقلاً:

– لقد حذرتها من أن يكون لها شأن بهذا الموضوع. ذهبت دون علمي. هذا ما فعلته. ظننت أنها تعلم أفضل مني. كانت هذه هي خصالها. تظن أنها ذكية جداً. أسفر التحقيق عن أن السيد "**كيمبل**" لم يكن لديه شيء يسهم به. كانت "**ليلي**" تعمل في منزل "**سانت كاثرين**" قبل أن يلتقي بها ويبدأ الخروج معها. كانت تحب الذهاب إلى السينما وأخبرته بأنها كانت تعمل بمنزل ارتكبت فيه جريمة قتل. قال "**كيمبل**":

– لم أعر الموضوع أي اهتمام. ظننت أنه من نسج خيالها. روت لي قصة طويلة عن أن السيد قتل السيدة وأنه ربما دفن الجثة بالدرك الأدنى – وعن أن فتاة فرنسية كانت تطل من النافذة ورأت شيئًا ما أو شخصاً ما. نصحتها بألا تصغي إلى الأجنبيات لأنهن يكذبن؛ لأن الأجانب ليسوا مثلنا. وعندما أطالت الحديث في الموضوع لم أصغ إليها لأنها كانت تؤلف القصة الكاملة من لا شيء. كانت تحب قصص الجرائم. اعتادت أن تقرأ مجلة أخبار الأحد لأنها كانت تنشر مسلسلاً عن أشهر مرتكبي جرائم القتل. كانت مولعة بمثل هذه الأخبار. وطالما كانت تحب أن تعتقد أنها قد عاشت في منزل ارتكبت فيه جريمة قتل – حسناً، لا يؤذي مثل هذا الاعتقاد أحداً. لكن عندما ألحت عليّ بشأن الرد على هذا الإعلان – نصحتها بأن تترك هذا الموضوع وشأنه؛ لأنه لا فائدة من إثارة المتاعب. ولو كانت قد فعلت ما نصحتها به لكانت على قيد الحياة اليوم. فكّر دقيقة أو اثنتين ثم قال:

– نعم. لكانت على قيد الحياة الآن. كانت تظن أنها غاية في الذكاء.

- 34 -

لم يذهب "**جايلز**" و"**جويندا**" مع المفتش "**لاست**" والدكتور "**كينيدي**" لاستجواب السيد "**كيمبل**". وصلا إلى البيت في حوالي الساعة السابعة.

بدت "**جويندا**" شاحبة ومعتلة. كان الدكتور "**كينيدي**" قد نصح "**جايلز**" بأن يعطيها قدراً من البراندي ويجعلها تأكل شيئًا قبل أن تذهب إلى الفراش لأنها كانت قد أصيبت بصدمة عصبية. ظلت "**جويندا**" تقول:

– هذا فظيع يا "**جايلز**" – فظيع جداً. تلك المرأة الغبية تحدد موعداً مع قاتل وتذهب للقائه بكل ثقة لتقتل هي مثل نعجة تساق إلى الذبح.

– حسناً. لا تفكري في الأمر طويلا يا عزيزتي. فقد عرفنا على الأقل أن هناك شخصاً ما قاتلا:

– لا. لم نعرف. لا قاتل الآن. أعني أنه كان آنذاك – منذ ثمانية عشر عامًا. لم يكن الأمر واقعيًا جداً... ربما كان كل شيء خطأ ما.

– حسنا. هذا يثبت لنا أنه لم يكن خطأ وأنك كنت محقة طوال الوقت يا"**جويندا**". سعد "**جايلز**" أن وجد الآنسة "**ماربل**" في "**جانب التل**". اهتمت بمساعدة السيدة "**كوكر**" بـ "**جويندا**" التي رفضت تناول البراندي لأنها – كما قالت – تذكرها دائما بالسفن البحرية ولكنها قبلت مشروب ليمون دافئا مع قدر من شراب مُخدِّر ثم جلست وتناولت قدراً من الطعام إزاء إلحاح السيدة "**كوكر**" عليها. كان "**جايلز**" يميل إلى الحديث عن أمور أخرى إلا أن الآنسة "**ماربل**"، على ضوء ما قال "**جايلز**" إنه تدبير رائع، ناقشت الجريمة بأسلوب مهذب محايد. قال:

– أمر بشع يا عزيزي، وصدمة شديدة بلا شك وإن كان لابد لي من أن أعترف بأنه مثير للاهتمام. ومن المؤكد أنني طاعنة في السن بحيث لا يخيفني الموت ولا يصدمني مثلما يؤثر فيكما – الشيء المؤلم والمتواصل مثل الإصابة بالسرطان هو الذي يحزنني وحده. الأمر الأساسي في هذا الموضوع هو أن ما حدث إنما هو دليل قاطع، لا يحتمل الشك، على أن الشابة "**هيلين هاليداي**" قد قتلت. لقد ظننا ذلك طوال الوقت أما الآن فأصبحنا نعلم.

فقال "**جايلز**":

– وبناء على هذا الاستنتاج ينبغي لنا أن نعرف موضع الجثة. ربما في الدرك الأدنى.

- لا. لا يا سيد "**ريد**". تذكر أن "**إديث باجيت**" قد ذكرت أنها توجهت إلى هناك في صباح اليوم التالي لأن ما قالته لها "**ليلي**" أزعجها، وأنها لم تجد أية علامات على أي شيء من هذا القبيل - وكان لابد أن تكون هناك علامات كما تعلم - لو كان شخص ما يبحث عنها.

- ما الذي حدث لها إذن؟ حُملت في سيارة وأُلقي بها من فوق صخرة في البحر؟

- لا. لنفكر معًا يا عزيزي. ما هو أول شيء لفت نظركما عندما أتيتما إلى هنا - لفت نظرك يا "**جويندا**" - هكذا ينبغي أن أسأل؟ واقع أن نافذة حجرة الاستقبال لا تتيح رؤية البحر. وحيث شعرت - وبحق - بأن درجات ينبغي أن تؤدي إلى المرج وكان هناك بدلاً منها مجموعة من الشجيرات. اكتشفت فيما بعد أن الدرجات كانت في ذلك الموضع أصلاً ولكنها في زمن ما نقلت إلى طرف الشرفة. لماذا تم نقلها من موضعها؟ أطالت "**جويندا**" النظر إليها وقد بدأت تدرك مغزى الحديث:

- تعنين أن هذا الموضع...

- لابد أن كان هناك سبب لإجراء هذا التغيير، ولا يبدو أن هناك سببًا معقولاً. وبصراحة تامة وضع الدرجات المؤدية إلى المرج في هذا المكان ضرب من الغباء. إلا أن هذا الطرف من الشرفة مكان هادئ تمامًا، لا يطل عليه من المنزل سوى نافذة واحدة - نافذة حجرة الأطفال بالطابق الأول. ألا تريان أنه إذا أراد أحد أن يدفن جثة فستُقلب التربة ولابد أن يكون هناك سبب لقلبها. وكان السبب هو أنه قد تقرر نقل الدرجات من أمام حجرة الاستقبال إلى نهاية الشرفة. وقد علمت بالفعل من الدكتور "**كينيدي**" أن "**هيلين هاليداي**" وزوجها كانا شديدي الاهتمام بالحديقة. وأنهما كانا يبذلان جهدًا كبيرًا في العناية بها. والبستاني اليومي الذي كانا يستخدمانه كان ينفذ أوامرهما فقط، وإذا حضر ووجد أن مثل هذا التغيير قد بدأ وتم اقتلاع بعض البلاطات فسوف يظن أن آل "**هاليداي**" قد بدؤوا هذا العمل في أثناء غيابه.

ومن المؤكد أنه من الممكن دفن الجثة في أي من هذين الموضعين، لكن يخيل إليّ أننا يمكننا أن نتأكد تماماً من أنها قد دفنت عند نهاية الشرفة وليس أمام النافذة الفرنسية لحجرة الاستقبال. سألت "**جويندا**" :

– لماذا يمكننا أن نتأكد من ذلك؟

– بسبب ما قالته "**ليلي كيمبل**" المسكينة في خطابها – من أنها غيرت رأيها بشأن دفن الجثة بالدرك الأدنى بسبب ما رأته "**لايوني**" عندما أطلت من النافذة. وهذا يوضح الأمر تماماً – أليس كذلك؟ أطلت الفتاة السويسرية من نافذة حجرة الأطفال في وقت ما من الليل ورأت المقبرة تُحفر. وربما تكون قد رأت أيضاً من كان يحفرها.

– ولم تذكر أي شيء للشرطة؟

– يا عزيزتي – لم تكن هناك فكرة عندئذ عن أن جريمة قد حدثت. قيل أن السيدة "**هاليداي**" رحلت بصحبة عشيق – هذا كل ما كان يمكن لـ"**لايوني**" أن تفهمه. وربما لم تتمكن من الحديث بالإنجليزية أيضاً. ولكنها ذكرت لـ "**ليلي**"، ربما ليس في هذا التوقيت لكن فيما بعد، شيئا غريباً كانت قد شاهدته من نافذتها في تلك الليلة وهذا ما أثار اعتقاد "**ليلي**" بأن جريمة قد حدثت. ولكنني لا أشك في أن "**إديث باجيت**" قد وبخت "**ليلي**" على قول هذا الهراء وأن الفتاة السويسرية اقتنعت بوجهة نظرها ولم ترغب في أن تتورط مع الشرطة. يبدو أن الأجانب شديدو الحذر من التورط مع الشرطة وهم في بلد أجنبي – وبذلك عادت إلى "**سويسرا**" ومن المحتمل الا تكون قد فكرت في هذا الموضوع ثانية. قال "**جايلز**" :

– لو كانت على قيد الحياة الآن – ويمكن الوصول إليها... أومأت الآنسة "**ماربل**" قائلة:

– ربما. فسأل "**جايلز**" :

– كيف يمكننا أن نبدأ ذلك؟ فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– الشرطة قادرة على أن تقوم بهذه المهمة بطريقة أفضل.

– سوف يأتي المفتش "**لاست**" إلى هنا صباح غد.

– أعتقد إذن أنه يمكنني أن أخبره بشأن درجات السلم. فسألت "**جويندا**" بنبرة متوترة:

– وعما رأيته – أو أظن أنني رأيته – في الرواق؟

– نعم يا عزيزتي. كنت حكيمة في أنك لم تذكري شيئًا عن ذلك الآن. غاية في الحكمة. ولكنني أرى أن الوقت قد حان. فقال "**جايلز**" بنبرة متأنية:

– خنقت "**هيلين**" في الرواق ثم حملها القاتل إلى الطابق الأعلى ووضعها فوق الفراش. وحضر "**كلفين هاليداي**" مخدرًا بالشراب المحتوي على المادة المخدرة، وحمل بدوره إلى حجرة النوم بالطابق الأعلى. أفاق وظن أنه قد قتلها. لابد أن القاتل كان يراقب المشهد من قرب. عندما ذهب "**كلفين**" إلى الدكتور "**كينيدي**" حمل القاتل الجثة وربما يكون قد أخفاها بين شجيرات الحديقة عند نهاية الشرفة، وانتظر حتى ذهب الجميع إلى الفراش وربما استغرقوا في النوم ثم حفر القبر ودفن الجثة. وهذا ما يعني أنه لابد أن كان هنا يتجول بحرية في المنزل طوال الليل؟ أومأت الآنسة "**ماربل**":

– كان لابد له أن يكون – في موقع الحادث. أتذكر قولك إن هذا ضروري. علينا أن نحدد مَنْ من الثلاثة موضع شكوكنا هو الأكثر اتساقا مع هذه المتطلبات. لنتناول "**إريسكاين**" أولاً. من المؤكد أنه كان في موقع الحادث. باعترافه الشخصي تمشى من الشاطئ إلى هنا بصحبة "**هيلين**" في حوالي الساعة التاسعة. وودعها. لكن هل ودعها فعليًا؟ لنقل بدلاً من ذلك إنه خنقها. فصاحت "**جويندا**":

– لكن العلاقة بينهما كانت قد فُضّت منذ زمن طويل. وقد ذكر بنفسه أنه لم يكن مع "**هيلين**" بمفردهما قط. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– يسرني أن أسمعك تقولين هذا؛ لأنني كنت مهمومة بالطريقة التي بدا كلاكما بها مهيئًا لأن يقبل جميع الأشياء التي قيلت لكما وكأنها حقيقة واقعة، يؤسفني أنني ذات طبيعة غير واثقة بالغير، ولكنني أفرض على نفسي

- وبخاصة فيما يتصل بجرائم القتل - قاعدة ألا أعتبر أي شيء يقال لي حقيقيًا ما لم يتم التأكد من صحته. فمثلاً - يبدو مؤكداً أن "**ليلي كيمبل**" قد ذكرت أن الملابس التي أخذت بداخل حقيبة السفر لم تكن هي الملابس التي كانت "**هيلين هاليداي**" ذاتها من الممكن أن تأخذها، لأنه لم تقل "**إديث باجيت**" لنا أن هذا ما قالته لها "**ليلي**" فقط بل أن "**ليلي**" ذاتها ذكرت ذلك في خطابها إلى الدكتور "**كينيدي**". هذا إذن واقع. كذلك أخبرنا الدكتور "**كينيدي**" بأن "**كلفين هاليداي**" كان يعتقد أن زوجته تدس له المخدر سرًا، و"**كلفين هاليداي**" يؤكد ذلك في مذكراته - وبذلك يكون لدينا واقع آخر - ومن نوعية غريبة جدًا - ألا تريان ذلك؟ على أية حال لن نخوض في هذا الآن. ولكنني أود أن أشير إلى أن عدداً كبيراً من الافتراضات التي توصلتما إليها قائم على أساس ما قيل لكما وربما كان بالقبول ظاهريًا. دقق "**جايلز**" النظر إليها. شربت "**جويندا**" قهوتها وانحنت فوق المنضدة وقد عاد إلى وجهها لونه الطبيعي. قال "**جايلز**":

- لنراجع معًا الآن ما قاله لنا هؤلاء الثلاثة. لنتناول "**إريسكاين**" أولاً. يقول... فقالت "**جويندا**":

- أنت مصر عليه. والحديث عنه مضيعة للوقت لأنه خارج الموضوع حاليًا على نحو مؤكد. فمن المستحيل أن يكون هو الذي قتل "**ليلي كيمبل**". ومع ذلك واصل "**جايلز**" التعبير عن رأيه وكأنه لم يسمع أي اعتراض:

- يقول إنه التقى "**هيلين**" على متن السفينة المتوجهة إلى "**الهند**" وإنهما وقع كل منهما في غرام الآخر، إلا أنه لم يحتمل فراق زوجته وابنيه وأنهما اتفقا على ضرورة الافتراق. لنفترض أن الأمر لم يكن على هذا الوضع تمامًا. ولنفترض أنه قد وقع في غرام "**هيلين**" بشدة وأنها هي التي رفضت الهروب معه. ولنفترض أنه قد هددها بالقتل إذا تزوجت آخر. قالت "**جويندا**":

- غير محتمل ألبتة.

- أشياء كهذه واردة الحدوث. تذكري ما سمعت زوجته تقوله له. أرجعت كل شيء إلى الغيرة وحدها ولكن ربما كان ما قالته حقيقة. وربما أنها قد

عانت معه بسبب النساء – فربما كان مهووسًا بالنساء.

– لا أعتقد ذلك.

– لمجرد أنه جذاب للنساء. أما أنا فاعتقد أن هناك شيئًا ما غريبًا بشأن هذا الرجل. على أية حال دعوني أواصل اتهامي له. تفسخ "**هيلين**" خطبتها لـ"**فين**" وتعود إلى "**إنجلترا**" وتتزوج والدك وتستقر هنا. ثم يظهر "**إريسكاين**" فجأة. يأتي إلى هنا بدعوى قضاء إجازة صيفية مع زوجته وهذا فعل شاذ في الواقع. ويعترف بأنه قد أتى إلى هنا حتى يرى "**هيلين**" ثانية. والآن لنفترض أن "**إريسكاين**" هو الرجل الذي كان بحجرة الاستقبال معها في ذلك اليوم الذي سمعتها "**ليلي**" فيه تقول إنها خائفة منه. "أنا خائفة منك – ودائمًا ما كنت خائفة منك – أعتقد أنك فاقد الصواب". ولأنها خائفة تخطط للذهاب إلى "**نورفولك**" لتعيش هناك ولكنها كانت تتكتم هذه الخطة. لم ترغب في أن يعلم أحد عنها شيئًا – حتى يكون "**إريسكاين**" قد غادر "**دلموث**". هذا متسق حتى الآن. ثم نأتي إلى ليلة الجريمة. ماذا كان "**هاليداي**" وزوجته يفعلان في وقت سابق من ذلك المساء – لا علم لدينا. قالت الآنسة "**ماربل**":

– واقع الأمر أنني قابلت "**إديث باجيت**" مرة ثانية. تذكرت أنهما تناولا العشاء في ساعة مبكرة في تلك الليلة – في السابعة – لأن العقيد "**هاليداي**" كان على موعد لاجتماع في نادي الجولف على حسب ظنها أو اجتماع خاص بالكنيسة. وخرجت السيدة "**هاليداي**" بعد العشاء.

– تمامًا. وتلتقي "**هيلين**" بـ"**إريسكاين**" على الشاطئ ربما بناء على موعد. فهو مغادر "**دلموث**" في اليوم التالي. ربما كان يرفض الرحيل. ويلح على "**هيلين**" للهرب معه. تعود إلى هنا ويأتي معها ثم في نوبة انفعال يخنقها. وما يلي ذلك أصبح متفقًا عليه بيننا. يصاب بحالة من الذعر ويريد لـ "**كلفين هاليداي**" أن يعتقد أنه هو الذي قتلها. يقوم "**إريسكاين**" فيما بعد بدفن الجثة. لابد أنكما تتذكران أنه قد أخبر "**جويندا**" بأنه لم يعد إلى الفندق حتى وقت متأخر جدًا لأنه كان يتجول في "**دلموث**". قالت الآنسة "**ماربل**":

– إنني لأتساءل عما كانت زوجته تفعله. فقالت "**جويندا**" :

– ربما فقدت صوابها غيرة وأذاقته صنوف العذاب عندما عاد أخيراً. قال "**جايلز**" :

– هذا هو الترتيب الذي أراه – وهو ممكن. فقالت "**جويندا**" :

– ولكن من غير الممكن أن يكون هو الذي قتل "**ليلي كيمبل**"؛ لأنه يعيش في "**نورثمبرلاند**". بناء على ذلك ليس اتهامه سوى مضيعة للوقت. لنتناول "**وولتر فين**".

– نعم. "**وولتر فين**" هو النوعية المقهورة. يبدو لطيفًا وظريفًا وسهل الانصياع. ولكن الآنسة "**ماربل**" قد حملت إلينا شهادة قيمة. كاد "**وولتر فين**" ذات مرة أن يقتل أخاه في إحدى نوبات غضبه. وكان طفلاً آنذاك ولكن الواقعة كانت مذهلة لأنه دائمًا ما بدا ذا طبيعة رقيقة متسامحة. على أية حال – يقع "**وولتر فين**" في غرام "**هيلين هاليداي**". لم يقع في غرامها فحسب بل كان مهووسًا بها. رفضته فسافر إلى "**الهند**". ثم كتبت إليه فيما بعد تخبره بأنها ذاهبة إليه لتتزوجه. وتبدأ رحلتها. ثم تأتي الصفعة الثانية. تصل إلى هناك وسرعان ما ترفضه. فقد التقت برجل على متن السفينة. تعود إلى الوطن وتتزوج "**كلفين هاليداي**". من الوارد أن يظن "**وولتر فين**" أن "**كلفين هاليداي**" هو السبب الأصلي وراء رفضها إياه. يكتئب وينمو لديه حقد غيرة جنوني ويعود إلى أرض الوطن. يسلك بأسلوب ودّي متسامح تمامًا ويتردد على هذا المنزل ويبدو مثل هرة أليفة في أرجاء المنزل وصديق وفي. ولكن ربما تتبين "**هيلين**" عدم صدق هذا السلوك. تدرك لمحة مما يجري أسفل السطح. وربما تكون قد استشعرت منذ زمن طويل شيئًا مقلقًا في "**وولتر فين**" ذلك الشاب الهادئ. تقول له: "أعتقد أنني كنت أخاف منك دائمًا". ثم تخطط سرًّا لأن تنتقل من "**دلموث**" وتعيش في "**نورفولك**". لماذا؟ لأنها خائفة من "**وولتر فين**". توقف لحظة ثم استطرد يقول:

– والآن نأتي ثانية إلى ليلة وقوع الجريمة. ولسنا هنا على أرضية موثوق بها تمامًا. فلا علم لدينا بما كان "**وولتر فين**" يفعله في تلك الليلة ولا أرى أي

احتمال لأن نعلم. ولكنه يفي بمتطلب الآنسة "**ماربل**" بأنه كان في "الموقع" إلى حد إقامته بمنزل لا يبعد عن مسرح الأحداث بأكثر من مسيرة ثلاث دقائق. ربما يكون قد أعلن أنه ذاهب إلى الفراش مبكرًا بسبب صداع أو أغلق على نفسه حجرة مكتبه للقيام ببعض الأعمال - أو أي شيء كهذا. كان في وسعه أن يقوم بكل الأفعال التي قررنا أن القاتل قام بها. وأعتقد أنه أكثر الشخصيات الثلاث، التي نحن بصددها، احتمالاً لارتكاب أخطاء الملابس التي وضعت بحقيبة السفر؛ لأنه ليس لديه علم كاف بما ترتديه النساء بحيث يحسن اختيار هذه الملابس. قالت "**جويندا**" :

- من الغريب أنني عندما كنت في مكتبه في ذلك اليوم راودني إحساس بأنه أشبه بمنزل مسدل الستائر... حتى أنني تصورت - أن هناك شخصًا ميتًا بالمنزل. ثم نظرت إلى الآنسة "**ماربل**" وسألت:

- هل يبدو هذا سخيفًا جدًا في تقديرك؟

- لا يا عزيزتي. بل أظن أنك ربما تكونين قد أصبت. وقالت "**جويندا**" :

- والآن لنأت إلى "**أفليك**" . "**أفليك**" للنقل السياحي. "**أفليك**" الذي كان دائمًا ذكيًا وماكرًا إلى حد بعيد. أول شيء ضده هو أن الدكتور "**كينيدي**" يعتقد أنه يعاني جنون اضطهاد مبدئي بمعنى أنه - لم يكن طبيعيًا قط. حدثنا عن نفسه وعن "**هيلين**" - لكن لنتفق الآن على أن كل هذا لم يكن سوى كم من الأكاذيب. لم يعتقد أنها كانت فتاة فطنة فحسب- بل كان واقعا في غرامها بشدة وجنون. ولكنها لم تكن لتحبه. كانت تتسلى بعلاقتها به. كانت متيمة بالرجال على حد تعبير الآنسة "**ماربل**" .

- لا يا عزيزتي. لم أقل هذا. لا شيء من هذا القبيل.

- حسنًا - كانت تعاني الغلمة النسوية[1]، إذا كنت تفضل هذا المصطلح. على أية حال أقامت علاقة بـ "**جاكي أفليك**" ثم أرادت أن تفضّ هذه العلاقة ولم يكن هو راغبًا في ذلك. أنقذها أخوها من هذه الورطة ولكن

---

(1) الغلمة النسوية: مرض شبقي ونَهم جنسي يصيب بعض النساء.

"**جاكي أفليك**" لم يصفح قط ولم ينسَ. فقد وظيفته بسبب مكيدة من تدبير "**وولتر فين**" – طبقًا لقوله وهو ما يوضح علامات على معاناته من جنون الاضطهاد. قال "**جايلز**" موافقًا:

– نعم. ولكن إذا صح هذا القول يكون نقطة أخرى ضد "**فين**" – ونقطة ذات قيمة أيضًا. استطردت "**جويندا**" تقول:

– تسافر "**هيلين**" إلى خارج البلاد ويغادر هو "**دلموث**". ولكنه لا ينساها أبدًا. وعندما تعود إلى "**دلموث**" متزوجة يأتي إلى هنا ليزورها. قال في بادئ الأمر إنه أتى مرة واحدة ولكنه اعترف فيما بعد بأنه أتى أكثر من مرة واحدة. وآه يا "**جايلز**" – ألا تتذكر؟ لقد استخدمت "**إديث باجيت**" عبارة عن الرجل الغامض ذي السيارة الفارهة. من هذا يتضح أن مجيئه قد تكرر بحيث أثار حديث الخدم. ولكن "**هيلين**" حرصت على ألا تدعوه لتناول وجبة – وألا تسمح له بلقاء "**كلفين**". ربما كانت تخاف منه. ربما... قاطعها "**جايلز**" قائلاً:

– قد يتسق هذا مع كلا الجانبين. فلو افترضنا أن "**هيلين**" كانت تحبه – وهو أول رجل أحبته في حياتها ولو افترضنا أنها ظلت تحبه فربما كانت هناك علاقة بينهما ولم تسمح لأي أحد بأن يعرف عنها شيئًا. لكن ربما أراد لها أن تهرب معه وأنها قد ضاقت ذرعًا به بحلول هذا التوقيت ولم ترغب في أن ترحل وبناء على ذلك – قام بقتلها. ذكرت "**ليلي**" في خطابها إلى الدكتور "**كينيدي**" أن كانت هناك سيارة فارهة تقف بالخارج في تلك الليلة. كانت تلك سيارة "**جاكي أفليك**". فقد كان "**جاكي أفليك**" في مسرح الأحداث أيضًا. قال "**جايلز**" مستطردًا:

– إنه مجرد افتراض ولكنه يبدو لي معقولاً. لكن هناك خطابي "**هيلين**" اللذين ينبغي أن يكون لهما موضع في هذه التركيبة. ظللت أكدح ذهني للتفكير في "الظروف" – طبقًا لتعبير الآنسة "**ماربل**" – التي كان من الممكن أن تملي عليها فيها كتابة هذين الخطابين. يبدو لي أننا حتى نتمكن من تفسير هذه الظروف علينا أن نعترف بأنها قد كان لها عاشق بالفعل وأنها

كانت تتوقع أن تهرب معه. سوف نعيد اختبار الاحتمالات الثلاثة. "**إريسكاين**" أولاً. لنقل إنه كان لا يزال على غير استعداد للتخلي عن زوجته أو تدمير بيته ولكن "**هيلين**" قد وافقت على أن تترك "**كلفين هاليداي**" وتذهب إلى مكان ما يمكن لـ "**إريسكاين**" أن يأتي إليه ويكون معها بين الحين والحين. كان أول شيء يجب اتخاذه هو تجريد السيدة "**إريسكاين**" من شكوكها وبناء على ذلك تكتب "**هيلين**" خطابين يصلان إلى أخيها في توقيت مناسب بحيث يبدو الأمر وكأنها قد رحلت إلى خارج البلاد مع شخص ما. وهذا يتسق تماماً مع تكتمها بشأن من يكون ذلك الرجل. سألت "**جويندا**":

– لكن لو كانت ستترك زوجها من أجله فلماذا قتلها؟

– ربما لأنها تراجعت عن قرارها فجأة. رأت أنها تحب زوجها حقًّا. اشتد غضبه فخنقها. وبعد ذلك أخذ حقيبة الملابس واستغل الخطابين. هذا تفسير جيد يغطي كل شيء.

– ومن الممكن أن ينسحب ذات هذا التفسير على "**وولتر فين**". أتصور أن فضيحة كهذه من الممكن أن تدمّر سمعة محام في الريف كلية. ربما تكون "**هيلين**" قد وافقت على أن تذهب إلى مكان ما قريب يمكن لـ "**فين**" زيارتها فيه، على أن تدعي أنها قد سافرت إلى خارج البلاد مع شخص آخر. يتم إعداد الخطابين ثم –كما سبق لك أن اقترحت – تتراجع عن قرارها. ثارت ثائرة "**وولتر**" فقتلها.

– وماذا عن "**جاكي أفليك**"؟

– بالنسبة إليه هناك صعوبة في الاهتداء إلى سبب لكتابة الخطابين. لا أتصور أن الفضيحة ذات أثر فيه. ربما "**هيلين**" كانت خائفة – ليس منه لكن من أبي – ولهذا رأت أنه من الأفضل أن تتظاهر بأنها قد رحلت إلى خارج البلاد أو ربما أن زوجة "**أفليك**" كان لديها المال في ذلك الوقت وكان هو محتاجاً إلى مالها لاستثماره في أعماله. آه. نعم. هناك عدد كبير من الإمكانيات لكتابة هذين الخطابين. سألت "**جويندا**":

– أي من هؤلاء تتصورين يا آنسة "ماربل"؟ لا أعتقد أنه "وولتر فين" بحق لكن... كانت السيدة "كوكر" قد دخلت الحجرة لتأخذ أقداح القهوة. قالت:

– يا سيدتي. لقد نسيت. كل هذا بشأن امرأة مسكينة قتلت وأنت والسيد "ريد" مهتمان بهذا الموضوع وليس هذا مناسبًا لك أبدًا يا سيدتي في الوقت الحالي. حضر السيد "فين" بعد ظهر اليوم وسأل عنك. انتظر مدة نصف ساعة كاملة. بدا معتقداً أنك تتوقعين حضوره. قالت "جويندا":

– كم هذا غريب. في أية ساعة حضر؟

– لابد أن كان ذلك في الساعة الرابعة أو بعدها بقليل. ثم بعد ذلك حضر رجل آخر في سيارة صفراء فارهة. كان متأكداً أنك تتوقعين حضوره. لم يتقبل إخباري إياه بعدم وجودك بالمنزل. انتظر مدة عشرين دقيقة. وهذا دفعني إلى أن أتساءل عما إذا كانت لديك فكرة إقامة حفل شاي ثم نسيت الموضوع. قالت "جويندا":

– هذا غير صحيح. إن هذا لغريب. قال "جايلز":

– لنتصل بـ "فين" هاتفيًّا الآن. لن يكون قد ذهب إلى الفراش. وتصرَّف وفقًا لقوله.

– ألو – هل هذا "فين"؟ "جايلز ريد" معك على الهاتف. علمت أنك حضرت لزيارتنا بعد ظهر اليوم–ماذا؟ – لا – لا. أنا واثق بذلك – لا، كم هذا غريب. نعم. وأنا أيضا أتساءل. ثم أعاد السماعة إلى موضعها.

– نحن أمام أمر غريب. تلقى مكتبه اتصالاً هاتفيًّا صباح اليوم حيث تركت له رسالة بأن يأتي لزيارتنا اليوم – لأمر مهم جداًّ. نظر "جايلز" و"جويندا" كل منهما إلى الآخر. ثم قالت "جويندا":

– اتصل هاتفيًّا بـ "أفليك". توجه "جايلز" إلى هاتف وطلب الرقم. استغرق إتمام الاتصال بعض الوقت:

– السيد "أفليك"؟ "جايلز ريد" معك على الهاتف. لقد كان واضحًا أن سيلاً من الكلام قاطعه على الجانب الآخر. وأخيراً تمكن من أن يقول:

– ولكننا لم نفعل – لا– أؤكد لك – لا شيء من هذا القبيل. نعم – نعم. أعلم أنك رجل كثير المشاغل. لم أكن لأتصور ذلك– نعم لكن اسمعني – من الذي اتصل بك – رجل؟ – لا. أؤكد لك أنه لم يكن أنا. لا – لا. لقد فهمت. حسنا – أتفق معك في ذلك. أمر غريب جداً. أعاد السماعة إلى موضعها وعاد إلى المنضدة. قال:

– حسنا. هذا ما حدث. شخص ما ادَّعى أنه أنا اتصل هاتفيًا بـ "**أفليك**" وطلب منه المجيء إلى هنا – لأمر عاجل – يتصل بمبلغ كبير من المال. نظر كل منهما إلى الآخر. قالت "**جويندا**":

– من الممكن أن يكون من فعل ذلك أيًا منهما. ألا ترى ذلك يا "**جايلز**"؟ من الممكن أن يكون أحدهما قد قتل "**ليلي**" وأتى إلى هنا دفعًا بالغيبة(1) فقالت الآنسة "**ماربل**":

– لا يصلح هذا كدفع بالغيبة يا عزيزتي.

– لا أعني الدفع بالغيبة بالمعني المعروف لكن كمبرر لعدم التواجد بالمكتب. ما أعنيه هو أن أحدهما صادق والآخر كاذب. أحدهما هاتف الآخر وطلب منه المجيء إلى هنا – حتى يلقي بالشك عليه – ولكننا لا نعلم من منهما. موضوع واضح ومحدد بين هذين الرجلين الآن. "**فين**" أم "**أفليك**". أقول إنه "**جاكي أفليك**". فقال "**جايلز**":

– وأقول أنا إنه "**ولتر فين**". نظر كلاهما إلى الآنسة "**ماربل**" التي ما لبثت أن هزت رأسها. قالت:

– هناك احتمال آخر.

– "**إريسكاين**" بالتأكيد. كاد "**جايلز**" أن يتوجه إلى الهاتف عدواً فسألته "**جويندا**":

– ماذا ستفعل؟

– سوف أتصل بـ "**نورثمبرلاند**" عن طريق الترانك.

– "**جايلز**"... من غير الممكن أن تظن...

---

(1) دفع بالغَيبة: ادّعاء المتهم أنه كان في مكان آخر عند وقوع الجريمة.

– لابد لنا من أن نعرف. لو كان هناك فمن غير الممكن أن يكون قد قتل "**ليلي كيمبل**" بعد ظهر اليوم. لا مجال لافتراض استخدام طائرات خاصة أو شيء سخيف من هذا القبيل. انتظروا صامتين حتى سمعوا رنين الهاتف إعلانًا بإتمام الاتصال. التقط "**جايلز**" السماعة.

– لقد طلبتم اتصالاً شخصيًا بالعقيد "**إريسكاين**" . أرجو التحدث، العقيد "**إريسكاين**" ينتظر على الخط. قال "**جايلز**" بعد أن تنحنح بقدر من التوتر:

– "**إريسكاين**"؟ "**جايلز ريد**" معك – نعم. "**ريد**" . ثم رمق "**جويندا**" بنظرة متحيرة وكأنه يقول: ماذا عساي أن أقول الآن؟ نهضت "**جويندا**" وأخذت السماعة من يده.

– العقيد "**إريسكاين**"؟ هذه السيدة "**ريد**" معك على الهاتف. لقد سمعنا عن منزل "**لينسكوت بريك**"– هل هو – أعني هل تعلم عنه شيئًا؟ أعتقد أنه قريب من منزلك. قال صوت "**إريسكاين**" :

– "**لينسكوت بريك**"؟ لا. لا أظن أنني سمعت عنه من قبل. ما هو الكود البريدي له؟ فقالت "**جويندا**" :

– مموّه تمامًا. تعلم كيف تكون المنشورات التي يوزعها الوكلاء. ولكن الإعلان يقول إنه على مسافة أربعة وعشرين كيلومترًا من "**ديث**"؛ لهذا ظننت...

– إنني آسف. لم أسمع عنه. من الذي يسكنه؟

– إنه خال. لكن لا بأس. فقد اهتدينا إلى منزل آخر. آسفة لإزعاجك. أتوقع أنك كنت مشغولاً.

– لا. أبدًا. أنا مشغول منزليًا على الأقل. زوجتي ليست بالبيت والطاهية اضطرت إلى الذهاب إلى والدتها لهذا أضطلع بالأعمال المنزلية العادية. يؤسفني أنني لست ضليعًا في هذا المجال. فأنا أكثر فائدة للحديقة.

– وأنا أيضًا أفضل الأعمال البستانية على المنزلية. أرجو ألا تكون زوجتك مريضة.

– لا . استدعتها شقيقتها وستعود غداً.

– حسنًا. تصبح على خير وأكرر أسفي لإزعاجك. وأعادت السماعة إلى موضعها وقالت بنبرة الانتصار:

– "إريسكاين" خارج الموضوع. زوجته ليست بالبيت ويقوم هو بجميع الأعمال المنزلية. وبهذا ينحصر الأمر بين الاثنين الآخرين. أليس كذلك يا آنسة "ماربل"؟ بدت الآنسة "ماربل" جادة الملامح. قالت:

– لا أعتقد أنكما قد فكرتما في الأمر مليًّا. يا إلهي، كم أنا مهمومة! لو أنني فقط أعرف ما الذي ينبغي أن أفعله...

- 35 -

أمالت "جويندا" مرفقيها على المنضدة واضعة ذقنها فيهما بينما طافت نظراتها باستياء ببقايا وجبة الغداء السريعة. فلابد لها من أن تتعامل معها بأن تحملها إلى المطبخ وتغسل الأواني وتعيد كل شيء إلى موضعه ثم تفكر فيما سوف يقدم كوجبة عشاء فيما بعد. لم يكن هناك داع إلى الإسراع. أحست بأنها محتاجة إلى وقت قصير تستوعب فيه الأمور فقد توالت الأحداث بسرعة مذهلة. عندما راجعت أحداث الفترة الصباحية بدت لها مشوشة ومستحيلة. فقد حدث كل شيء بسرعة هائلة وعلى نحو غير محتمل البتة. كان المفتش "لاست" قد حضر في ساعة مبكرة – في التاسعة والنصف. وكان معه مفتش المباحث "برايمر" من المحافظة ورئيس مباحث المقاطعة. لم يمكث هذا الأخير طويلاً؛ لأن مفتش المباحث "برايمر" هو الذي تولى الآن موضوع مقتل "ليلي كيمبل" وكافة التشعبات الناشئة عنه. كان المفتش "برايمر"، ذو الأسلوب الرقيق المضلل والصوت المهذب الخادع، هو الذي سألها عما إذا كان يضايقها أن يجري رجاله قدراً من الحفر بالحديقة. بدا من نبرة صوته وكأنه يكلف رجاله بالقيام بتدريب رياضي صحي لا بالبحث عن جثة ظلت راقدة هناك مدة ثمانية عشر عامًا. كان "جايلز" قد رفع صوته عندئذ قائلاً:

– أعتقد أنه يمكننا مساعدتكم باقتراح أو اثنين. ثم أخبر المفتش بأمر تحويل الدرجات المؤدية إلى المرج واصطحب المفتش إلى الشرفة بالخارج. كان المفتش قد رفع بصره إلى النافذة ذات القضبان بالطابق الأول عند زاوية المنزل قائلاً:

– لابد أن هذه هي حجرة الأطفال. وأجابه "**جايلز**" بأنها كذلك. عاد المفتش و"**جايلز**" بعد ذلك إلى الداخل وخرج الرجلان حاملين مجرافيهما إلى الحديقة وقال "**جايلز**" قبل أن يبدأ المفتش بطرح الأسئلة:

– أعتقد يا سيادة المفتش أن من الأفضل أن تستمع إلى شيء لم تذكره زوجتي حتى الآن لأي إنسان غيري... وشخص آخر. اتجهت نظرة المفتش الرقيقة الآسرة إلى "**جويندا**" واستقرت عليها. نطقت بقدر من التساؤل. رأت "**جويندا**" أنه ربما كان يسأل نفسه: "هل هذه امرأة من الممكن الاعتماد عليها أم أنها من النوعية التي تتخيل الأمور؟" عمق إحساسها بذلك حتى أنها بدأت تقول بنبرة دفاعية:

– ربما أكون قد تخيلت ذلك. هذا وارد. ولكنه يبدو لي حقيقة مؤكدة. قال المفتش "**برايمر**" بنبرة خافتة مهدئة:

– حسنا يا سيدة "**ريد**". أخبريني بما تريدين. وشرحت "**جويندا**" له كل شيء. كيف بدا المنزل مألوفًا لها عندما رأته أول مرة، وكيف علمت فيما بعد أنها قد عاشت فيه وهي طفلة صغيرة وكيف تذكرت ورق حائط حجرة الأطفال والباب ما بين الحجرتين وإحساسها بضرورة أن تكون هناك درجات تؤدي إلى المرج. أومأ المفتش "**برايمر**". لم يذكر أن ذكريات "**جويندا**" الطفولية لا أهمية كبيرة لها ولكن "**جويندا**" تساءلت عما إذا كان هذا هو رأيه. تشجعت وهي تروي له الجزئية الأخيرة وكيف أنها تذكرت فجأة وهي جالسة في المسرح أنها قد نظرت من خلال الدرابزين في "**جانب التل**" ورأت جثة امرأة في الرواق – وجهها أزرق، مخنوقة، وشعرها ذهبي – وكانت هي "**هيلين**" – ولكن الأمر بدا سخيفًا لأنني لم أكن أعلم قط من كانت "**هيلين**" هذه. بدأ "**جايلز**" يقول:

– نعتقد أن... ولكن المفتش "**برايمر**" رفع يدًا بسلطة غير متوقعه ليمنعه

من مواصلة الحديث، وقال:

– أرجوك أن تترك السيدة "ريد" تخبرني بما تريد بأسلوبها الخاص.
وواصلت "جويندا" روايتها متعثرة بعض الشيء ووجهها ممتقع والمفتش يشجعها على مواصلة الحديث مستخدمًا براعة التعبير عن أن ربما "جويندا" لم تكن على مستوى استحسان الأداء الفني الراقي. قال مخمنًا:

– رواية "وبستر"؟ آه" دوقة مالفي". مخالب قرد؟ فقال "جايلز":

– لكن ربما كان هذا ما رأته في حلم مزعج.

– أرجوك يا سيد "ريد". فقالت "جويندا":

– ربما كان كل هذا حلمًا مزعجًا. فقال المفتش "برايمر":

– لا. لا أظن ذلك. سيكون من الصعب تبرير قتل "ليلي كيمبل" ما لم تكن امرأة قد قتلت في هذا المنزل. بدا هذا القول معقولاً تمامًا بل ومريحًا بحيث أسرعت "جويندا" تقول:

– ولم يكن والدي هو الذي قتلها. لم يكن هو. حتى الدكتور "بنروز" ذكر أنه ليس من هذه النوعية وأنه لم يكن من الممكن له أن يقتل أي إنسان. والدكتور "كينيدي" أيضًا كان واثقًا تمامًا بأنه لم يقترف هذه الجريمة ولكنه ظل يعتقد فقط أنه ارتكبها. بهذا يتضح أن من فعلها أراد لها أن تبدو وكأن والدي هو الذي فعلها، ونعتقد أننا نعلم من هو... إنه أحد اثنين على الأقل. فقال "جايلز":

– "جويندا"، لا يمكننا بحق... فقال المفتش:

– إنني لأتساءل يا سيد "ريد" عما إذا كان لا يضايقك أن تذهب إلى الحديقة وتباشر عمل الرجلين. أخبرهما بأنني أنا الذي كلفتك بذلك. أغلق النافذة الفرنسية خلف "جايلز" وأقفلها ثم عاد إلى "جويندا":

– أخبريني الآن بكل ما لديك من أفكار يا سيدة "ريد". ولا تهتمي إذا كانت غير متسقة بعض الشيء. وأخبرته "جويندا" بكل التصورات والأفكار التي توصلت إليها هي و"جايلز" والخطوات التي اتخذاها للتوصل إلى كل ما يمكنهما من معلومات عن الرجال الثلاثة الذين كان لهم ظهور في حياة

"**هيلين هاليداي**"، وما انتهيا إليه من استنتاجات - وكيف أن "**وولتر فين**" و"**جاكي أفليك**" تلقيا اتصالاً هاتفيًا، بزعم أنه من "**جايلز**"، واستدعيا بناء عليه إلى "**جانب التل**" بعد ظهر اليوم السابق.

- لكن ألا ترى يا سيادة المفتش أن أحدهما قد لا يكون صادقًا؟ فقال المفتش بصوت رقيق مشوب بالتعب:

- هذه هي إحدى الصعاب الرئيسية التي تواجهني في عملي. يجنح كثيرون إلى الكذب عادة... بينما قد يكذب آخرون أحيانًا... وإن لم يكن للأسباب التي تتصورينها. وبعض الناس لا يدركون حتى أنهم يكذبون. سألت "**جويندا**" بنبرة تخوف:

- هل تظن أنني واحدة من هؤلاء؟ ابتسم المفتش قائلاً:

- أعتقد أنك شاهدة صادقة إلى أبعد الحدود يا سيدة "**ريد**".

- وتظن أنني مصيبة بشأن من قتلها؟ تنهد المفتش ثم قال:

- ليس للظن محل في عملنا. الموضوع يتعلق بالتحقيق. أين كان كل واحد منهم وأي تبرير يقدمه عن تحركاته؟ نعلم بدقة كافية، تصل إلى عشر دقائق أو نحو ذلك، متى قتلت "**ليلي كيمبل**". فيما بين الثانية والثلث والثالثة إلا ربعًا. كان من الممكن لأي أحد أن يقتلها ثم يأتي إلى هنا بعد ظهر أمس. وأنا شخصيًا لا أرى أي سبب لتلك الاتصالات الهاتفية؛ فهي لا تعطي أيًا من الشخصين اللذين ذكرتهما دفعًا بالغيبة عن زمن وقوع الجريمة.

- لكنكم سوف تعرفون ماذا كانا يفعلان في ذلك التوقيت، ما بين الثانية والثلث والثالثة إلا ربعًا - أليس كذلك؟ سوف تستجوبونهما. ابتسم المفتش "**برايمر**":

- سوف نطرح عليهم جميع الأسئلة اللازمة يا سيدة "**ريد**". لك أن تتأكدي من ذلك. كل شيء في حينه. لا جدوى من الاستعجال وعليك أن تتطلعي إلى المستقبل. راود "**جويندا**" تصور مفاجئ بالتأني والعمل الهادئ الخالي من الحمية. عدم التعجل والخلو من الرحمة... قالت:

- فهمت... نعم؛ لأنك محترف بينما أنا و"**جايلز**" هاويان. قد يمكننا

إصابة هدف ما - لكن لا نعرف كيفية متابعته حتى النهاية.

- شيء من هذا القبيل يا سيدة "**ريد**". ابتسم المفتش ثانية. نهض وفتح النافذة الفرنسية. وعندما كان موشكًا على أن يخطو إلى خارجها توقف فجأة. سأل:

- معذرة يا سيدة "**ريد**". هذه السيدة أليست الآنسة "**جين ماربل**" بالتأكيد؟ كانت "**جويندا**" قد أتت ووقفت بجواره. عند قاع الحديقة كانت الآنسة "**ماربل**" لا تزال تشن حربًا خاسرة على اللبلاب.

- نعم. إنها الآنسة "**ماربل**". تبذل جهدًا مضنيًا لتساعدنا في العناية بالحديقة. فقال المفتش:

- الآنسة "**ماربل**" - لقد فهمت الكثير. رمقته "**جويندا**" بنظرات الاستفسار قائلة:

- إنها شخصية عزيزة. فقال:

- الآنسة "**ماربل**" سيدة واسعة الشهرة. في جيبها كبار رجال شرطة ثلاث مقاطعات على الأقل. لم تضع رئيسي في جيبها بعد ولكنني واثق بأن هذا على الطريق. للآنسة "**ماربل**" بصمة في الموضوع إذن. فقالت "**جويندا**":

- لقد ساعدتنا بتقديم عدد كبير من التوجيهات والاقتراحات. فقال المفتش:

- أراهن على ذلك. هل هي التي اقترحت موضع البحث عن جثة السيدة "**هاليداي**"؟

- قالت إن "**جايلز**" وأنا ينبغي أن نكون على علم تام بالموضع الذي يتعين البحث فيه. وبدا حماقة منا أننا لم نفكر فيه من قبل. ضحك المفتش بصوت خافت ونزل ليقف بجوار الآنسة "**ماربل**".

- لا أظن أننا قد تعارفنا من قبل يا آنسة "**ماربل**". ولكن العقيد "**ميلروز**" أشار إليك لي ذات مرة. نهضت الآنسة "**ماربل**" متوردة الوجه وممسكة بقدر من فروع النبات المتسلق.

- آه. نعم. عزيزي العقيد "**ميلروز**". دائمًا ما أظهر نحوي كرمًا بالغًا. منذ...

– منذ أن أطلق النار على خادم الكنيسة بمكتب الكاهن. منذ زمن طويل الآن. ولكن لك عدد من النجاحات الأخرى منذ ذلك الحين. مشكلة القلم المسمم التي كانت بالقرب من "**ليمستوك**".

– يبدو أنك تعرف الكثير عني يا سيادة المفتش.

– اسمي "**برايمر**". وأرى أنك كنت مشغولة هنا.

– حسنا. أحاول أن أفعل ما يمكنني بالحديقة. فقد أهملت بدرجة تدعو إلى الأسف. هذا اللبلاب مثلاً نبات مؤذ تمتد جذوره إلى عمق كبير في الأرض وتفترش تحت سطح التربة. فقال المفتش:

– أرى أنك محقة في ذلك. إلى عمق بعيد. وإلى زمن طويل سابق...أعني هذه الجريمة... مدة ثمانية عشر عامًا. فقالت الآنسة "**ماربل**":

– وربما قبل ذلك. يمتد تحت الأرض... وهو ضار جدًا يسلب الزهور النامية الجميلة الحياة... تلتف جذوره عليها وتخنقها.. أتى أحد رجال الشرطة على الممر يتصبب عرقًا وعلى جبينه آثار تراب. قال:

– لقد وصلنا إلى شيء ما يا سيدي. يبدو أنها هي.

- 36 -

وكان عندئذ أن رأت "**جويندا**" أن ذعر اليوم قد بدأ. دخل "**جايلز**" شاحب الوجه ليقول:

– إنها هي – هناك يا "**جويندا**". كان أحد رجال الشرطة قد أجرى اتصالاً هاتفيًا فحضر بناء عليه أحد الأطباء الشرعيين. وفي تلك اللحظة خرجت السيدة "**كوكر**" إلى الحديقة، لا بدافع فضول مقلق كما هو متوقع بل لتحصل على قدر من التوابل الخضراء كي تستخدمها في إعداد طعام الغداء. كانت ردة فعل السيدة "**كوكر**" في اليوم السابق على خبر ارتكاب الجريمة صدمة وقلقًا من وقع هذه الظروف على صحة "**جويندا**"، خاصة أنها كانت تتوقع أن تشغل حجرة الأطفال بعد انقضاء عدد معين من الأشهر. عندما اصطدمت بما كشف عنه الحفر أصيبت بذعر شديد:

– شيء بشع يا سيدتي. العظام الآدمية شيء لا أحتمل رؤيته. فما بالك بهيكل عظمي راقد هنا في الحديقة بجوار حوض النعناع. قلبي يخفق بشدة – هذا الوجيب – أكاد لا أستطيع التنفس. ولو سمحت لي – أريد قدراً من البراندي يساعدني على الاحتمال... اضطربت "**جويندا**" لرؤية شحوب وجه السيدة "**كوكر**" ولهاثها. أسرعت بإحضار قدر من البراندي لها. فقالت:

– هذا ما كنت محتاجة إليه يا سيدتي. وعندئذ وعلى نحو مفاجئ خفت صوت المرأة وبدت بحالة صحية سيئة جداً فصرخت "**جويندا**" مستغيثة بـ"**جايلز**" الذي صاح بدوره مناديًا الطبيب الشرعي الذي ما لبث أن قال:

– لحسن الحظ أنني متواجد هنا. كانت هذه المرأة موشكة على فراق الحياة. دون طبيب كانت ستموت في التو واللحظة. أخذ المفتش "**برايمر**" زجاجة البراندي عندئذ وبدأ يتشاور مع الطبيب بشأنها. سأل "**جويندا**" عن آخر مرة تناولت هي أو "**جايلز**" من هذه الزجاجة. فقالت "**جويندا**" إنها تظن أنهما لم يقتربا منها منذ بضعة أيام؛ لأنهما كانا غائبين عن البيت – حيث كانا في شمال البلاد. وفي المرات الأخيرة القليلة التي تناولا فيها مشروبًا كان شيئا آخر. ثم قالت:

– لكنني كدت أتناول بعض البراندي بالأمس. لكنني لم أتقبله ففتح "**جايلز**" زجاجة ويسكي جديدة.

– كان هذا من دواعي حسن حظك يا سيدة "**ريد**"؛ لأنك لو كنت قد شربت البراندي بالأمس ما كنت على قيد الحياة اليوم.

– ربما "**جايلز**" ذاقها – ولكنه شرب معي ويسكي بعد ذلك. اقشعر بدن "**جويندا**". حتى في هذه اللحظة وبعدما أصبحت بمفردها في المنزل، إذ كان رجال الشرطة قد رحلوا ومعهم "**جايلز**" بعد وجبة غداء سريعة استخدمت فيها المعلبات لأن السيدة "**كوكر**" كانت قد نقلت إلى المستشفى، كادت "**جويندا**" ألا تصدق الأحداث التي تواردت في ذلك الصباح. شيء واحد ظل واضحًا أمامها – مجيء "**جاكي أفليك**" و"**وولتر فين**" إلى المنزل أمس. أحدهما عبث بزجاجة البراندي، وماذا كان الهدف من الاتصالين الهاتفيين ما

لم يكن هو إتاحة الفرصة للواحد منهما أو الآخر لوضع السم بزجاجة البراندي؟ كانت "**جويندا**" و"**جايلز**" يقتربان من الحقيقة بدرجة كبيرة. أم أن شخصًا ثالثًا قد حضر من الخارج وربما دخل من نافذة حجرة المائدة الفرنسية المفتوحة بينما كانت هي و"**جايلز**" جالسين بمنزل الدكتور "**كينيدي**" في انتظار وفاء السيدة "**ليلي كيمبل**" بموعدها؟ شخص ثالث رتب لإتمام الاتصالين الهاتفيين ليحول أصابع الشك إلى الاثنين الآخرين؟ لكن لم يبد وجود شخص ثالث معقولاً في تقدير "**جويندا**"؛ لأن الشخص الثالث كان سيتصل بأحد هذين الرجلين فقط. الشخص الثالث كان سيريد رجلاً واحداً تتجه إليه الشكوك وليس رجلين. وفي جميع الحالات مَنْ من الممكن أن يكون ذلك الشخص الثالث؟ تأكد أن "**إريسكاين**" كان في "**نورثمبرلاند**". لا. إما أن "**وولتر فين**" اتصل بـ"**أفليك**" هاتفيًا وادَّعى أنه تلقى اتصالاً هاتفيًا، وإما أن "**أفليك**" هو الذي اتصل بـ"**فين**" وادَّعى أنه تلقى اتصالاً هاتفيًا. أحد هذين الرجلين، والشرطة الأكثر خبرة وموارد منها ومن "**جايلز**" كفيلة بأن تكتشف من منهما فعل ذلك. وسوف تتم مراقبة كليهما في تلك الأثناء. ولن يتمكنا من تنفيذ محاولة أخرى.

اقشعر بدن "**جويندا**" مرة أخرى. تطلبت معرفة أن شخصًا ما يحاول الاعتداء على حياتها قدراً من الاعتياد. كانت الآنسة "**ماربل**" قد حذرت منذ فترة طويلة من خطورة الخوض في هذا الموضوع ولكنها و"**جايلز**" لم يأخذا فكرة هذا الخطر بالجد الواجب. حتى بعد مقتل "**ليلي كيمبل**" لم يخطر ببالها أن يحاول أحد قتلها هي و"**جايلز**". كل ذلك بسبب أنها و"**جايلز**" كانا يقتربان من حقيقة ما حدث منذ ثمانية عشر عامًا، يومًا بعد يوم. يضعان تصوراً لما لابد أنه حدث آنذاك – ولمن جعله يحدث. "**وولتر فين**" و"**جاكي أفليك**"..

– أيهما؟ أغمضت "**جويندا**" عينيها، رأتهما من جديد في ضوء هذه الخبرة الجديدة. "**وولتر فين**" الرجل الهادئ جالس بحجرة مكتبه – مثل العنكبوت الباهت وسط خيوطه. تام الهدوء ويُظهر عدم القدرة على الإيذاء.

منزل مسدل الستائر. شخص ميت بالمنزل. رجل ميت منذ ثمانية عشر عامًا – ولكنه لا يزال قابعًا هناك. كم يبدو "**وولتر فين**" شريرًا الآن. "**وولتر فين**" الذي انقضَّ على شقيقه ليقتله ذات مرة. "**وولتر فين**" الذي رفضت "**هيلين**" الزواج به محتقرة إياه مرتين: إحداهما هنا والأخرى في "**الهند**". صدٌّ مضاعف. خزي مضاعف. "**وولتر فين**" الهادئ جدًا والمجرد من المشاعر تمامًا – ربما لا يمكنه التعبير عما بداخله إلا بالعنف القاتل المفاجئ. فتحت "**جويندا**" عينيها. أقنعت نفسها بأن "**وولتر فين**" هو الرجل المعني. أصبح من الممكن أن تفكر في "**أفليك**" لكن بعينين مفتوحتين لا مغمضتين. حلته ذات التربيعات الصارخة وأسلوبه المسيطر – على العكس من "**وولتر فين**" تمامًا – لا شيء مكبوح أو صامت بشأن "**أفليك**". ولكنه ربما تبين هذا الأسلوب بدافع من عقدة نقص. هذا ما يقوله الخبراء. إذا لم تكن واثقًا بنفسك فعليك بالتباهي وإثبات الذات والغطرسة. رفضته "**هيلين**" لأنه كان دون مستواها. لم ينس وقع الجرح عليه. أصر على أن ينجح في الحياة وهو يعاني الإحساس بالاضطهاد وبأن الجميع متخذون موقفًا عدائيًا منه. فصل من عمله بسبب اتهام زائف دبره له أحد الأعداء. من المؤكد أن هذه الظروف أظهرت أن "**أفليك**" لم يكن طبيعيًا. وأي إحساس بالقدرة يمكن لرجل كهذا أن يناله من جريمة قتل. وجهه المرح الطيب لم يكن سوى وجه قاس في الواقع. فهو رجل قاس – وزوجته الشاحبة النحيلة تعلم هذا جيدًا وتخاف منه. كانت "**ليلي كيمبل**" قد هددته وقتلت "**ليلي كيمبل**". تدخلت "**جويندا**" و"**جايلز**" في الموضوع – لابد إذن من أن تموت "**جويندا**" و"**جايلز**" أيضًا وبذلك يمكنه أن يورط "**وولتر فين**" الذي طرده من عمله منذ زمن طويل. هذا متسق معًا تمامًا. أفاقت "**جويندا**" من تصوراتها وعادت إلى الواقعية. سوف يعود "**جايلز**" إلى البيت ويطلب أن يتناول الشاي. ينبغي عليها أن تنظف كل شيء وتغسل الأدوات التي استخدمت في وجبة الغداء. أحضرت صينية حملت عليها الأشياء إلى المطبخ. كان كل شيء بالمطبخ مرتبًا ونظيفًا فالسيدة "**كوكر**" كنز حقيقي. كان بجوار حوض المطبخ قفاز مطاطي

جراحي. دائمًا ما ارتدت السيدة "**كوكر**" قفازًا عند غسل الأشياء. كانت ابنة أخيها العاملة بأحد المستشفيات تشتري لها هذه القفازات بثمن مخفض.

ارتدت "**جويندا**" القفاز وبدأت تغسل الأطباق. رأت أن تحافظ على جمال يديها. غسلت الأطباق ووضعتها في أماكنها ثم غسلت الأشياء الأخرى وجففتها وأعادت كل شيء إلى الموضع المخصص له. ثم، وإذ كانت لا تزال مستغرقة في التفكير، صعدت إلى الطابق الأعلى. رأت أن تغسل أيضًا بعض الجوارب والملابس الخفيفة؛ لذلك احتفظت بالقفاز في يديها. كانت هذه الأشياء في مقدم ذهنها لكن في موضع ما، أسفلها، كان هناك شيء ما يلح عليها. كانت قد قالت: "**وولتر فين**" أو "**جاكي أفليك**". واحد منهما أو الآخر. وكانت قد أعدت اتهامًا جيدًا ضد كل منهما. ربما هذا ما كان يزعجها؛ لأنه من الأفضل، تحديدًا، أن يمكنها إعداد اتهام جيد ضد واحد منهما. ينبغي أن تكون قد تأكدت بحلول هذا التوقيت أيهما هو المعني. ولم تتأكد "**جويندا**".. لو أنه فقط كان هناك شخص آخر... لكن لم يكن من الممكن أن يكون هناك أي شخص آخر؛ لأن "**ريتشارد إريسكاين**" كان خارج دائرة الاتهام؛ لأنه كان في "**نورثمبرلاند**" عندما قتلت "**ليلي كيمبل**" وعندما تم تسميم البراندي بالزجاجة. نعم، "**ريتشارد إريسكاين**" خارج دائرة الاتهام تأكيدًا.

أسعدها ذلك لأنها كانت معجبة بـ "**ريتشارد إريسكاين**"؛ فقد كان جذابًا- جذابًا إلى حد بعيد. كم من المؤسف أن يكون زوجًا لتلك المرأة الشبيهة بكتلة صوّانية، ذات العينين المرتابتين والصوت الخشن العميق الأقرب شبهًا بأصوات الرجال... لها صوت رجل... لاحت بذهنها فكرة أوقعت بنفسها الشك... هل من الممكن أن تكون السيدة "**إريسكاين**"، وليس زوجها، هي التي أجابت "**جايلز**" على الهاتف في الليلة الماضية؟

لا - لا. ليس الأمر كذلك بالتأكيد. كانت هي و"**جايلز**" سيعرفان. وعلى أية حال - وبادئ ذي بدء ما كانت لدى السيدة "**إريسكاين**" فكرة عمن

كان يتصل هاتفيًا. لا. من المؤكد أن "**إريسكاين**" هو من تحدث وأن زوجته كانت غائبة عن البيت. كانت زوجته غائبة عن البيت...

لا- بكل تأكيد. فهذا مستحيل... هل كانت السيدة "**إريسكاين**" هي المعنية وقد أفقدتها الغيرة صوابها؟ وأن السيدة "**إريسكاين**" هي التي كتبت "**ليلي كيمبل**" إليها؟ هل كان من رأته "**لايوني**" في الحديقة في تلك الليلة عندما أطلت من النافذة - امرأة؟ سمعت صوتًا مدويا بالرواق من أسفل. فقد دخل شخص ما من الباب الخارجي. خرجت "**جويندا**" من الحمام إلى بسطة السلم ونظرت من فوق الدرابزين. أحست بارتياح شديد عندما رأت أن القادم هو الدكتور "**كينيدي**". صاحت من فوق:

- أنا هنا. كانت يداها ممدودتين أمامها - مبتلتين لامعتين بلون رمادي غريب ضارب إلى الوردي - ذكرتاها بشيء ما... رفع "**كينيدي**" بصره نحوها مظللاً عينيه.

- هل هذا أنت يا "**جويندا**"؟ لا أستطيع رؤية وجهك... عيناي مبهورتان - صرخت "**جويندا**" عندئذ... قالت لاهثة إذ نظرت إلى مخالب القرد الملساء تلك وسمعت ذلك الصوت في الرواق:

- كان ذلك أنت... أنت الذي قتلتها... قتلت "**هيلين**"... أصبحت أعرف الآن. إنه كان أنت... أنت القاتل طوال الوقت. صعد الدرج متوجهًا نحوها ببطء شديد رافعًا بصره إليها. قال:

- لماذا لم تتركيني وشأني؟ لماذا هذا العبث؟ لماذا صممت على إعادتها ثانية؟ في الوقت الذي كنت قد بدأت فيه أنسى... أنسى.. أعدتها ثانية - "**هيلين**" "**هيلين**" حبيبتي. أثرت كل شيء من جديد. كان لابد لي من أن أقتل "**ليلي**" - والآن لابد لي من أن أقتلك. كما قتلت "**هيلين**".... نعم. كما قتلت "**هيلين**".... كان قد اقترب منها جدًا الآن - ويداه ممتدتان نحوها - تحاولان القبض على حنجرتها. كان ذلك الوجه المستفسر الحاني - ذلك الوجه المسن العادي الظريف - لا يزال على ما هو عليه - باستثناء العينين - فقد كانتا في حالة من الجنون. تراجعت "**جويندا**" ببطء من أمامه

وقد اختنقت الصرخة في حلقها. كانت قد صرخت مرة ولم تستطع أن تصرخ ثانية. وحتى لو صرخت فلن يسمعها أحد. لأنه لم يكن بالمنزل أحد: لا "**جايلز**" ولا السيدة "**كوكر**" ولا كانت الآنسة "**ماربل**" بالحديقة. لا أحد؛ وكان المنزل المجاور بعيداً بحيث لا يسمعها أحد به إذا صرخت. وعلى أية حال لم يمكنها أن تصرخ... لأنها كانت خائفة إلى حد لا يمكنها معه أن تصرخ. كانت خائفة من تلكما اليدين البشعتين اللتين امتدتا نحوها.... فارق شفتيها أنين خافت مكبوح... وفجأة توقف الدكتور "**كينيدي**" والتف حول نفسه عندما أصابه دفق ماء وصابون بين عينيه. لهث طارفاً بعينيه واتجهت يداه إلى وجهه. سمعت "**جويندا**" صوت الآنسة "**ماربل**" يقول لاهثاً على أثر صعودها الدرج الخلفي عدواً بعنف:

– لحسن الحظ أنني كنت أستخدم المحقنة والماء والصابون في غسل الذبابة الخضراء من على أوراق الورد.

- 37 -

قالت الآنسة "**ماربل**":

– يا عزيزتي "**جويندا**" لم أحلم قط بأن أمضي من هنا وأتركك بمفردك في المنزل. فأنا أعلم أن هناك رجلاً بالغ الخطورة مطلق السراح وكنت أراقب الموقف من الحديقة خلسة. فسألتها "**جويندا**":

– هل كنت تعلمين طوال الوقت أنه هو الجاني؟ كان ثلاثتهم – الآنسة "**ماربل**" و"**جويندا**" و"**جايلز**" – جالسين بشرفة فندق "**إمبريال**" في "**توركويني**". كانت الآنسة "**ماربل**" قد اقترحت أن تغيير المشهد هو أفضل ما يفيد "**جويندا**" ووافق "**جايلز**" على رأيها وكذلك المفتش "**برايمر**" فتوجه الجميع بالسيارة إلى "**توركويني**" بناء على ذلك. أجابت الآنسة "**ماربل**" عن استفسار "**جويندا**" بقولها:

– حسناً. بدا أن هناك إشارات إليه يا عزيزتي. على الرغم من أنه – لسوء الحظ – لم يكن هناك أي شيء من قبيل الدليل ضده. مجرد مؤشرات ولا

شيء أكثر. رمقها "**جايلز**" بنظرات الفضول قائلاً:

– لكن لا يمكنني حتى أن أرى أية إشارات.

– يا عزيزي "**جايلز**"... فكرٌ قليلاً. كان في مسرح الأحداث بادئ ذي بدء.

– في مسرح الأحداث؟

– بالتأكيد. عندما ذهب "**كلفين**" إليه في تلك الليلة كان قد عاد من المستشفى توًا. والمستشفى في ذلك الوقت – طبقًا لما قاله لنا عدد من الأشخاص – كان ملاصقًا لـ "**جانب التل**" تمامًا أو لـ "**سانت كاثرين**" كما كان اسم المنزل آنذاك. وهذا، كما ترى، يوجده في المكان الصحيح في التوقيت المناسب. ثم كان هناك ما يزيد على مائة من الوقائع الصغيرة المهمة. أخبرت "**هيلين هاليداي**" "**ريتشارد إريسكاين**" بأنها قد قررت السفر لتتزوج "**وولتر فين**" لأنها لم تكن سعيدة بالبيت. أي أن حياتها مع أخيها لم تكفل لها السعادة. ومع ذلك كان أخوها شديد الاهتمام بها طبقًا لشهادة الجميع. لماذا إذن لم تكن سعيدة؟ كذلك أخبرك السيد "**أفليك**" بأنه كان مشفقًا على الطفلة المسكينة. أرى أنه كان صادقًا تمامًا في قوله هذا. كان مشفقًا عليها. لماذا اضطرت إلى الذهاب ومقابلة "**أفليك**" بهذه الطريقة السرية؟ واضح أنها لم تكن متيمة بحبه. هل كان ذلك راجعًا إلى أنه لم يكن يمكنها مقابلة شبان بالطريقة السوية المعتادة؟ كان أخوها صارمًا وتقليديًا. ألا يذكرنا هذا بالسيد "**باريت**" بشارع "**ويمبول**"؟ ارتعشت "**جويندا**" قائلة:

– كان مجنونًا. مجنونًا. وقالت الآنسة "**ماربل**":

– نعم. لم يكن سويًا. أحب أخته غير الشقيقة بشدة وتحولت عاطفته نحوها إلى استئثار وضرر. هذه النوعية من العلاقات تتكرر بأكثر مما تتصورانه. هناك آباء يرفضون أن تتزوج بناتهم أو حتى تلتقي بشبان. هؤلاء من أمثال السيد "**باريت**". اتجه تفكيري إلى ذلك عندما سمعت بواقعة شبكة التنس.

– شبكة التنس"؟

– نعم. بدت لي هذه الواقعة ذات مغزى واضح. تصور هذه الفتاة العائدة إلى البيت من مدرستها شغوفة بكل ما تريده أية فتاة من الحياة، تواقة إلى لقاء شبان – واللهو معهم.

– مهووسة بالجنس قليلاً. فقالت الآنسة "**ماربل**" بقدر من التأكيد:

– لا. هذا أحد أسوأ الأمور فيما يتصل بهذه الجريمة. فلم يقتلها الدكتور "**كينيدي**" جسديًا وحسب. لو عدتما بتفكيركما إلى الوراء بعناية فسوف تريان أن الدليل الوحيد على أن "**هيلين كينيدي**" كانت مهووسة بالرجال، أو تعاني غلمة نسوية حسب تعبيرك، مصدره هو الدكتور "**كينيدي**" ذاته. أما أنا فأعتقد أنها كانت فتاة سوية تمامًا، تريد أن تلهو وتستمتع بوقتها ثم تستقر أخيرًا في كنف الرجل الذي تختاره ولا شيء أكثر من هذا. لكن إذا تأملنا الخطوات والتدابير التي اتخذها أخوها نجد أنه كان – بادئ ذي بدء – صارمًا وتقليديًا فيما يتصل بالسماح لها بالحرية. ثم عندما أرادت إقامة مباريات في التنس – وهي رغبة عادية تمامًا ولا ضرر منها – تظاهر بالموافقة ثم قام بتمزيق الشبكة إلى شرائط في إحدى الليالي. وهو فعل سادي واضح. ثم، وحيث كان لا يزال يمكنها الخروج للعب التنس أو حضور حفلات الرقص، استغل فرصة قدوم مصاب بسحجات كان يتولى علاجه ليلوثه بحيث لا يستجيب للعلاج. نعم. أعتقد أنه فعل ذلك... بل إنني متأكدة منه في الواقع. صمتت الآنسة "**ماربل**" قليلاً ثم استطردت تقول:

– لعلمكما الخاص – لا أعتقد أن "**هيلين**" فهمت أي شيء من كل هذا. كانت تعرف أن أخاها يكن لها عاطفة قوية ولكنني لا أعتقد أنها كانت تعرف سببًا لإحساسها بعدم الارتياح وبالتعاسة في البيت. على الرغم من أن هذا كان إحساسها فعلاً. وبناء على ذلك قررت في النهاية أن تسافر إلى "**الهند**" وتتزوج "**فين**" الشاب لا لسبب إلا لتبتعد. لتبتعد من ماذا؟ لم تعلم. كانت من صغر السن والبراءة بحيث لم تعرف. بناء على ذلك سافرت إلى "**الهند**" وفي طريقها إلى هناك التقت بـ "**ريتشارد إريسكاين**" ووقعت في غرامه. وهنا أيضًا لم تتصرف كفتاة مهووسة بالجنس بل كفتاة محترمة

مهذبة. لم تلح عليه بأن يهجر زوجته، بل ألحت عليه بألا يفعل ذلك. لكن عندما رأت "وولتر فين" علمت أنه لا يمكنها أن تتزوجه، ولأنها لم تعرف ماذا غير ذلك يمكنها أن تفعله، أبرقت إلى أخيها طالبة مالاً يمكنها من العودة إلى الوطن. وفي طريق عودتها التقت بوالدك – وأطلت عليها وسيلة أخرى للهرب، كانت في طياتها في هذه المرة توقعات لسعادة وهناء. لم تتزوج والدك بدعاوى زائفة يا "جويندا". كان يتعافى من وفاة زوجة عزيزة جداً وكانت هي تتجاوز علاقة عاطفية لم يقدر لها الحياة. كان في وسع كل منهما أن يساعد الآخر. أعتقد كان هناك مغزى لأن تتزوج "**كلفين هاليداي**" في "**لندن**" ثم تأتي إلى "**دلموث**"؛ لتعلن الدكتور "**كينيدي**" بزواجها. لابد أنها كان لها نوع من الحدس بأن إتمام الزواج بهذه الصورة كان أكثر حكمة من إتمامه في "**دلموث**" وهو الإجراء المتبع في الظروف الطبيعية. مازلت مقتنعة بأنها لم تعرف ما كانت بصدده – ولكنها كانت في حالة عدم ارتياح وأحست بأنها أكثر أمانًا في إخطار أخيها بالزواج كأمر واقع. استطردت تقول بعد لحظة صمت:

– كان "**كلفين هاليداي**" يحب "**كينيدي**" وكان ودوداً جداً معه. يبدو أن "**كينيدي**" آثر أن يحيد عن موقفه ويظهر سروراً بهذا الزواج. استأجر الزوجان منزلاً مفروشًا في هذه البقعة. وبذلك نأتي إلى هذه النقطة البالغة الأهمية – فكرة أن "**كلفين**" كان يدس له المخدر بواسطة زوجته. هناك تفسيران محتملان لذلك – لأنه ليس هناك سوى شخصين تتاح لهما فرصة القيام بعمل كهذا. إما أن "**هيلين هاليداي**" هي التي كانت تضع المخدر لزوجها وفي هذه الحالة – لأي سبب؟ وإما أن المخدر كان يوضع بواسطة الدكتور "**كينيدي**". فقد كان "**كينيدي**" طبيب "**هاليداي**" الخاص وهو ما يؤكده استشارة "**هاليداي**" إياه. كان يثق بخبرات "**كينيدي**" الطبية – وفكر أن زوجته هي التي كانت تضع المخدر إنما هي اقتراح ذكي من جانب "**كينيدي**".

سأل "**جايلز**":

– لكن هل لأي مخدر القدرة على أن يصيب رجلاً بهلوسة أنه خنق

زوجته؟ ما أعني معرفته هو: هل هناك أي مخدر له هذا الأثر تحديداً؟ فأجابته الآنسة "ماربل":

– يا عزيزي "جايلز". لقد وقعت في الشرك ثانية – شرك تصديق ما يقال لك. ليس هناك سوى شهادة "كينيدي" على أن "هاليداي" كان مصاباً بالهلوسة. لم يذكر هو ذاته كلمة واحدة عن ذلك في مذكراته. كان يعاني الهلوسة – هذا صحيح – ولكنه لا يذكر شيئاً عن طبيعتها. لكن يمكنني قول إن "كينيدي" قد حدثه عن رجال خنقوا زوجاتهم بعد مرورهم بمرحلة مثل تلك التي كان "كلفين" يعانيها. قالت "جويندا":

– كان "كينيدي" شريراً تماماً. وقالت الآنسة "ماربل":

– أعتقد أنه كان بالتأكيد قد تجاوز الحد الفاصل بين العقل والجنون بحلول هذا التوقيت. وأن "هيلين" المسكينة قد بدأت تتبين ذلك. لابد أنها كانت تتحدث مع أخيها في ذلك اليوم عندما سمعتها "ليلي" تقول: "أعتقد أنني كنت خائفة منك دائماً". كان ذلك أحد الأشياء التي قالتها، وكان له مغزى عميق دائماً؛ لذلك صممت على أن تغادر "دلموث". أقنعت زوجها بشراء منزل في "نورفولك" وأقنعته بألا يُعلم أحداً بهذا الأمر. وهذا في حد ذاته نقطة غاية في الغرابة. السرية التي أحاطت بها تكشف عن الكثير. كان واضحاً أنها شديدة الجزع من أن يعلم شخص معين بهذا الأمر – ولكن هذا لم يتسق لا مع نظرية "وولتر فين" ولا مع نظرية "جاكي أفليك" – ولا علاقة لـ "ريتشارد إريسكاين" به بالتأكيد؛ لأنه كان يشير إلى موضع أقرب بكثير. تنهدت الآنسة "ماربل" مستطردة:

– وفي النهاية أخبر "كلفين هاليداي" أخا زوجته بالأمر؛ إذ كان متضايقاً من السرية التي فرضتها زوجته عليه والتي لم ير لها مبرراً، وبذلك سجل بنفسه قدره وقدر زوجته؛ لأن "كينيدي" لم يكن ليدع "هيلين" ترحل من هنا وتعيش سعيدة مع زوجها. أعتقد أن خطته كانت ببساطة تامة تحطيم صحة "هاليداي" بالمخدرات. لكن عندما كُشف له عن أن ضحيته هذا و"هيلين" موشكين على أن يفلتا من قبضته فقد توازنه تماماً. مر من

المستشفى إلى حديقة "**سانت كاثرين**" حاملاً معه قفازًا جراحيًّا. فاجأ "**هيلين**" في الرواق وخنقها. لم يره أحد. فلم يكن هناك أحد ليراه، أو هكذا ظن ثم إذ كان موجعا بعمق الحب والجنون المؤقت اقتبس تلك الأبيات المأسوية المؤثرة. تنهدت الآنسة "**ماربل**" ثم قالت:

– كنت حمقاء – حمقاء جدًّا – كنا جميعًا حمقى. كان لابد لنا أن نفهم فوراً. تلك الأبيات المقتبسة من "**دوقة مالفي**" هي مفتاح القضية كلها. كانت قد قيلت على لسان شقيق تآمر على حياة شقيقته انتقامًا منها لزواجها برجل أحبته. نعم – كنا حمقى جميعًا. سأل "**جايلز**":

– ثم؟

– ثم نفذ خطته الشيطانية كاملة. حمل الجثة إلى الطابق العلوي ووضع الملابس بداخل حقيبة سفر. وكتب الرسالة وألقى بها في سلة المهملات حتى يمكنه إقناع "**هاليداي**" فيما بعد. قالت "**جويندا**":

– ولكنني كنت أظن أنه كان من الأفضل له أن يقنع أبي بأنه قد ارتكب الجريمة. فهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها قائلة:

– لا. لم يكن من الممكن أن يغامر بشيء كهذا. لديه الكثير من الحس السليم الإسكتلندي الماكر كما نعلم. ويكن للشرطة تقديرًا كبيرًا. ويعلم أن هذا الجهاز يستغرق قدرًا كبيرًا من الاقتناع قبل أن يقرر أن شخصًا ما موضع اتهام أم لا. فكان من الممكن للشرطة أن تطرح العديد من الاستفسارات الغريبة والأسئلة غير المتوقعة عن أزمنة وأماكن. لا، كانت خطته أكثر بساطة وأعتقد أنها أكثر شيطانية. لم يكن أمامه سوى أن يقنع "**هاليداي**" – أولاً بأنه قد قتل زوجته وثانيًا بأنه مختل عقليًّا. أقنع "**هاليداي**" بدخول مستشفى للأمراض العقلية ولكنني لا أعتقد أنه كان يريد إقناعه بأن الأمر كله وهم. تقبل والدك هذه النظرية من أجلك أنت بصفة خاصة وفقًا لتصوري. وواصل اعتقاد أنه قتل "**هيلين**" وتوفي معتقدًا ذلك. قالت "**جويندا**":

– كم هو شرير... شرير... شرير. وأجابت الآنسة "**ماربل**":

– نعم. ليس هناك وصف غير هذا يليق به. وأعتقد يا "**جويندا**" أن الشر – كان في الأجواء في تلك الليلة، وإليه يرجع أن ظل انطباعك الطفولي بما رأيت قويًا إلى هذا الحد. فقال "**جايلز**":

– والخطابان – خطابا "**هيلين**"؟ كانا بخط يدها وبذلك من غير الممكن أن يكونا زائفين.

– كانا زائفين بكل تأكيد! وهنا بالغ في إظهار قدراته. كان شديد الاهتمام بأن يجعلكما تكفان عن البحث في الموضوع. ربما كان قادرًا على محاكاة خط يد "**هيلين**" بإتقان شديد – ولكنه كان يعلم أنه من غير الممكن أن يخدع خبراء الخطوط؛ لهذا لم تكن العينة التي أرسلها إليكما بخط يد "**هيلين**" فعلاً... حررها بنفسه وكان من الطبيعي أن تتطابق. قال "**جايلز**":

– يا إلهي – لم يخطر لي هذا ببال قط. وقالت الآنسة "**ماربل**":

– لأنك صدقت ما قاله لك. من الخطورة بمكان أن تصدق الغير. لم أصدق أحداً مدى سنوات.

– وماذا عن البراندي؟

– فعل بها ذلك يوم أن أتى إلى "**جانب التل**" ومعه خطاب "**هيلين**" وتحدث معي في الحديقة. كان ينتظر بداخل المنزل عندما خرجت إليَّ السيدة "**كوكر**" وأخبرتني بحضوره. لا يستغرق هذا أكثر من دقيقة واحدة. فقال "**جايلز**":

– يا إلهي. وألحّ عليَّ بأن أعود بـ "**جويندا**" إلى البيت وأعطيها قدرًا من البراندي، بعدما كنا معه بقسم الشرطة يوم مقتل "**ليلي كيمبل**". كيف رتب لمقابلتها في موعد سابق؟

– أمر غاية في البساطة. في خطابه الأصلي إليها طلب منها مقابلته عند "**وودليه كامب**"، وأن تأتي إلى "**ماتشينجز هولت**" بقطار الثانية وخمس دقائق من وصلة "**دلموث**". خرج من بين أجمة الأشجار وقابلها وهي على الطريق وخنقها. وبعد ذلك استبدل الخطاب الذي رأيتماه بالخطاب الذي كان معها (والذي كان قد طلب منها أن تحضره معها حتى تسترشد بالتوجيهات

التي به) ثم عاد إلى البيت ليستعد للقائكما ويضطلع بدوره في مسرحية انتظار قدوم "**ليلي**" .

– وهل كانت "**ليلي**" تمثل تهديداً له؟ لا يبدو من خطابها شيء كهذا بل بدا مشيراً إلى "**أفليك**" بإصبع اتهام.

– ربما أنها كانت تشك فيه. ولكن "**لايوني**" الفتاة السويسرية كانت قد تحدثت مع "**ليلي**" وكانت "**لايوني**" هي الخطر الوحيد لـ "**كينيدي**"؛ لأنها أطلت من نافذة حجرة الأطفال ورأته يحفر في الحديقة. وتحدث معها في الصباح. أخبرها بأن العقيد "**هاليداي**" قتل زوجته – وأنه مجنون وأنه هو– أي "**كينيدي**" – يعمل على تكتم الموضوع من أجل الطفلة، وأنها – أي "**لايوني**" – لو ارتأت ضرورة إبلاغ الشرطة فلا بأس لها في أن تفعل ذلك ولكن هذا من شأنه أن يسبب لها متاعب ومضايقات وما إلى ذلك. جزعت "**لايوني**" عند ذكر الشرطة. كانت تحبك بشدة كما كانت لديها ثقة محدودة بما يراه الطبيب. دفع لها "**كينيدي**" مبلغًا محترمًا وأسرع يعيدها إلى وطنها. ولكنها – قبل أن ترحل – ألمحت إلى "**ليلي**" بأن والدك قتل والدتك وأنها رأت الجثة وهي تدفن. اتفق هذا مع أفكار "**ليلي**" آنذاك. صدقت أن "**كلفين هاليداي**" هو الرجل الذي رأته "**لايوني**" يحفر القبر. قال "**جايلز**" :

– لكن "**كينيدي**" لم يعلم بذلك بالتأكيد.

– لا. بكل تأكيد. عندما تلقى خطاب "**ليلي**" كانت الكلمات التي سببت الجذع هي أن "**لايوني**" قد أخبرت "**ليلي**" بما رأته من النافذة، وما ذكرته عن السيارة التي كانت بالخارج.

– السيارة؟ سيارة "**جاكي أفليك**" ؟

– لبس آخر. تذكرت "ليلي" أو ظنت أنها تذكرت أن سيارة مثل سيارة "**جاكي أفليك**" كانت تنتظر في الطريق. كان خيالها قد بدأ ينشط حول الرجل الغامض الذي أتى لزيارة السيدة "**هاليداي**" . في ظل وجود المستشفى ملاصقًا للمنزل كان من البديهي أن ينتظر عدد كبير من السيارات بالطريق. ولكن علينا أن نتذكر أن سيارة الطبيب كانت تنتظر خارج المستشفى بالفعل

في تلك الليلة – وربما استنتج أنها كانت تعني سيارته هو. أما وصف السيارة بأنها أنيقة أو فاخرة فلم يكن له معنى لديه. قال "**جايلز**" :

– فهمت. نعم. خطاب "**ليلي**" قد يحمل لصاحب الضمير المثقل معنى الابتزاز. لكن كيف عرفت كل هذا عن "**لايوني**" ؟ ضمت شفتيها بشدة ثم قالت :

– روى القصة كاملة بمجرد أن أُلقي القبض عليه. ذكر كل ما فعله. توفيت "**لايوني**" بعد فترة وجيزة من عودتها إلى "**سويسرا**" كما يبدو – بسبب جرعة زائدة من أقراص منومة... لا... لا... لم يترك في سبيله أية عراقيل.

– مثل محاولة قتلي بالبراندي المسمم.

– كنت تمثلين له خطراً جسيماً. أنت و"**جايلز**". ولحسن الحظ أنك لم تذكري له ما تذكرته من رؤية "**هيلين**" متوفاة في الرواق. فلم يعرف قط أن كان هناك شاهد عيان. سأل "**جايلز**" :

– والمكالمتان الهاتفيتان اللتان تلقاهما "**فين**" و"**أفليك**" هل كانتا من فعله؟

– نعم. حتى إذا ما كان هناك تحقيق حول من وضع السم بالبراندي يكون واحد منهما موضع شك مبرّر. وإذا أتى "**جاكي أفليك**" إلى هنا بمفرده بسيارته فمن المحتمل أن يورطه هذا في مقتل "**ليلي كيمبل**". أما "**فين**" فمن المحتمل جداً أن يقدم دفعاً معقولاً بالغيبة. فقالت "**جويندا**" :

– وقد أبدى شعوراً دافئاً نحوي... "**جويني**" الصغيرة. فقالت الآنسة "**ماربل**" :

– كان لابد له من أن يلعب دوره بإتقان. تصوري ما كان يعني هذا له. بعد ثمانية عشر عاماً تظهرين أنت و"**جايلز**" تطرحان الأسئلة وتنقبان في الماضي وتبعثان جريمة قتل بدت ميتة ولكنها كانت نائمة فقط... توقظانها. أمر بالغ الخطورة. كم كنت مهمومة وشديدة القلق عليكما. قالت "**جويندا**" :

– والسيدة "**كوكر**" المسكينة. تمكنوا من إنقاذ حياتها بالكاد. يسعدني أنها قد بدأت تتماثل للشفاء. هل تظن أنها ستفكر في العودة إلينا

يا "**جايلز**"؟ بعد كل هذا الذي أصابها؟ فأجابها بنبرة جادة:

– ستعود بالتأكيد إذا كان هناك طفل بالحجرة. تورد وجه "**جويندا**" خجلاً وابتسمت الآنسة "**ماربل**" ووجهت نظراتها بعيداً. قالت "**جويندا**" متأملة:

– كم غريب أن يحدث كل هذا وبهذه الطريقة. ارتدائي ذلك القفاز المطاطي والنظر إلى يديّ بداخله ثم مجيئه إلى الرواق ونطقه بتلك الكلمات التي بدا أن لها ذات وقع تلك الكلمات الأخرى... "الوجه"... ثم: "العينان المبهورتان"... ارتعدت قائلة:

– "غطوا وجهها. عيناي مبهورتان: لقد توفيت صغيرة السن..." كان من الممكن أن تكون تلك هي أنا.... لو لم تكن الآنسة "**ماربل**" في الموقع. صمتت قليلاً ثم قالت بصوت خافت:

– مسكينة "**هيلين**"... مسكينة "**هيلين**" الجميلة... التي توفيت صغيرة السن... تعلم يا "**جايلز**"، ليست هناك بعد الآن – لا بالمنزل ولا بالرواق... شعرت بذلك بالأمس قبل أن نخرج من المنزل... ليس هناك سوى المنزل. والمنزل مرحب بنا. ويمكننا أن نعود إليه إذا أردنا...

تمت بعون الله